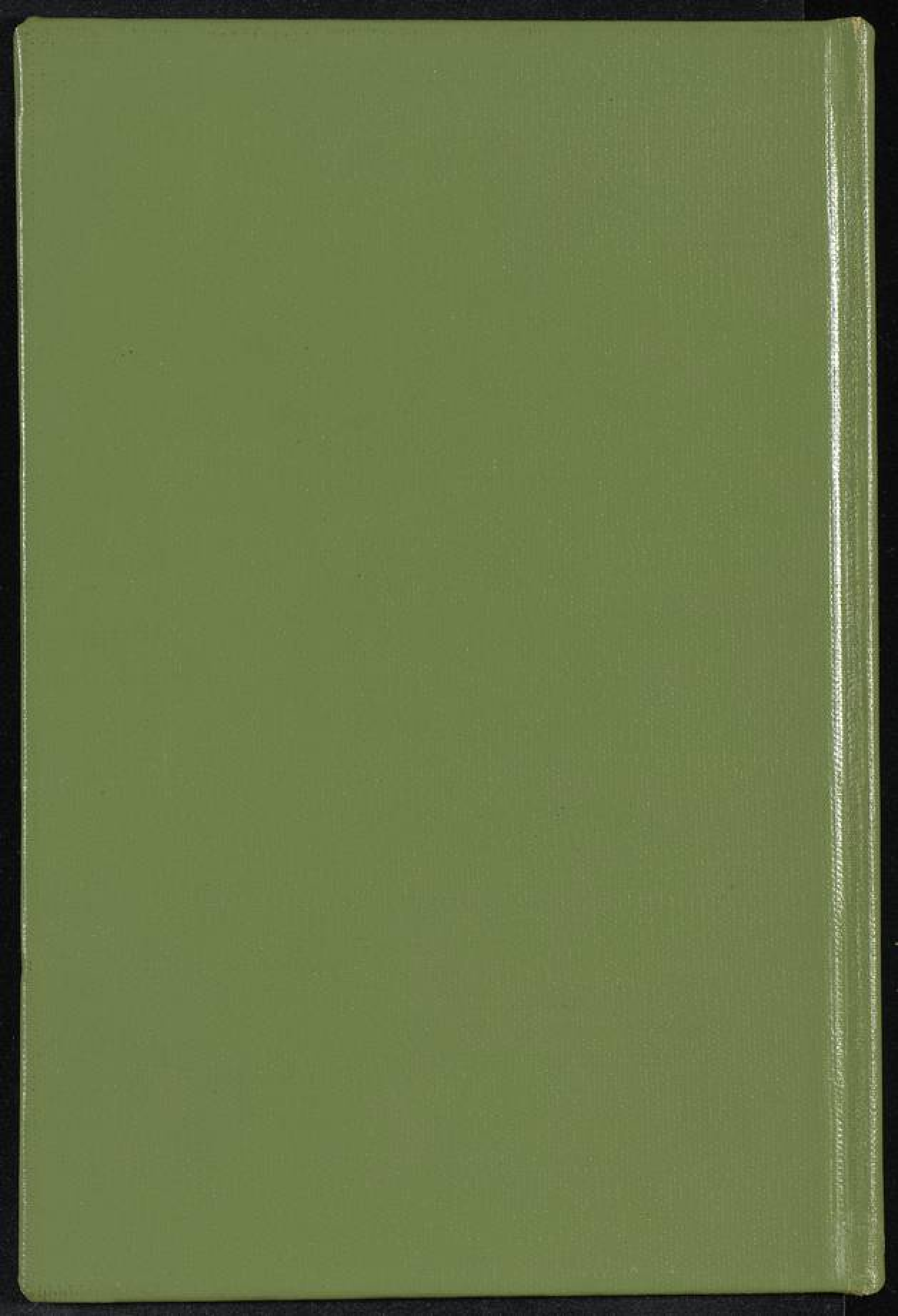
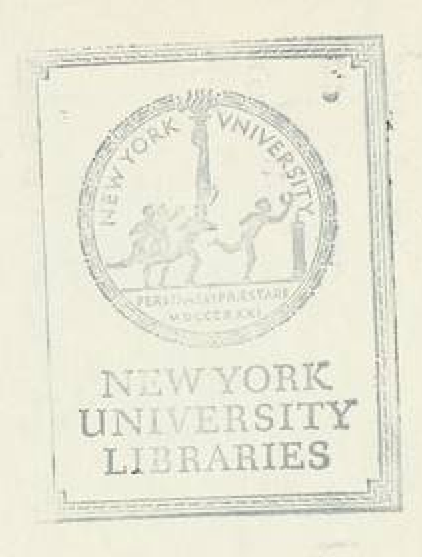


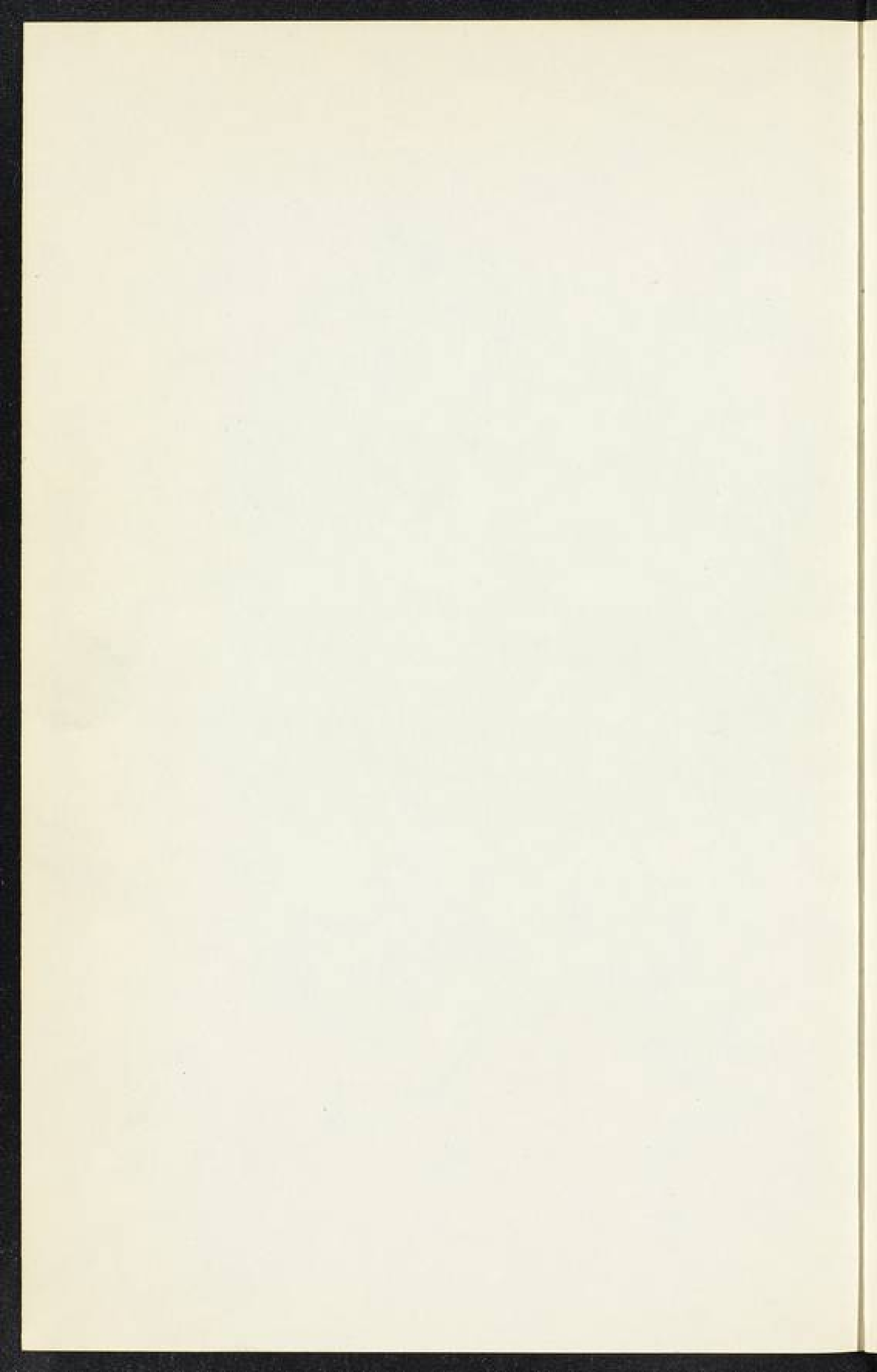



NEW YORK UNIVERSITY
NEW YORK
UNIVERSITY
LIBRARIES


APR. 69
N. MANCHESTER,
INDIANA


DATE DUE
BOBST
DEC 17 1979
NOV 1979
RECEIVED







في الطريق الى الجزائر

al-Ṣabbāgh, Muḥammad Ẓarīf

محمد ظريف الصباغ

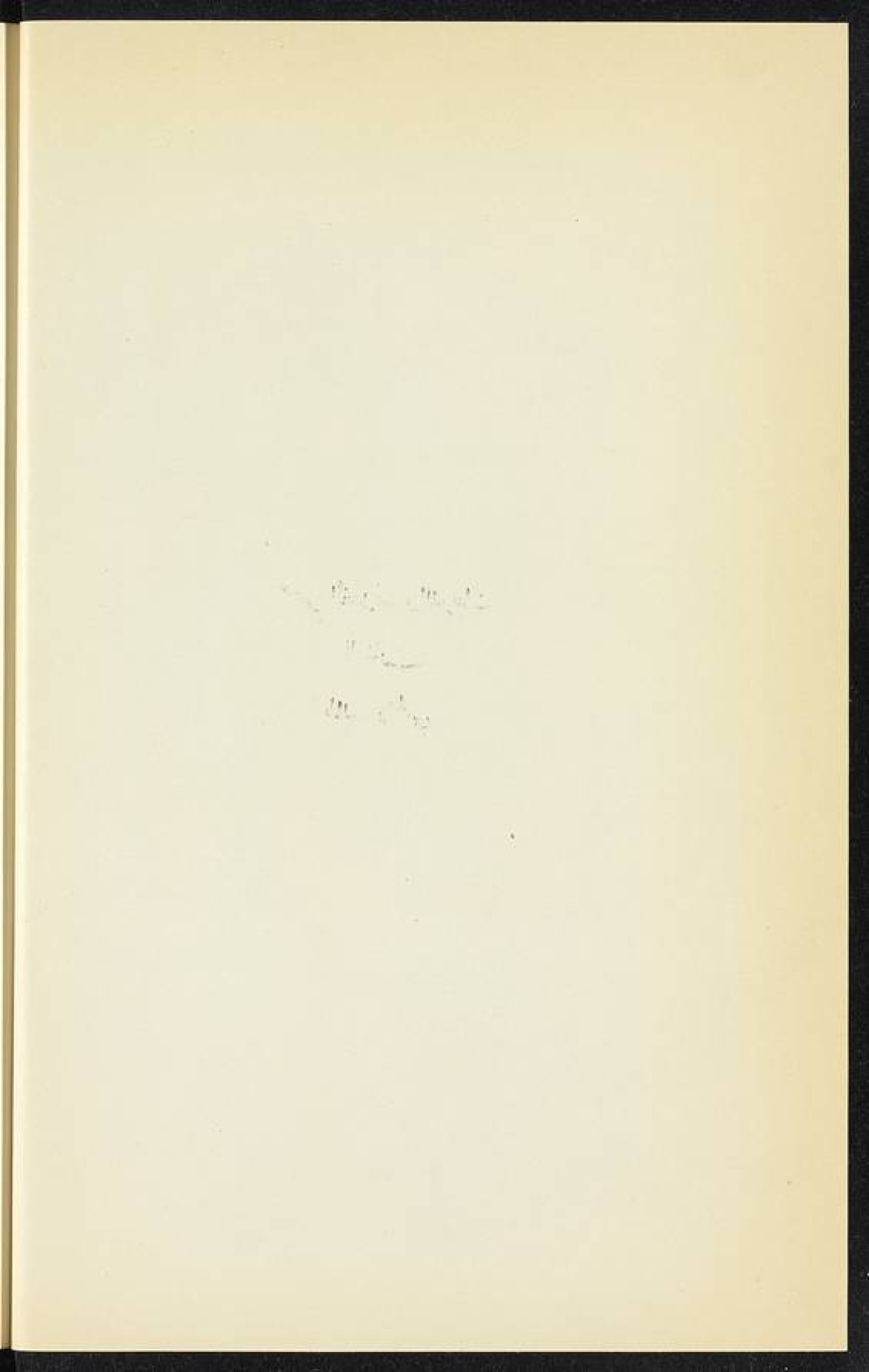
Fī al-ṭarīq ilā al-Jazā'ir 34

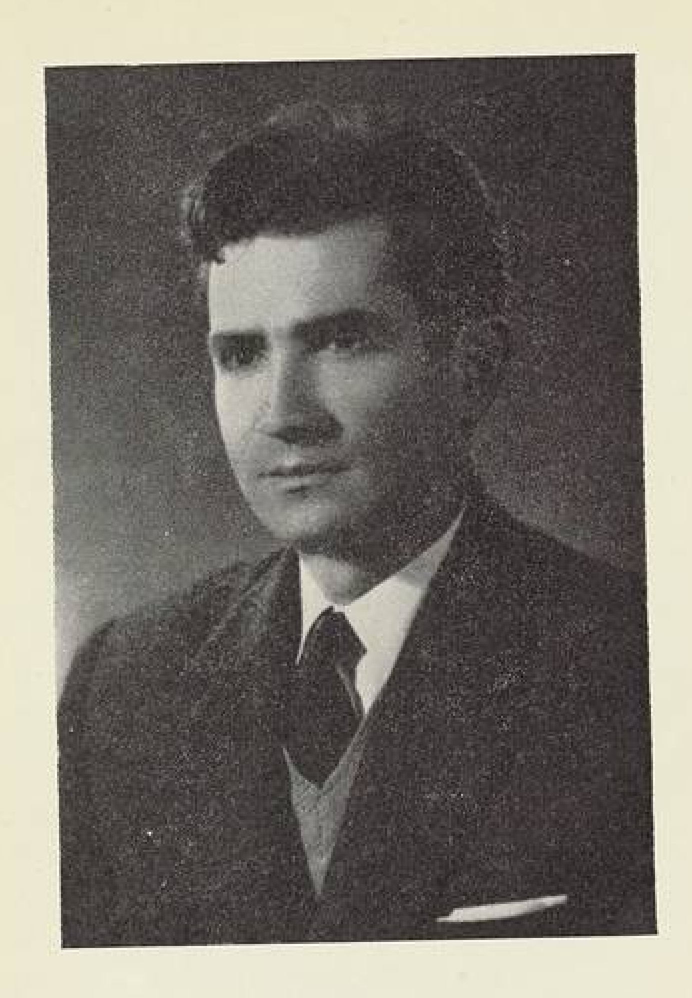
في الطريق الى الجزائر

صمم الغلاف واللوحات

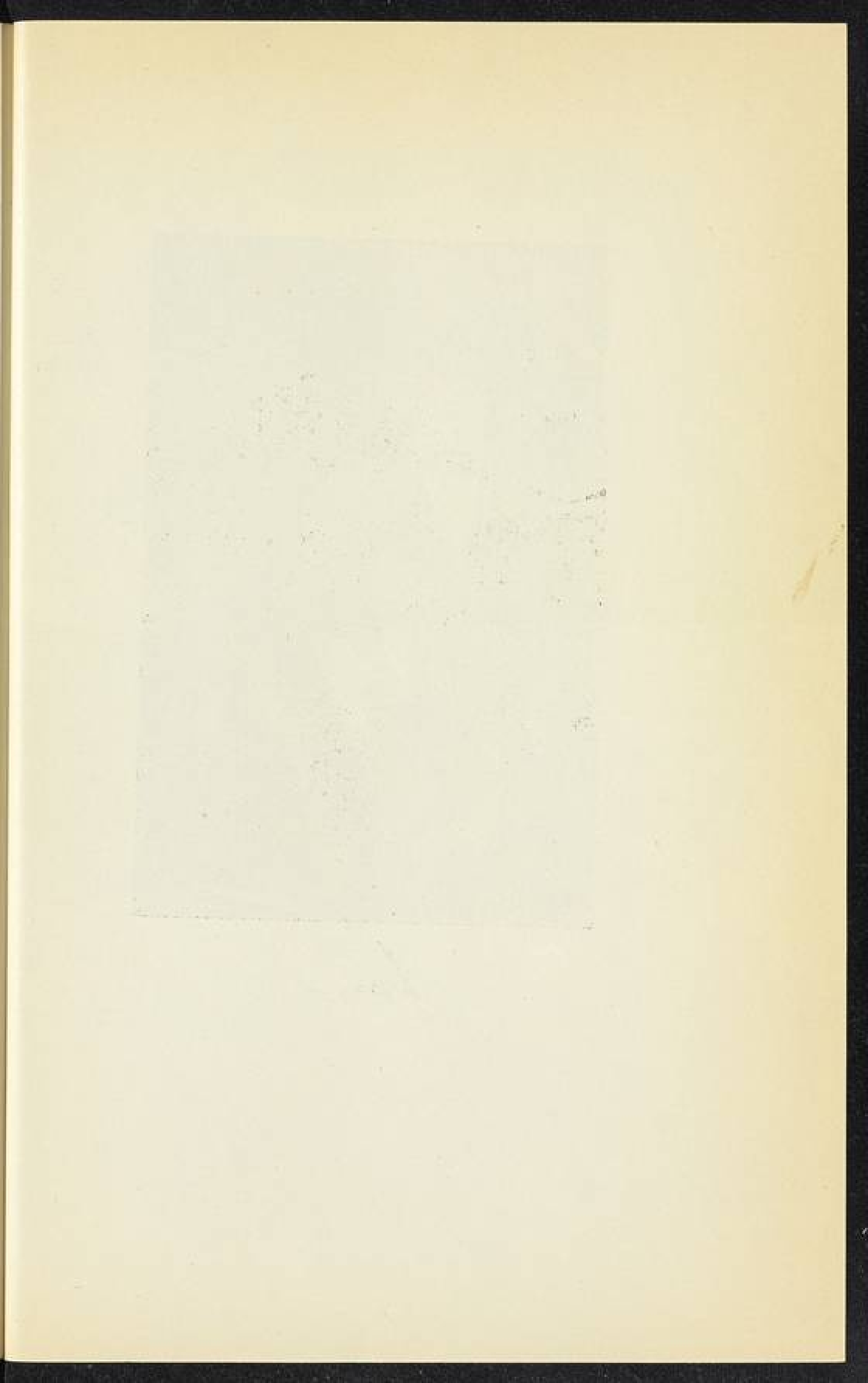
الفنان

طالب دملخي





صورة المؤلف



محتويات الكتاب

يرجى الرجوع الى جدول الخطأ
والصواب في آخر الكتاب
قبل القراءة

مقدمة

عند ما سيكتب لهذه الصفحات ان تضمها دفتا كتاب . . .
سأذكر بغبطة اني استطعت ان أسهم في المعركة مع اخواني الجزائريين مساهمة متواضعة . . مساهمة اعلم انها لا تستطيع ان ترقى بحال الى عظيم التضحيات التي يقدمها شعب الجزائر الأبي . .

فلتكن اذن تحية . . تحية حب واعجاب صادقين، اذا جاز للتحية ان تكون نوعا من المساهمة والمشاركة والائتلاف . .

وكيف لاتكون كذلك ، والحب والاعجاب سبيلان من سبل المساهمة والمشاركة ، ان لم يكونا السبيلين العميقين الساميين .

وعند ما سيكتب لهذه الصفحات ان تحظى ببعض القبول . .
وتسعد بالمباسم الجميلة وبالعيون المتألقة الراضية ، تطالعها في بهجة ورضى وانفعال . . سيزهوني جهدي الضئيل المتواضع ، امام باذخ ماتبنين من مجد وفخر ، ياجزائر الحرة . . يابلد البطولات . .

وانت يا ايتها الحرية العزيزة اسمحي لي ان اقدم على مذبحك المقدس . . بكل تبجيل واحترام وحب . . هذه الصفحات ، لعلها تحظى ببعض العطف في رحابك السامية . . ما دامت تتصل بسبب

وثيق ، بهذا الشعب الذي انزلته من محرابك السامي يا ايتها الحرية الحبيبة ، في اعز منزل وارفع مكان ..

اذاً فلتغن الاطيار السعيدة ألحانها المفضلة الحبيبة ، ولتصدح بانغامها المليئة بالامل والرغد والسعادة .. لتصدح باغاني الفخر والعزة والانتصار .. ،

فهذا فجرك المشرق بالنصر والقوة والحرية ، يلوح مع ضياء الغد القريب ياجزائر الحرة .. منيراً باسماً سعيداً ....

(١)

ليلة حالمة

كان الليل هادئاً ساكناً ، والنسائم اللطيفة الحلوة تداعب الوجوه ، فتستسلم النفوس الى لمسها الناعم الفاتن ، بسرور حالم سعيد .

والسفينة الشامخة السابحة تطل في تيه ودلال على صفحة الماء المتلألئة ، مائسةً تميل ذات اليمين وذات الشمال ، والقمر المضيء النشوان سابح فى اثرها ، متعلق بسحرها وفتونها .

اي قلب بعد شدو الطبيعة الفاتن يبقى حزيناً ؟ اي نفس لاتنجلي عنها الهموم ؟ إن تكن صروف الليالي وحوادث الايام ، زاخرة بالهم موقرة الظهر بأحمال الشقاء ، فالمركب الراقص الجذلان ، والقمر المنير الهائم ، وهذه الطبيعة الساحرة البهية ، نغم يجلو عن الصدر الهموم ، ويبعث الرضى والبشر في الضلوع ولو الى حين ...

(٢)

مناجاة

فتلألئي ياعرائس الليل في كبد السماء ، وتمايلي ياأطياف السحر

والجمال على صفحة الماء . فهذه ليلة الشدو والرقص والغنج الحلال ، ان كان لنا ان نسمي من الغنج حلالا وغير حلال ..

ايتها السعود الهازجة المتألقـة ، هنا احباؤك .. ايتهـا الاوتار الهائمة اللحن ، هنا صدى انغامك .. في هذا الجو الذي تداعب فيه الانسام نفس المحب ، راقية به الى عرش الخيال ، في هذا الجو الذي تسكب الفرحة الحانها في اعطاف الحالم الهيمان ،

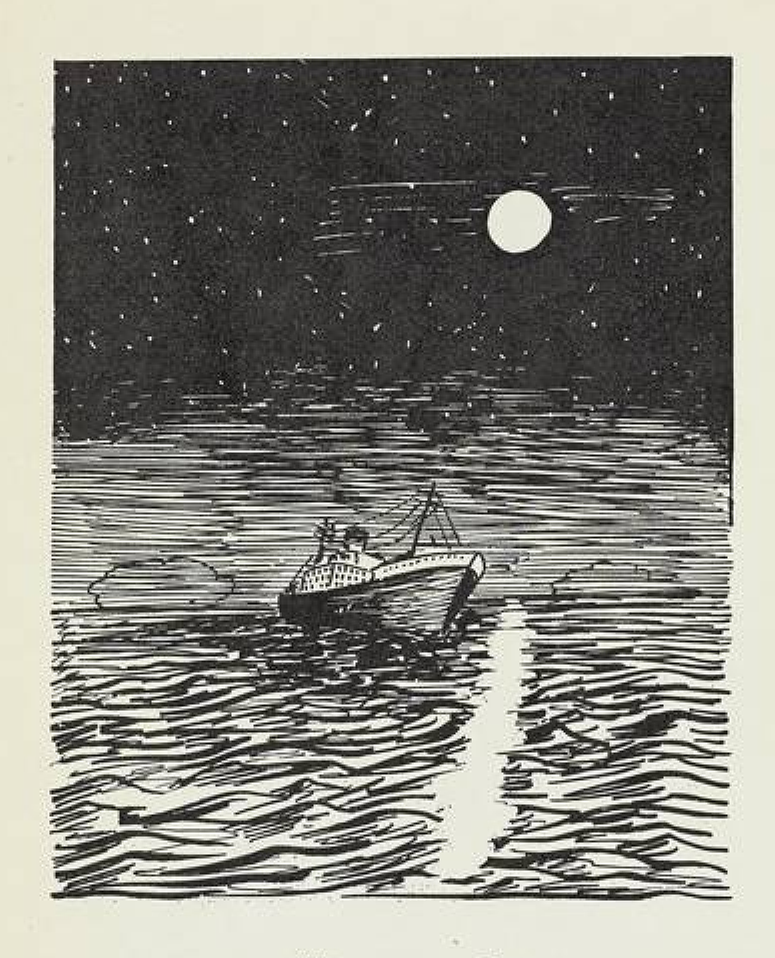
في هـذا الجو الذي تناجي فيه طيور الأحبة آلافها ، لاتخلو صدور المعذبين من عواصف الحزن وزاخر الآلام .

في اللحظة التي يسطع فيهـا النور بزاهي الاضواء . . في هـذه اللحظة التي تسعد فيها نفوس وتطرب . . لاتلمح اي بارقة في ثنايا القلب المعذب الحزين . .

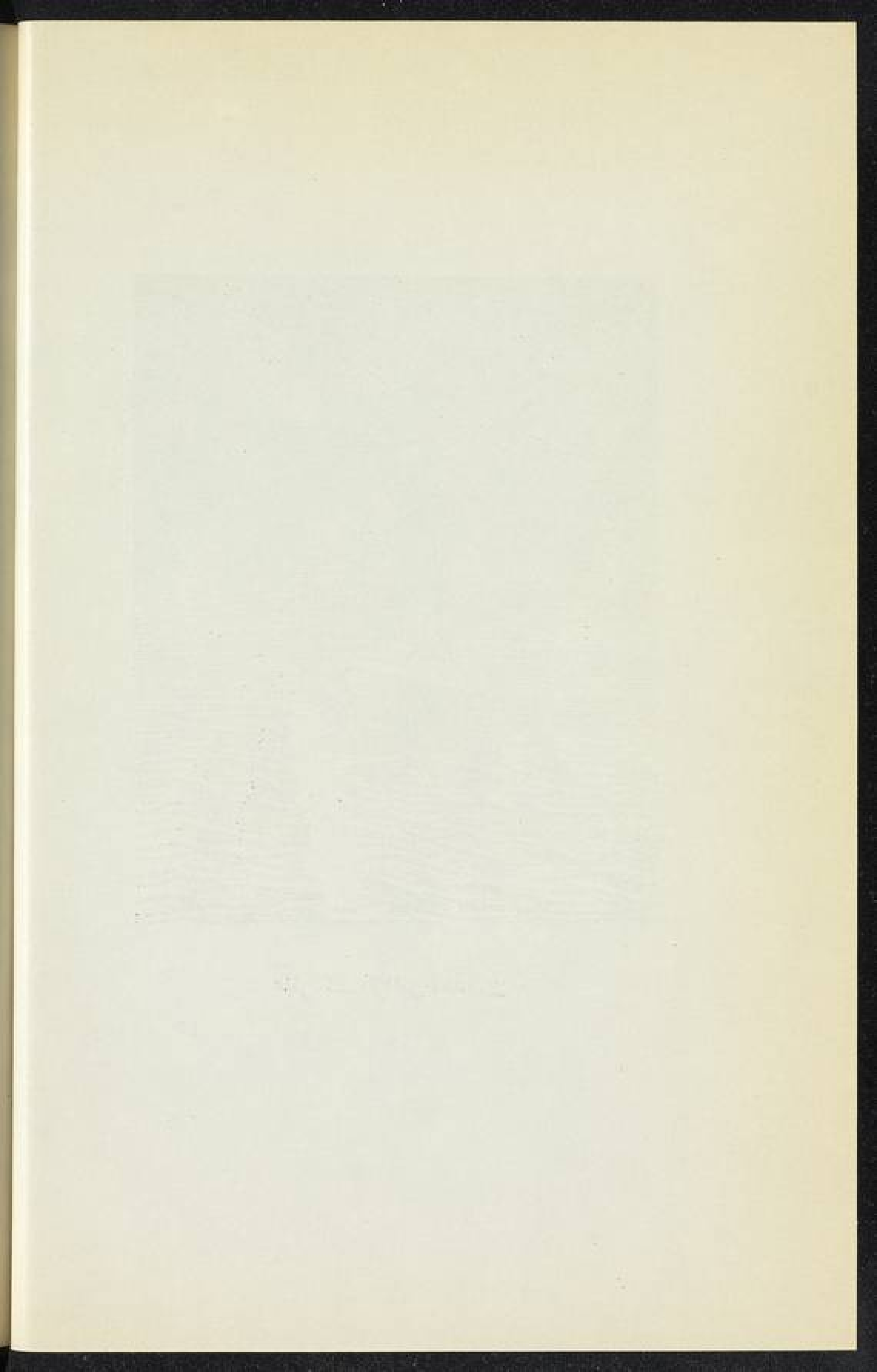
(٣)

الطبيعة الخلابة

فلترقص العرائس الهائمة السعيدة في موكب الحلم الجميل ..
ولتسعد الحور المشرئبات النواظر نحو الأمل الباسم الهنيء ..
ولتغن شدو البلابل مائسات القد في ضوء الاصيل ..



فالمركب الراقص الجذلان



ولتصدح الطير على افنانها بانغناء لا ٓعل الشدو حتى عل النشيد.. فهذه ساعة الفرحة والبهجة والنعيم ..

تلك المباهي انشودة النفس يطلقها الفؤاد فتهفو اليها هاتفات الضلوع . .

فصفيها ايتها الاحلام العذبة الجميلة صفيها ، ان فيها الواناً تسبي الحنايا قبل ان تسبي العيون ..

واتركي قلب الهانيء الشادي .. ينساب على الموج الهادىء المرح في اناة وخفة ، كنفسه المرحة الهادئة .. كما انسابت نسمة لطيفة حلوة ، بجناحيها الملائكيين على صفحة الماء البراقة ، فمستها مس الخاطر والحلم البهي ، فاذا الكون هزج ناعم يأسر النفس ويصبي المشاعر والقلوب .. واذا كل هتفة شعر ترتل مقطوعاته بنات الليل على انغام قيثارة الصباح . .

واذا كل ماتحكيه الطبيعة الحلوة ، غناء ونشيد .. واذا كل نفس وقد استشعرت الجمال ، غارقة في حبه ، والهة يضيء حناياها سناه . .

(٤)

همسات الليل

اي ريشة محلقة مبدعة ايها البحر الساحر الهادىء ، تستطيع رسم بهائك ..

اي لحن عبقري خالد ايها الليل الفاتن الترانيم ، يستطيع ان يجاري فريد تنهداتك وآهاتك ؟ .

اي هاتف عميق يسكن بين الجوانح والضلوع ، راقصاً سعيداً ابهى من لطيف ماتسكبه في المشاعر والقلوب ، هدأة هذا الليل الساكن المعبر ، وسحر هذا البحر الصامت المتكلم ..

ليدفع كل محلق ملهم ، بريشته المصورة المبدعة ، ترسم ادق وابهى ، واروع التصاوير ..

وليبرع الملحن العبقري ، الطائر على جناحين يسموان به الى ماوراء الخيال يسكب اللحن من عالي ايحائه النابع من فيض قلبه ، المرهف الحس ، السامي الشعور ..

فلن تقوى ريشة الالهام والابداع ، ولا عبقري اللحن ، ولا روائع النغم ، على ان تحكي ناعم همسك الساحر ايها الليل .. ولا ان تغني عميق احساسك ..

اذن فلتتمل العيون بمرأى حسنك وجمالك . . ولتعب القلوب من حلو همسك وعذب حديثك . فقليلا ما تبدى سحرك للعيون ، كما يتبدى هذه الليلة .. آسراً اخاذاً ، وفتاناً رائعاً..

(٥)

فاتنات الموج

لتركب اللجة الصافية ، كل راقصة ممشوقة القد مياسة القوام..

ولتدفع الموج كل باذخة تشق الخضم جليلة الاهاب . .

ولتسارع الى حلقـات النور التي يغمرها هذا الضوء الفضي العجيب ضوء القمر الفاتن الذي يسكب في الجوانح اغاريد الاحلام السعيدة ، والمنى والهدوء ، .

فلتسارع الى حلبات النور فاتنات الموج وعرائس الماء .. هذه الغيد من بنات الخيال ، ومن صباياه الناعمات الحسان ..

وليرفع الفتى النشوان عقيرته بالغناء . .

وليرسل الانغام مسلسلة عذبة من نايه الحنون ، ذلك الراعي المنحدر من اعالي الجبال ومن رائعات السفوح ، يغني احلامه الصافية صفاء نفسه ، يغني دوافق شعوره الطاهر ، طهـارة نفسه النقيـة من

اوشاب المدنية التي خلعت عنها ثياب الطهر والعفة والمكارم ، واسبغت على جسدها ثياب العهر والخطايا والآثام، ثيابا مطرزة بشرائط الذهب ممهوة ببريق يبهر الابصار ويأخذ بعض العقول ضياه ..

فليرسل الفتى الراعي اذن من نايه الحنون ، انغام الحب والصبابة والشوق ، قبل ان تفنى في نشيده الحان الوجد والمنى والخيال ..

(٦)

على الشبح الفائن

ما أجمل هذا الليل .. وما ابهى ركوب البحر ..

هكذا بدأت تنطلق الالسنة في شبه تنهدات الحالمين .. هكذا اخذ حالمو السفينة يتهامسون ويتحدثون ..

والسفينة ماضية يلفها الجمال والجلال .. والطبيعة تخطر في رائع من فتنة ودلال .. متوشحة وشاحاً خلعته عليها آلهة الحب والسحر والخيال . .

فتبدت بهاء وفتونا تتألق نعيما ، وتفيض بشراً وسعداً . .

انى تلفت فتلك وجوه الحالمين الهائمين .. لم يبق في بطن السفينة الا من اقتضت الاعمال بقاءه . . الكل في نشوة حالمة . . فهذا الذي

يبدو مستسلماً الى ما يشبه الاغفاءة على مقعد طويل ، محلقاً هائماً . .
لا يكاد يحس بجاره الذي ينفث الدخان من غليونه الممتد في استطلاع
طويل ، وعجب وسعادة .. وهو مع ذلك يشارك بين الفينة والفينة ،
في همس وخفوت ، ذلك العازف على الماندولين ، لحنه الناعم العميق ..
وكلاهما صورة من مجموعة سعيدة . .

وهناك قرب الحاجز .. انتثر بعض ركاب السفينة . . منهم من
استلقى ومنهم من تمدد واضطجع ..

هناك بين هذه المجموعات المتناثرة .. زمرة وجماعة لا تختلف
مع غيرها من الجماعات التي انتشرت على سطح السفينة تتملى من منظر
الحسن والجمال . .

لا تختلف ولا تتميز ، ولكن فيها مع ذلك ما يجعلها تختلف عن
غيرها كل الاختلاف ، وان فيها لما يميزها عن سواها التميز كله ، اذا
ما وقف الناس على من تضم ، او عرفوا هوية من تجمع ..

(٧)

عيني الصديقين

العين المتطلعة المستطلعة ، قد ترتد فاشلة دون ان ينكشف لها شيء عما تبحث عنه .. او تريد الوقوف عليه ..

فمن تضم هذه المجموعة ياترى ومن تحوي ؟ وبما ذا تتميز ؟ اذا جالت العين فيها وجالت فلن ترى الا اناساً غارقين في بحران من النشوة والسرور ..

الا انه قد يبدو للعين الفاحصة المدققة..وللنظرة الباحثة الخبيرة شعاع لايكاد يخبو حتى يلتمع من جديد . . ومضات خفيفة ضعيفة .. الا انها ومضات تكاد تنفرد بها هذه العيون الاربع ..

كلما حياها النور تساءل عما يراه فيها من حذر . . كلما غمرها بالضياء عجب لبريق القلق الكامن فيها يومض سريعاً ويختفي ..

ومع ذلك فانها تشع بومض حاد عنيف وسريع .. يوحي بالعزم والحزم ويدل على القوة والثقة والتصميم ..

عجباً لهذه العيون ! اتكون لهذين الظلين المستلقيين في استرخاء وسكون ؟

او تكون هذه السمرة البرونزية الحلوة التي تلتمع في ضوء القمر لهذين الجسمين المتمددين ؟ .

ولكن من هما صاحباهما ياترى ؟ ولماذا يختلفان عن غيرهما من هذه المجموعة ! لو درى الليل بهما لتنفس الصعداء.. وحف بهما وتهالك قربهما رانياً فخوراً .. ولتهادى النسيم راقصاً يغنيهما اعذب اغانيه مبتسما ، يطير فرحاً ويميل طربا .

والبحر .. ياللبحر في فرحته وياله في هزجه وياله في جيشانه ..

ولكن ، لا الليل يدري ولا النسيم يعلم ، ولا البحر قد جال له ذلك بخاطر ..

فهل يذكرهما الشط الجميل ياترى ؟ وهما يتأملانه وكأنما يودعانه احلامهما وآمالهما ؟ .

في اللحظة التي اطفلت فيها اشعة الشمس ، وانحدرت نحو المغيب تودع الساحل الجميل والاشجار والربي وقمم الجبال ، تحركت السفينة متهادية تسعى وهي تغادر أرض الوطن ومياهه في اناة وبطء وتثاقل ..

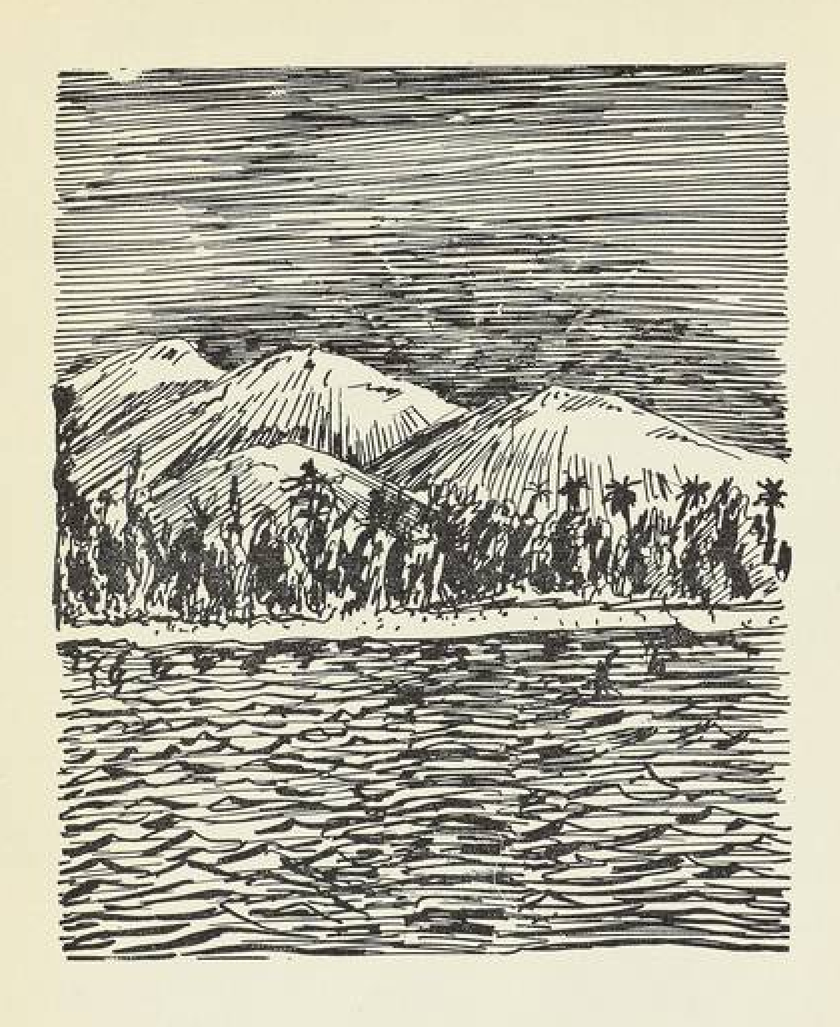
هل يذكرهما الافق الوردي الساحر الذي رنا اليهما ساعتئذ وهو يشيعهما في لهفة وشوق واعجاب ؟

هل يـذكرهما الشفق الفاتن الذي لف السماء والاعالي وقتئذ بازاره الساحر البديع ، ثم ارتمى في احضان الموج وتمايل على الشاطىء الراقص الهيمان ، ونام على صـدر قطع الغمام الناعمـة التي تختال بزاهي الالوان ومعجز الضياء ، تهدهده في شوق وتضمه في حنان ..

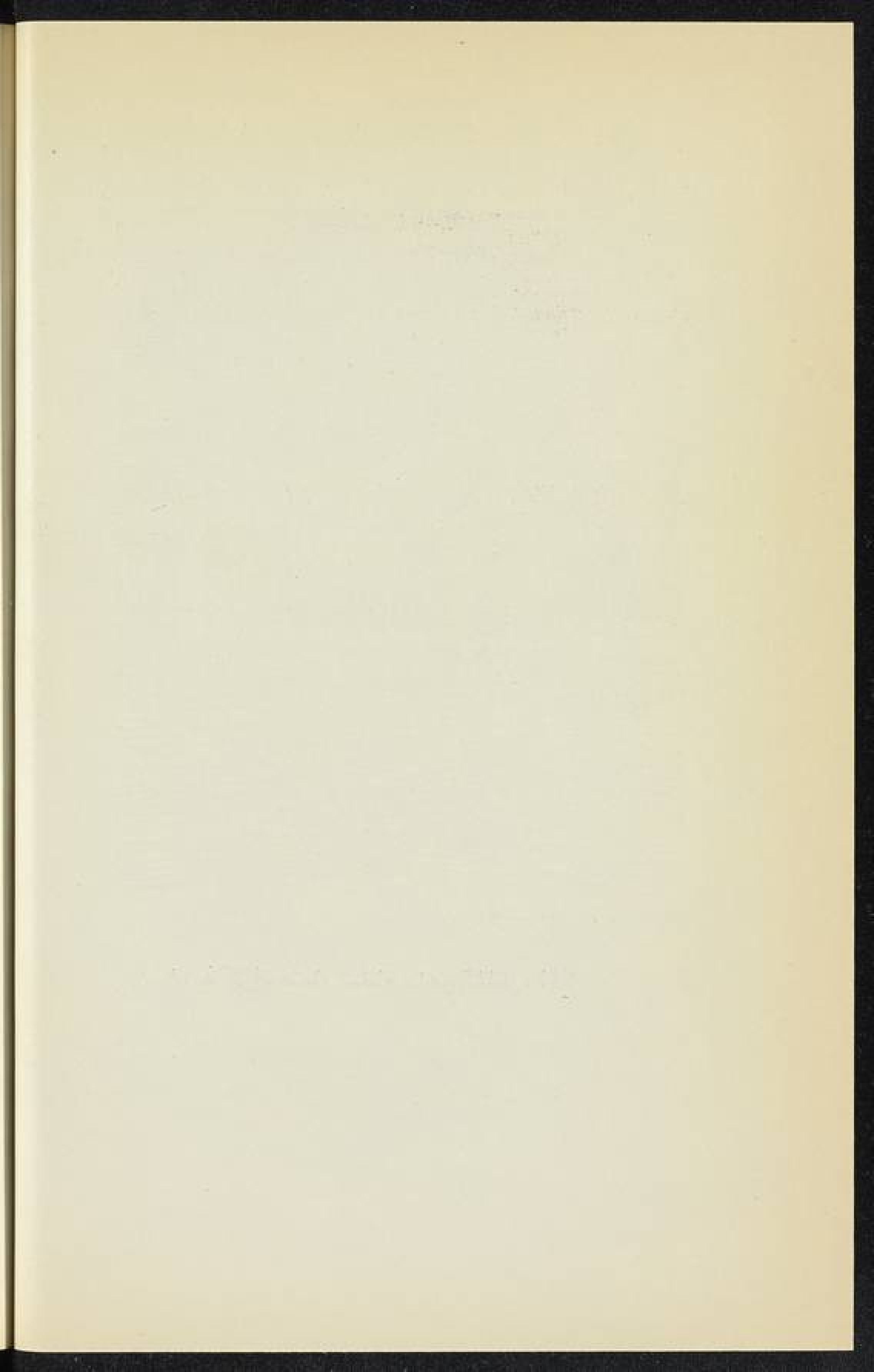
هما يذكران كل هذا فتلتمع عيونهما بالحنين .. . هما يذكران تحية الوداع تصافح عيونهما . . ترفعها لهما التلال المنتصبـة ، والقمم المشرئبة ، والاشجار الوالهة .. والارض .. الارض المتكلمة .. الصامتة وترابها الهاتف .. الساكن ..

هما يذكران ابتعاد السفينة بهما عن الشاطىء الجميل . . عن ساحل الذكريات الحلوة .. عن ساحل الوطن ..

وتغيب هذه الصور الرائعة الحبيبة .. شيئاً فشيئاً عن ناظريهما ويتلفتان من جديد فيرتدان الى ما حولهما ، تملأ عيونهما مباهي الليل وتملك اسماعهما ، الموسيقى الناعمة الهادئة .. والغناء الحالم العذب . .



هما يذكران ابتعاد السفينة بهما عن الشاطىء الجميل . .



(٨)

في الطريق الى الجزائر

الآن وبعد ان مضى على انطلاق السفينة يوم وليلة ، تبدى عند الافق وعلى مرأى البصر ، رفافة باسمة ، شواطىء البلد الذي شهد على مر العصور والاجيال ، أياما خالدة لاتنسى .. اياما باسمة مشرقة تلك الايام التي تثب روعتها للفكر متسلسلة حلوة ، رائعة الصور فتانة القسمات ..

فلمن هذه الوجوه الوضاءة التي تشرق بالنور وتطفح بالضياء؟ تلمع في عيونها ومضات العزم والقوة والبأس .. وهي تتراءى لنا واضحة عبر السنين والاجيال ؟ ..

اي جيش هذا الذي يتقدم ويتقدم لايعرف النكوص ولا الفرار ؟ .

اي جيش هذا الذي يصدم عشرات الالوف فاذا هي مبعثرة هاربة ، لاتثبت لصدمته ، ولا تقوى على الوقوف امام ضربته ..

اي جيش هو هذا الجيش الذي يقابله اهل البلاد بالفرحة والبهجة والترحاب ، ويلاقونه بشوق ولهفة وحنين ؟ ..

اي جيش هو هذا الجيش الذي دعته القلوب ورحبت به الضلوع ، وهامت بحبه الافئدة والخواطر ؟

اي جيش هو هذا الجيش الذي ان دنا من قرية او ان استولى على مدينة ، لم يكلف اهلها من امرهم شططاً ، بل يقرهم في مدينهم وفي ارضهم طالباً منهم الاستقرار باسطاً عليهم الامان ..

اي جيش هو هذا الجيش الذي لا يطلب من اهل القرى شيئاً ويقتنع بما يوصلونه اليه من العلف لدوابهم وشيئاً من الطعام للجند(١)؟

يا ايها الامير الحبيب .. يا ايها الامير المظفر .. يا عمرو بن العاص يا داهية العرب . . اليك اليوم من ضعيف مثلي ، عاجز عن ان يوفي مثلك بعض ما يستحقون من ثناء وتقدير . اليك التحية مباركة عاطرة الشكر والاعجاب يا من عطفت بجيشك القليل العدد والعُدد على اكبر قاعدة للروم بعد الشام ، فدوختها وزلزلت اركانها . . ونقلت اهلها من عيشة الظلم والفساد ، الى حياة العدل والحرية والرشاد ..

لك و لجندك الابطال تحية هذه الملايين من ابناء مصر ، بما

---

(١) عند ما نزل عمرو بن العاص بجيشه على مدينة قليوب بعد بلبيس بعث الى اهل البلاد والقرى يقول لهم : لا يرحل احد من بلده ونحن نقنع بما توصلونه الينا من الطعام والعلوفة .

لا تزال تنعم به حتى اليوم من حلاوة الايمان الذي سكن فؤادها ، وجمال عقيدة التوحيد، التي انقذتها من براثن الجهل والكفر والضلال،

فلتذكري يامصر يابلد الوفاء ، بالاكبار والاجلال على مدى الاجيال .. فلتذكري هذه الحفنة القليلة ، التي قذف بها امير المؤمنين الحصيف الرأي، العادل النظرة والاحكام عمر بن الخطاب ، وما قدمته اليك هذه الفئة المختارة من يد بيضاء ونعمة كبيرة اذ حملت اليك سعادة الدارين .. ونقلت ابناءك من حياة الذل وعبادة الاحجار والاوثان وتأليه الشمس والحيوان والانسان الى حياة القوة والعزة والمجد ، الى عبادة الله الواحد المتفرد بالملك والسلطان ..

ياداهية السياسة والحرب ، يابن العاص يا من ستبقى ذكرى فتوحك خالدة خلود الدهر ، عظيمة عظمة نفسك ، اطل على الامة التي لم تعد تدري قيمة مفتاح الخير والرحمة والانسانية للعالم اجمع الذي تملكه ولكنها تهمله .. والذي تقبض عليه في يدها ولكنها لا تستعمله ولا تستوحيه ، فهو شقي بها معذب .. وهي شقية من جهلها به حائرة معذبة ..

اطلّ بروحك وقوة ايمانك على قادة الجيوش وقادة الرأي في امتي اليوم .. علّ اطلالة منك تنثر الغبار وتزيل الرماد المتراكم ، عن

جذوة الايمان التي ماتزال كامنة هناك، في قرارات نفوسهم وفي اعماق قلوبهم، تتقد ضراما واشتعالا ..

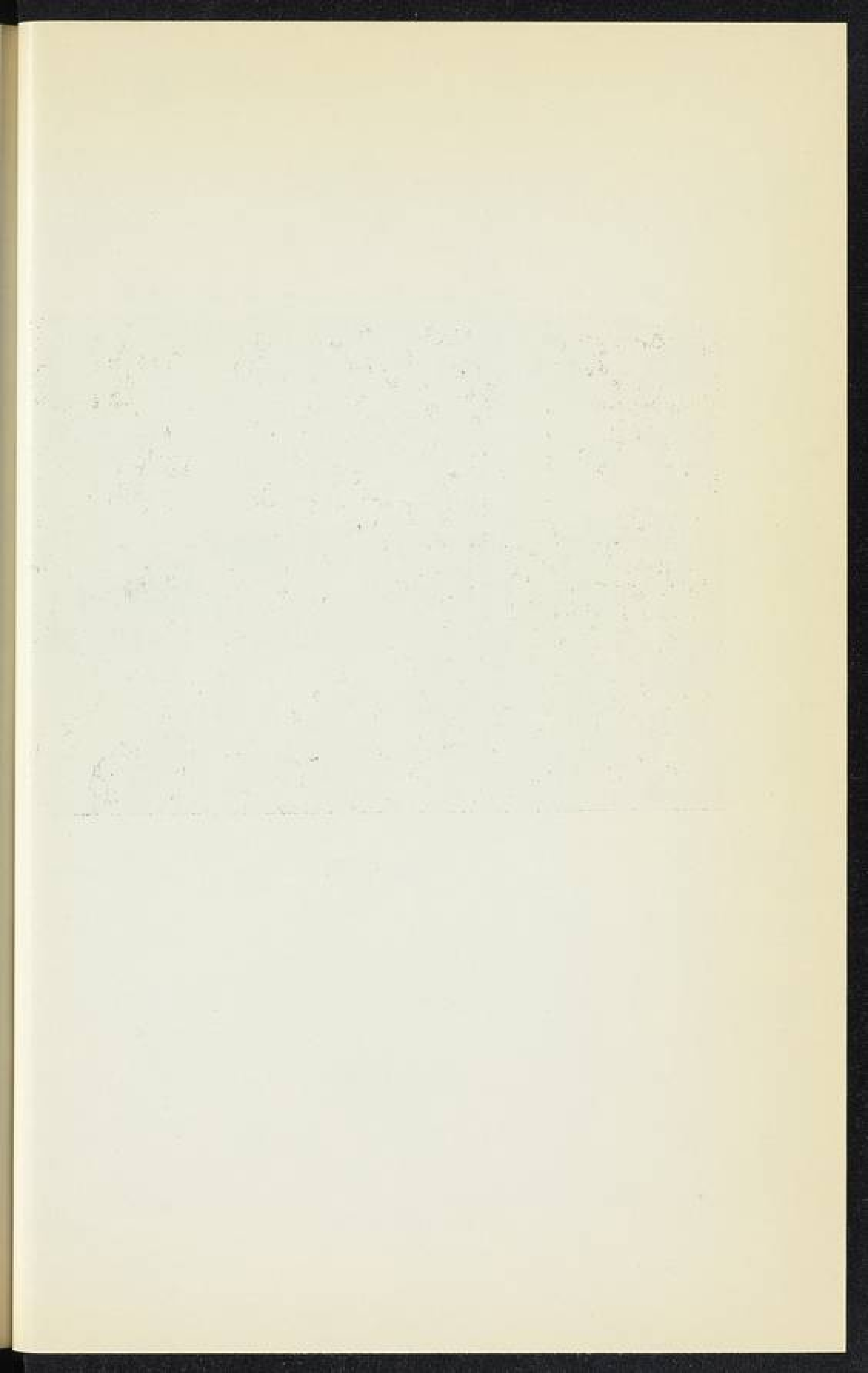
الم يأن لهذه الجذوة العظيمة يارب ان تتقد مرة ثانية؟ ألم يأن لهذه القوة الكامنة والقـدرة الهائلة، ان تتدفق من جديد، بالخير والرحمة والعدل .. بالعزة والانفة والكرامة؟

لم لاتعود هذه النفوس الشاردة الضالة الهائمة في صحراء الانانية الجوفاء، والمادية القاتلة، وحب الدنيا الغرور؟ لم لا تعود الى نبعها الصافى العـذب، نبعها الذى روى الصحراء اول مرة، فاذا الصحراء غير الصحراء، اذا بها جنات خضر، ومرابع تبهج الافئدة والعيون؟ نعم لقد رواها وظل يغمرها بفيضه وخيره قروناً وقروناً، ويمـدها بالحياة، بالسلسبيل، بالماء النمير . فاذا الصحراء الموحشة، رياض تنعم بالامن والعدل، وكرامة النفس الانسانية . اذا بها تتبـدى للعيون، جناناً وارفة الظلال، ندية الافق، رفافـة الفجر، يأوي الى ظلها الممدود، الهناء والعزة، والحياة والنعيم .



الاسكندرية

بعد ص ١٨



(٩)

وحي الاسكندرية

كل هذه الخواطر جالت في نفس صاحبينا الفتيين ، عند ماطلت بهما السفينـة على عروس البحر الابيض المتوسط .. على الدرة المتألقة الفريدة في جبين هذا الشاطىء الجميل ..

هكذا شاء الله ان يخلقك بهذه الفتنة والروعـة والجمـال ، يا اسكندرية يا ايتها الغادة الطروب التي لم تتمايـل في حياتهـا ، ولم ترقص فتسبي القلوب والعيون ، مثـل رقصتها تلك ، يوم رنت ، فاذا اسوارها الضخمـة القوية تتهاوى ، وابوابها الحصينة الثقيلة تزلزل ، واذا مشارفهـا وارباضهـا ، مزغردة فرحـة مستبشرة وهي ترى سيدتها (١) سعيدة تميس طرباً وتتيـه عجباً ، لها دل ناعم فاتن يسبي العقول ويصبي الافئدة . وتتمايل هياماً ، فيطل الخفر والحياء من مباهيها ، وتنثني ، فتنثنى في غلالاتها الرقيقة البيضاء ، صور من فتون مغانيها . .

تتمايل وهي ترنو في غنـج وانعطاف واغراء ، للفتى الرائع

(١) اي الاسكندرية سيدة الارباض والمشارف .

الملامح ، الساحر القسمات . . . لابن الصحراء الفارع القامة ، الجميل المحيا ، المهاب النظرة ، المكتمل رجولة وايداً وقوة . .

فتى صنعته الصحراء هيكلا علأ العين، ويأسر القلب، وصافحت بشرته البيضاء الناصعة البياض ، شمسها المشرقة الصافية ، فأضفت عليه سمرة نحاسية جميلة .. سمرة حلوة آسرة . .

ثم صنعته عقيدة الصحراء الجديدة ، عقيدة الايمان ، العقيـدة الفريدة في توجيهها وبعثها وحيويتها . . فاذا إهاب الفتى ؛ يكاد ينطق سمواً وعلاء؛ واذا نظراته المحبة الرحيمة الواسعة، نظراته التي لا ترهب احداً قط ؛ بعد ان عرفت وادركت عن يقين من ترهب ومن تعبد ومن تتقي ؛ اذا نظراته وحدها تصنع المواقع . . وتصنع انفس جنده وصحبه ؛ كما تصنع النتائج .. بل اني اكاد اسمع التاريخ يقول في فخر واعتزاز : انها تصنع التاريخ ..

هكذا لاحت لي في عين الخيال ، الاسكندرية الثغر الجميل ، وهي ترنو الى البطل.. الى القائد المظفر ؛ يصافح جمالها بناظريه معجباً سعيداً ،شاكراً ربه ، حامداً عطاءه ، فتلقاه حفية به وبابطاله الميامين سعيدة ، ماتكاد تهم بلقائه فاتحة له ذراعيها البضتين الناعمتين .. حتى تنثني خجلى ، تتكسر جفونها حياء وغبطة ، وحبا وسعادة ..

اي صورة عزيزة كريمة ، هذه التي عرضت شريطها علي ، في ومضة الخاطر وفي لمحة العين .. يا حلم السواحل واغرودة المراكب والبحار .. يا اسكندرية يا ثغر الرؤى والاحلام الجميلة ..

اي صور رائعة ساحرة متلاحقة ، ترتسم على محياك الجميل ، وتتراقص هيمانة في سمائك الصافية ، وعلى صفحة مرآتك العريضة السابحة ، التي تماوج باعذب واعجب الذكريات ..

على هذه الصفحة الرائعة الحسن ، ارتسمت عيون وقامات الابطال البواسل ، وهم يحدقون في هذا البحر المتلاطم المتماوج ، في دهشة وعجب واستطلاع ..

هؤلاء الذين كانوا قد اقتحموا وهم في طريقهم اليك المفاوز والعقبات ، واجتازوا صحراء سيناء مندفعين كالقضاء المصلت ، بعد ان خلفوا وراءهم المسالك الوعرة والوديان الضيقة والاغوار .. الى الفضاء الرحب ، الى الارض المنبسطة الخضراء .. الى ارض مصر الفسيحة الممتدة حتى الآفاق البعيدة ، وكأنها سهل واسع ، بعيد الارجاء واسع الانحاء ..

لله درهم ، لقد تقدموا وهم حفنة قليلة ، لا يتجاوز عددهم الاربعة

آلاف رجال ! لله ما أعظم هـذه النفوس . . ما اقواها .. وما اروع ايمانها ..

ان نفسي لتهتز اعجاباً واكباراً ، كلما ذكرت هذه الروح العالية الفريدة وامثالها في تاريخ امتي الاسلامية .

اني لأتطلع الساعة اليهم ، وكأني اراهم رأي العين ، على بعد المدى ، يخالجني شعور بالرهبة من اجلهم . . شعور بالخوف عليهم ان يصيبهم مكروه .. وانا ادفع عني في الوقت نفسه شعوراً غامضاً قوياً من الدهشة والعجب ، شعوراً يستغرب ويستبعد من دائرة تخيلاته وافكاره ، هذه المخاطرة الكبيرة .. شعوراً لا يكاد يصدق ان هناك بسالة واقداماً ، بل وتهوراً مثل هذه البسالة والاقدام والتهور ..

اربعة آلاف بين راجل وراكب يقتحمون مصر ؟ ! مصر الرومانية ؟ ! مصر القطر الثاني بعد الشام ، قوة واستعداداً ؟ القطر الثاني لبلاد الروم، الذي يذخر بالجند والمؤونة والسلاح .

مرة ثانية لله درهم.. ودر اميرهم .. هؤلاء الجنود الذين يتقدمون ويتقدمون . . يتقدمون في ارض غريبة عنهم يطأونها لأول مرة . وهم يعلمون قوة عدوهم فيها فلا يعبؤون .. بل يتقدمون فتستسلم

البلاد . وتتساقط امام عزمتهم القلاع .. في مناوشات صغيرة .. وفي غير مناوشات . .

وهاهم يصدمون « بلبيس » فتخر الى ركبتيها جاثية مستسلمة لقد هزمتَ الأرطبون (١) مرة ثانية . ففر من بلبيس امام عنيف ضرباتك .. وكان لقاؤك معه أول مرة في الارض المقدسة .. في فلسطين حيث كانت هناك هزيمته الاولى . . يا عمرو يا شعلة الحرب والدهاء . .

اما انت ايها المقوقس . . ايها الحاكم العام لمصر . . فاعجب وادهش . . ثم اعجب ماشاء لك العجب والدهش ان تعجب وتدهش وتساءل . . وأسمع نفسك . وأسمع جلساءك واهل مجلسك . . فاني اكاد أسمع تساؤلك وتعجبك وانت تقول : ما هذه النفوس السامية العظيمة التي ينفرد بها افراد هذا الجيش ؟! واية نفس هي هذه النفس التي يحملها امير هذا الجيش وقائده ؟ . .

اهذه ابنتك ارمانوسة ايها المقوقس ترسل اليك معززة مكرمة بعد ان وقعت اسيرة في يد عدوك (٢) ؟

---

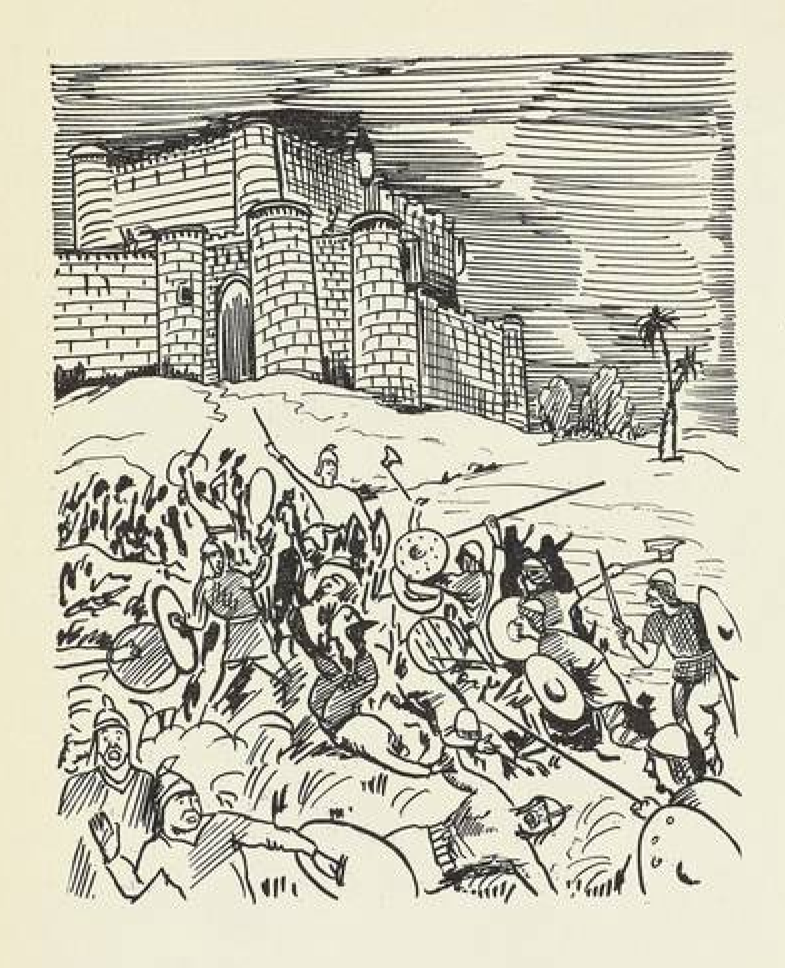
(١) الأرطبون : كان قائداً للروم في بيت المقدس .

(٢) عند مافتح عمرو بن العاص مدينة بلبيس كانت فيها ارمانوسة بنت المقوقس حاكم مصر .

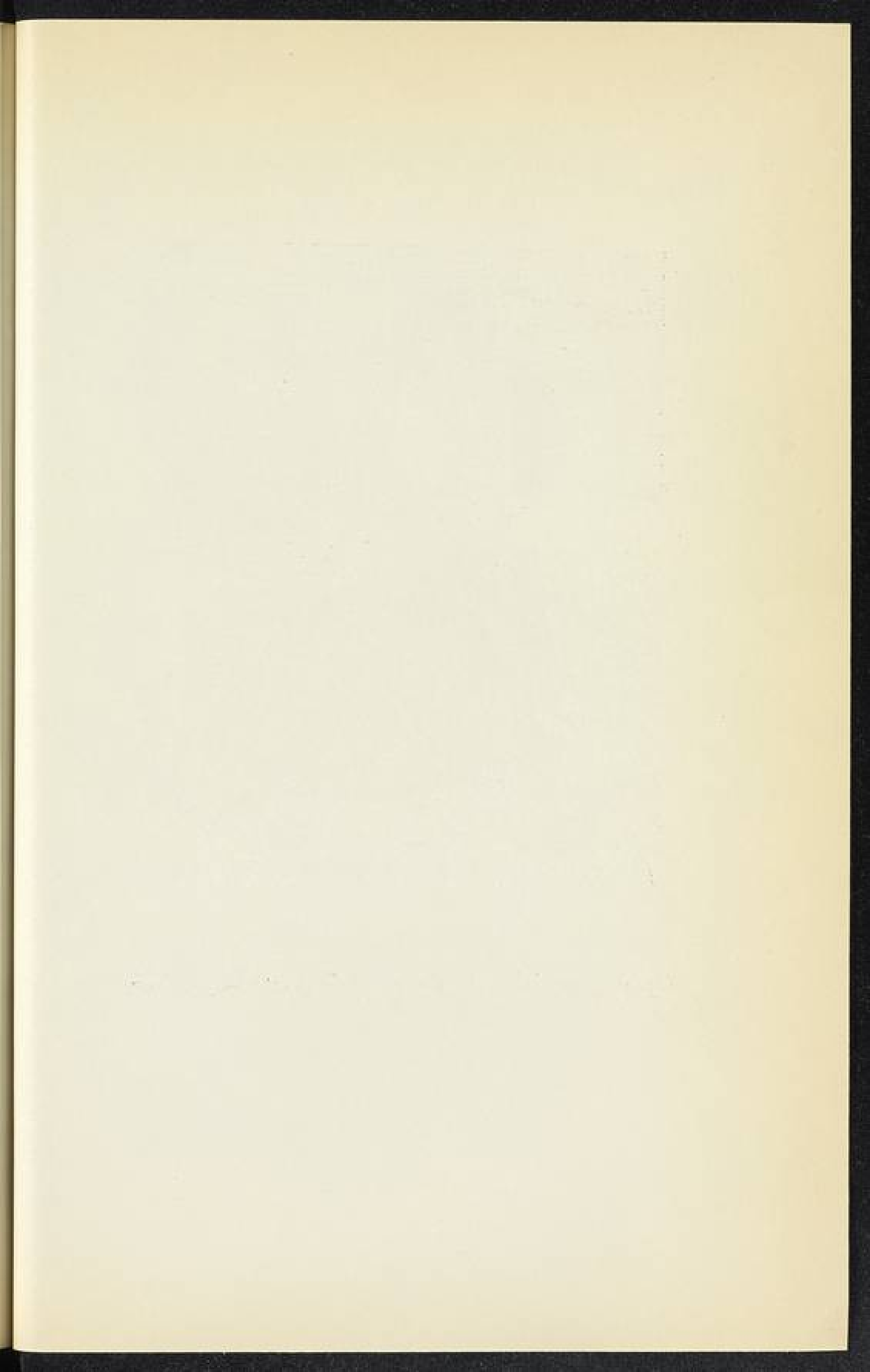
اهذه هي ؟ نعم انها هي حقاً .. فاعجب وادهش .. لقد فتحت بهذا العمل وبامثاله ، شأنك شأن جميع من دانوا بهذه العقيدة السامية ، الفريدة الصافية ، يابن العاص.. لقد فتحت العيون على حقائق ومشاعر لا يعرفها ولا يدرك قيمتها احد من مدعي الانسانية والرحمة والحرية ، منذ اقدم العصور حتى اليوم .

آه يا بلبيس .. هنيئاً لك .. بل هنيئاً لك يا مصر بما سعدت به منذ اليوم .. فهاهي ذي معاني الانسانية الصحيحة ، تعيش وتحيا على ارضك .. تبسط ظلها الحقيقي العميق الواضح عليك وعلى ابنائك الذين يقبلون على هذه العقيدة الجديدة الحرة ، فاذا بهم أمة جديدة حرة ..

اجل لقد انتهت عهود الظلم والفساد .. وزالت من ارضك دول البغي والطغيان .. مذ جاءك هؤلاء ، يحملون لواء الدعوة الانسانية الشاملة .. مذ جاءوك يحملون اليك العدل والرحمة ، والحرية والكرامة ..



جيش عمرو بن العاص في التحام مع جيش الروم امام حصن بابليون



(١٠)

عند الحصن العظيم

وانت « يا ام دنين » [١] ارو لنا صدمة الاشاوس الاباة لك فاذا انت مستسلمة ذاهلة ..

ارو لنا كيف اقتحمك عمرو بجنده اقتحاماً ، فلّ من حدة قوتك وعزيمتك وتحصيناتك ..

ارو لنا هل استطاع النيل ومرفؤك القوي والسفن المحيطة بك ، ان ترد الابطال عن غاياتهم ، أو تقف في سبيلهم ، أو ان تحول دون تقدمهم وانطلاقهم ؟

وكيف تقوى على ذلك ، وقد ظهروا لك منحدرين من هليوبوليس [٢] كأنهم العقبان فى انقضاضهم وهجومهم ؟ .

يا ام دنين .. ماذا ترى العين هنا في جنباتك وفي ارجائك ؟ بل

---

(١) ام دنين : قرية كانت تقع على شاطىء النيل وموقعها الآن قلب القاهرة في المكان الذي فيه حديقة الازبكية . وكانت قرية حصينة ذات مرفأ على النيل .

(٢) هليوبوليس : عين شمس ، تقع في شرق ام دنين .

اي جمال هذا الذي يسحرها واي فتنة تبدو فتبهجبا حينما تلمحك من بعيد .. وانت قائمة وسط الحدائق والبساتين ، تميسين وتبسمين ؟.

او كل هذا الفتون الذي يرنو فيسحر ، وكل هذا البهاء الذي يختال من حواليك فيسبي العيون و يأسر . . او كل هـذا من بعض جمالك وآياتك ؟

لقد وهبتك الطبيعـة هذه المناظر البالغة الروعة .. وانساب النيل في ارضك ساحراً اخاذاً ، يحكي قصص الحب والجمال .. ويغني لحن الهوى والصبابة والخيال .. جياشاً هامساً .. مولهاً موسوساً . . يتهادى وسط الجنان البديعة الحسن . . الرائعة الجمال . . فتميل اليـه ، وتتعلق به وبسحره القلوب والالباب، وتتعشق منظره وحسنه وانغامه الافئدة والابصار والاسماع ..

ولكن ما هذا البناء العظيم الضخم ، الذي يجثم هناك كالطود ، قريباً منك قرباً كبيراً حتى كأنك بعض بنائه ؟

ما هـذا البناء الشامخ الذي يبدو مرتفعاً عالياً يربض ربضة الاسد ويستقر راسياً كالجبال؟

ما هـذا الجبل الصلد القائم هنا ، وسط هـذا السهل الفسيح

الجميل ؟ . ولكن لماذا اقاموك هنا وفي هذا المكان بالذات ، يا ايها الجبل المرتفع ، يا ايها الطود العظيم ؟

ألكي تكون حاميا مدافعاً عن هذه الرياض ؟ لا أظن هذا وحده السبب .. اذ من يمنع القدر العاتي المصوّح ، والعاصفة الغاضبة الغشوم ، والنازلة القاصمة التي في ضمير الغيب ، من ان تصيب هذه النضارة ، فتغيض منها الحياة .. وهذه الخضرة الرائعة الحسن ، فتذوى وتذروها الرياح .. وهذه المفاتن جميعاً ، فتبدو وكأن لم تغن بالأمس ؟ .

ولكنهم اقاموك لا لتكون حامياً ومدافعاً وكالئاً هذه الغياض والرياض ، والجنائن الغناء الحالمات الساجيات فحسب ، بل اكاد اقرر انهم اقاموك هنا وبسطوا في جسمك وزينوا سواعدك وجيدك برائع الابراج والاطواق .. لتكون نشيد الجنات والرياض ، وفتى الاحلام وغاية الآمال .. بل اكاد أقول انك الفتى ، وتلك المفاتن : الفتاة .. انك حلمها المنشود .. وهي لحنك الضائع .

بل لن تكون للجنان والرياض والنيل هنا فتنة ان لم تكن انت قائماً .. ولن تكون لك روعة وسحر وجلال ، ان زالت بعض هذه

الفتنة ، او زالت جميعها من حولك .. فانت بها يا حصن «بابليون»[1] العظيم .. وهي بك ..

لقد فتنت ايها الحصن السامق الذرى ، الثابت الاركان ، هـذا الجيش وقائده ، كما فتنتهم من بعـدك عروس الثغور الاسكندرية العجيبة ، وملكت عليهم الالباب والعقول ..

يا ايها الحصن الهائل الكبير .. يا حصن بابليون العظيم .. بل يا ايتها المدينة التي اسميت حصناً لمناعتها ومكانتها الحربية الفائقة ..

يا حصن بابليـون ، كم تضم بين اسوارك من السكان يا ترى ، عدا جنود الرومان الذين يبلغ عددهم عشرين الفاً او يزيدون ؟ .. لاشك انك تضم منهم الكثيرين ..

في بساتينك وحقولك من الارزاق والغلال والمؤونة ، كفايتك وكفاية من تضم ..

اي روعة تجاري روعة تحكمك في مياه النيل هـذا التحكم العجيب الفريد .. تمتنع حين تشاء في ابراجك ، امتناع العقاب في الجو

---

(١) حصن بابليون : يقع على الضفة الشرقية للنيل .. وكان حصناً منيعاً ذا ابراج شاهقة ترتفع اسواره نحو ستين قدماً ويبلغ سمكها نحو ثمانيـة عشر قدماً .

وامتناع اعشاش واوكار النسور ، في الاماكن الشاهقة المرتفعة ..
في الاماكن الوعرة الممتنعة من الذرى وقنن الجبال ..

(١١)

ابن العاص والمقوقس

ولكن ما هذه الجزيرة [1] الصغيرة البديعة التي تبدو سابحة عائمة ؛ تدل على ماحولها في بهاء وفتون ، كأنها ابداً في ابتهاج جديد؟.

هاهو المقوقس.. اني أكاد ألمحه رغم السنين والايام البعيدة وهو يهبط اليك سراً يا ايتها الجزيرة الرائعة ، من الحصن الذي مضى على هذا الحصار القوي المضروب من حوله ما يقرب من شهر ..

لقد هبط اليك من غير ان يعلم أحداً في الحصن ، برغبته في مفاوضة قائد هذا الجيش اليقظ ، العجيب الروح ، المدهش الاقدام .

ومن شاطئك الجميل يا جزيرة الروضة الفتانة .. انطلق الزورق الجميل ، وهو يحمل رسل الحاكم .. متقدماً مختالاً .. قد رفعت على

١) جزيرة الروضة : كانت تقع في وسط النيل الى الغرب من حصن بابليون ذات حصون قوية تتحكم في النهر يصلها بالحصن جسر من السفن .

مقدمته راية بيضاء . وهناك . . من الشاطىء الثاني ، ظهرت عيون متيقظة حذرة ، ترقب تحرك الزورق في النيل وتقدمه . . باستطلاع وانتباه وسكون .

ولكن يا ايها القائد الفذ .. يا عمرو بن العاص . .مالذي بغيته حين امرت باستبقاء رسل حاكم مصر ، في معسكرك يومين قبل ان تردهم اليه ؟

لقد اثبتت جميع تحركاتك وسكناتك .. واقوالك وافعالك . . انها تنبع من ذكاء خارق ، ودهاء فريد ، .. لقد كنت تعلم مقدار ارتفاع معنويات جندك ، فلم تخش ان يطلع عليهم وعلى احوالهم الاعداء .. كنت واثقا من هذه المعنوية الفريدة والنفوس القوية ، فلم تخف ان يعرف العدو عنهم ، ما يريد ان يعرف ، ويقف بنفسه على دقائق هذه الروح وهذه النفوس .. بل انك قد قصدت هذا ولا شك .. لان الاثر الذي احدثه روح ومعنويات جندك في هؤلاء الرسل ، كانت خير ما يمكن ان يحاوله جيش ، من الدعاية لتحطيم معنويات عدوه . .

لقد ظهر هذا الاثر واضحاً ، بل وقوياً في جواب هؤلاء الرسل .. عندما طلب منهم الحاكم بعد رجوعهم ، بيان ماراوا ، وما شاهدوا في معسكر عدوهم ..

ولكن قبل ان نورد جواب الرسل حول هـذا ، لابد ان نتساءل عن الرسالة التي حملها هؤلاء الى الامير .. وجواب الامير عليها

قال حاكم مصر في رسالته الى الامير عمرو بن العاص :

« قد جئتم ارضنا وطال مقامكم فيها وانتم عصبة يسيرة واخشى ان تغشاكم الروم فتندموا ، فابعثوا الينا رجالاً منكم نسمع من كلامهم فلعله ان يأتي الامر بيننا على ما نحب وتحبون » .

فارسل اليه الامير يقول : « ليس بيني وبينكم الا احدى ثلاث خصال : اما دخلتم في الاسلام فكنتم اخواننا وكان لكم مالنا ، واما ابيتم فاعطيتم الجزية عن يد وانتم صاغرون ، واما جاهدناكم بالصبر والقتال ، حتى يحكم الله بيننا وبينكم وهو خير الحاكمين » .

لقد كانت رسالة حاكم مصر اليك يابن العاص مشجعة ولينة .. وكانت رسالتك مشجعة وقوية ، صريحة كل الصراحة ، واضحة كل الوضوح ..

اما انتم ايها الرسل .. فماذا رأيتم في معسكر عدوكم ؟ ماذا شاهدتم هناك ؟ انني اكاد اسمع جوابكم حين سألكم الحاكم عن حال المسلمين .. وانتم تقولون :

« رأينا قوماً ، الموت احب اليهم من الحياة ، والتواضع احب اليهم من الرفعة . ليس لاحدهم في الدنيا رغبة ولا نهمة . وانما جلوسهم على التراب ، واكلهم على ركبهم . واميرهم كأنه واحد منهم . ما يعرف رفيعهم من وضيعهم ، ولا السيد من العبد . واذا حضرت الصلاة ، لم يتخلف عنها احد . يغسلون اطرافهم بالماء ، ويخشعون في صلاتهم » .

هذا بعض ما خطر لي و خطر لصديقي ونحن نرى لاول مرة الاسكندرية ، وارض مصر الطيبة ..

وتمضي الصور متتابعة متلاحقة ، امام العين ، كانها شريط سينمائي .. تمضي رائعة حية ، غزيرة الالوان ، دقيقة المشاعر ، صافية الاجواء . تتوارد بها الخواطر ناعمة .. وتحيا في ظلالها هاتفات السرائر ..

انا لو وقفت استعرض هذه الصور التي تمر بخاطري الساعة .. وانا ارى سماءك يا مصر ، لما كان العمر كله ، ولا كانت الايام والليالي كافية لذكر بعض جمالها وبعض الذي توحيه ..

ولولا اني في عجلة من أمري .. ولولا انني تملك عليّ فكري

وخواطري ، وقلبي وعواطفي الساعة .. مالكة قوية آسرة . . تشد انظاري اليها شداً .. وترهف مشاعري الى صوتها وتهزها هزاً . . فتسمو اليها العين ، وتتجه اليها الجوانح .. هازجة والهة ، تكاد تطير للقياها .. قلقة حائرة ، تسابق السفين ، وتخلف ذوات الجناحين وراءها بآماد .. ناشطة يستعر في جوانحها الحنين .. عرمة متدفقة ، يتقد في صدرها الوله في زفرة وانين . . اجل لولا هذه المشاعر والخواطر لأطلت هنا الوقوف ، ولتريثت هنا بعض الوقت .. ولكن ماذا أصنع وهذه الجوارح تسمو اليكِ والى لقائك يا بلد الاحرار . . يا جزائر يا منية النفوس ...

فصفحاً يا مصر اذا لم اواصل في ذراك النشيد ، لقد حانت الساعة التي يجب ان اغادرك فيها الى الجزائر . . حيث يسطر ابناؤها الابطال هناك ، اروع آيات البطولة ، في عراك اللئام المتوحشين .

انا ممن اغرموا بك وبالأمجاد التي خطّها اولئك المنقذون الذين رفعوا ابناءك من مهاوي الضلال ، الى مراقي الهدى والفلاح يامصر .. ولكن صفحاً اذا ما اكتفيت الآن بهذا النذر القليل من النشيد . . فو الله لقد ألهمتني الكثير .. لقد ألهمتني سماؤك التي أشم في نسيمها

انفاس المؤمنين .. انفاس الصالحين .. انفاس المجاهدين الصابرين . .
تعبق بشذى العزة والقوة والايمان .

لقد الهمتني أرضك الطيبة التي تتنفس تربتها على الدوام ، على مر
العصور والايام .. في كل لحظة من ليل ونهار ، بعبير الاجداد يضوع
باذكى رائحة واطيب نشر .. بفريضة الدم .. يبذله الايمان لخلاص
الشعوب ، من وهدة الشقاء والآلام .. وانتشال الامم من هوة
الشرك والكفر والضلال . .

ايه يا ايتها الانفاس الطاهرة الذكية . . ايه يا ايتها الارض
الطيبة ، التى رواها اولئك الافذاذ الميامين ، القادمون من الصحراء ،
بدمائهم التي لا تزال تتراءى في كل بقعة وفي كل شبر ..

لما ذا يضوع الجو هكذا باريجك العطر يا ايتها الانفاس ،
وبشذاك النفيس انت يا ايتها التربة الحبيبة الغالية ..

(١٢)

انتصار في المنصورة وعين جالوت

انا وان لم اواصل النشيد ، واعرض كل ما يطالعني ويملأ خاطري حول ماحققه اجدادنا الاباة هنا ، على صعيدك يا مصر من امجاد .. فقد حلقت في سمائك تحليقة المعتز ، وحومت في اجوائك تحويمة المفاخر السعيد ..

لقد استرسلت دون ان أشعر ، وكنت اريد ان احييك تحية سريعة عابرة ، مكتفياً بلمحات قصيرة خلال هذا النشيد . ولكنك انت التي جعلتني استرسل بعض الشيء ، فانقل بعض ما يجيش به صدري لك من الحب والحنين ..

لقد كان بودي ان استرسل واسترسل حتى اسكر الانغام من خمر نشيدك .. واستعرض آيات البطولة هنا على أرضك يا مصر . . واستزيد ثم اعيد واستعيد ، حتى يبح من استعراضي واستزادتي صوت الانشاد والرؤى والخواطر .. لقد كان بودي ان اعرج على ايامك ولياليك استوحيها البطولة .. واستمع من شفاهها الى انغام جهادك . . وامشي مع السنين ، اشاهد المواكب والرايات ، واشهد المعارك ،

فاخاطبك واحاورك .. وامضي في نشيـدي وشدوي ، أبثك الوجـد والشوق والهوى ، في ألوان من بثٍ وهمس، وغناء وحنين .

لقد كان بودي ان احيي دمياط [1] في وقفتها الاولى ، عند ما نزل ببرها البرابرة الصليبيون في الحرب الصليبية الخامسة [2] . فردوا على اعقابهم خاسرين .. وكان بودي ان اتجـه اليـك يا دمياط بالتحيـة وبالنشيد لوقفتك هـذه ولكن موجـة من الاسف تغمرني وانا ارى حاميتك تتخلى عنك وتنسى في انسحابها اغلاق ممر النهر اليك في وجه الاعداء وذلك في الحرب الصليبية السادسة [3] . فيحتلك العدو بسهولة ويسر لايليقان بك ولا بمناعتك وامجادك ، وذلك حينما اقبل

---

(١) دمياط : بلد تقع على الضفة الشرقية من النيـــل قريبة من البحر صمدت امام حصار الصليبيين اكثر من ١٦ شهراً .

(٢) وكانت عام ٦١٤ هـ الموافق لعـام ١٢١٧ م بقيـادة جان دي برين ملك القدس . اما نزولهم في ارض مصر فـكان في عام ٦١٥ هـ و ١٢١٨ م

(٣) وكانت عام ٦٤٧ هـ حيث ابحرت من مرسيليا حملة من الفرنسيين في طريقهـا الى مصر ولكنها عرجت على جزيرة قـبرص ولم تتجه الى مصر الا عـام ٦٤٨ هـ

لويس التاسع ملك فرنسا .. الملك القديس [1] . وهو يشمخ ويستعلي ويستكبر .. ينظر الى جيوشه الزاخرة الجرارة ، باطمئنان بالغ ووثوق من النصر ..

ولكنكما انت يا ايها القائد [2] المجرب الهمام ، وانت يا ايها الامير [3] المظفر صدمتماه الصدمة القاصمة وضربتماه وجيشه الضربة القاضية عند المنصورة [4] وبعدها فبددتما هذا الجيش اللجب الكثيف ومزقتماه شر ممزق ، ووقع الملك القديس في الاسر .. في خيرة من ضباطه وفرسانه ونبلائه ..

---

(١) اطلق عليه لقب الملك القديس لشدة تعصبه الديني وعزمه على تخليص الاراضي المقدسة من ايدي المسلمين .

(٢) هو فارس الدين اقطاي وكان قائد جيش المسلمين العام .

(٣) هو الامير بيبرس قائد فرسان المماليك .

(٤) المنصورة بلد تقع على الشاطيء الشرقي للنيل وفي شمالها الشرقي فرع للنيل يطلق عليه اسم بحر اشموم ، انشئت بعد استيلاء الصليبيين على دمياط في الحملة الخامسة عام ٦١٦ هـ حيث انشأها السلطان الكامل في الاساس معسكراً في مواجهة « طلخا » جهزه بكل مايلزم فبنى الدور والفنادق والحمامات والاسواق لراحة جنده .. وعرف هذا المعسكر فيما بعد بالمنصورة عقب انتصار السلطان الكامل على الصليبيين ..

آه لو لم اكن في عجلة من امري ، لحييت تلك الدار . . دار ابن لقمان[1] . . تلك الدار التي شهدت في فخر واعتزاز ، هذا الملك المتجبر ، قابعا في زواياها يرسف في اغلاله . . ويجتر على مضض في تسليم واستسلام آلام الهزيمة . .

---

(١) دار ابن لقمان هي الدار التي سجن فيها الملك لويس التاسع في المنصورة حيث عهد بحراسته الي الخصي صبيح . . وقد افرج عن الملك لويس التاسع عند ما دفعت الفدية المقدرة آنئذ بمبلغ اربعمائة الف دينار ، عقب توقيع الاتفاق وانسحاب الصليبين من ارض مصر وقد تغنى الشعراء والكتاب في جميع انحاء العالم الاسلامي بالنصر . من ذلك قصيدة للشاعر جمال الدين بن مطروح نورد منها ما يلي :

قل للفرنسيس* اذا جئته	مقال نصح من قؤول نصيح
اتيت مصر تبغي ملكها	تحسب ان الزمر** ياطبل ريح
فساقك الحين الى ادهم	ضاق به عن ناظريك الفسيح
وكل اصحابك اودعتهم	بحسن تدبيرك بطن الضريح
سبعون الفا لا يرى منهم	الا قتيل او اسير جريح
الهمك الله الى مثلها	لعل عيسى منكم يستريح
وقل لهم ان ازمعوا عودة	لأخذ ثأر أو لفعل تبيح
دار ابن لقمان على حالها	والقيد باق والطواشي صبيح

* اي ملك فرنسا

آه لو لم اكن قد خصصت البلد الحبيب . البلد المجاهد . . بلد الجزائر . . بنشيدي اليوم لما اكتفيت بهذا القدر من طيب ذكراك يامصر العزيزة . .

لقد كان بودي ان استعرض اليوم احداث التاريخ التى مرت بك وتلك التي سجلها ايمان ابنائك ، في المعارك المختلفة الرائعة . .

لقد كان بودي ان استعيد هنا ايضاً ، الذكريات الحلوة لنتائج معركة « عين جالوت [1] . وأن أستعيد هنا مواقف البطولات التي وقفها من قبل صلاح الدين . . وتلك الانتصارات العظيمة التي حققها في فلسطين . . فوق ثرى البلاد المقدسة . . وأن أستعيد معها ما امتاز به هذا السلطان العظيم ، من نفس عالية سامية . . وقلب نابض بعقيدة قوية ، وإيمان عميق . . فاذا أعجوبة الحرب والقتال . . والصلابة في العراك والصدام . . أعجوبة أيضاً في الرحمة والعدل . . أعجوبة ايضاً في المعاملة السامية المثالية . . في احترام الوعود والعهود ، في السلم والحرب .

---

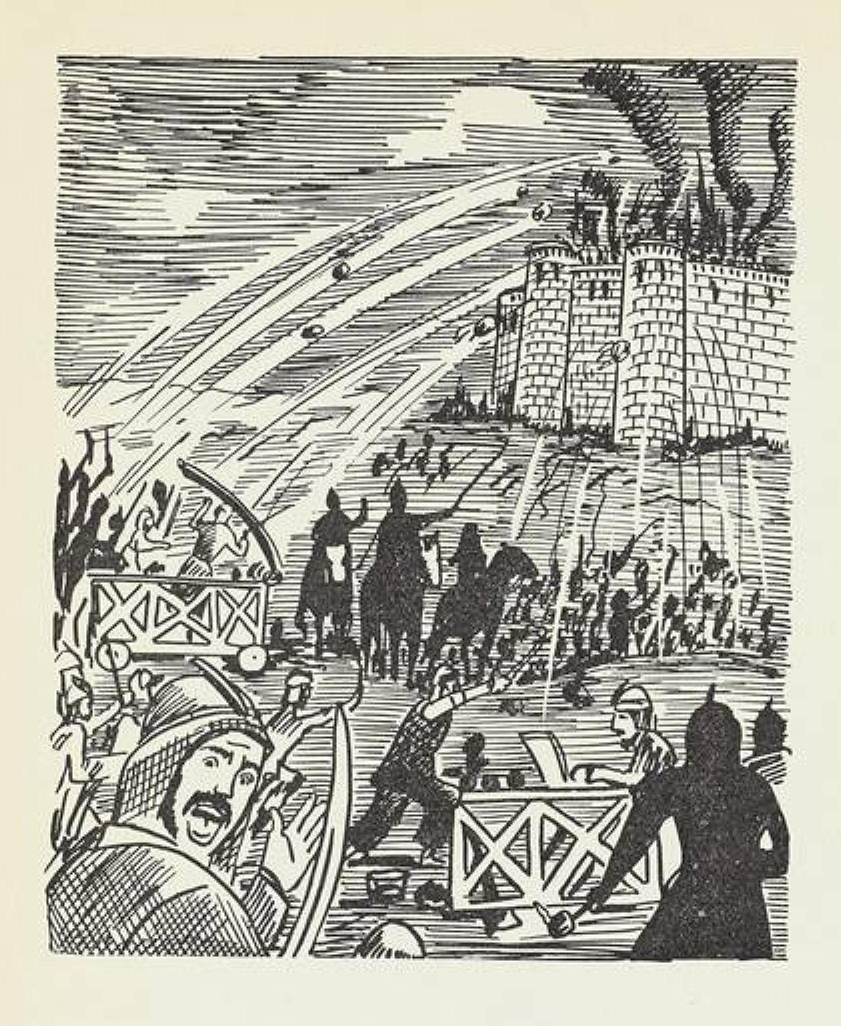
(١) معركة عين جالوت : هي المعركة الفاصلة التي وقعت بين جيش هولاكو الذي كان يقوده « كتبغا » وجيش المسلمين الذي كان بقيادة السلطان قطز ، وانتهت بانهزام جيش المغول في سهل بيسان غرب نهر جالوت في فلسطين

لقـد صهر نفسه الاسلام ووجهت سلوكه واعماله العقيـدة الساكنة المستقرة بين جنبيه ، وذلك الايمان القوي المتـدفق خيراً وحباً ورحمة ، في خفقات قلبه .. وهزج حناياه ..

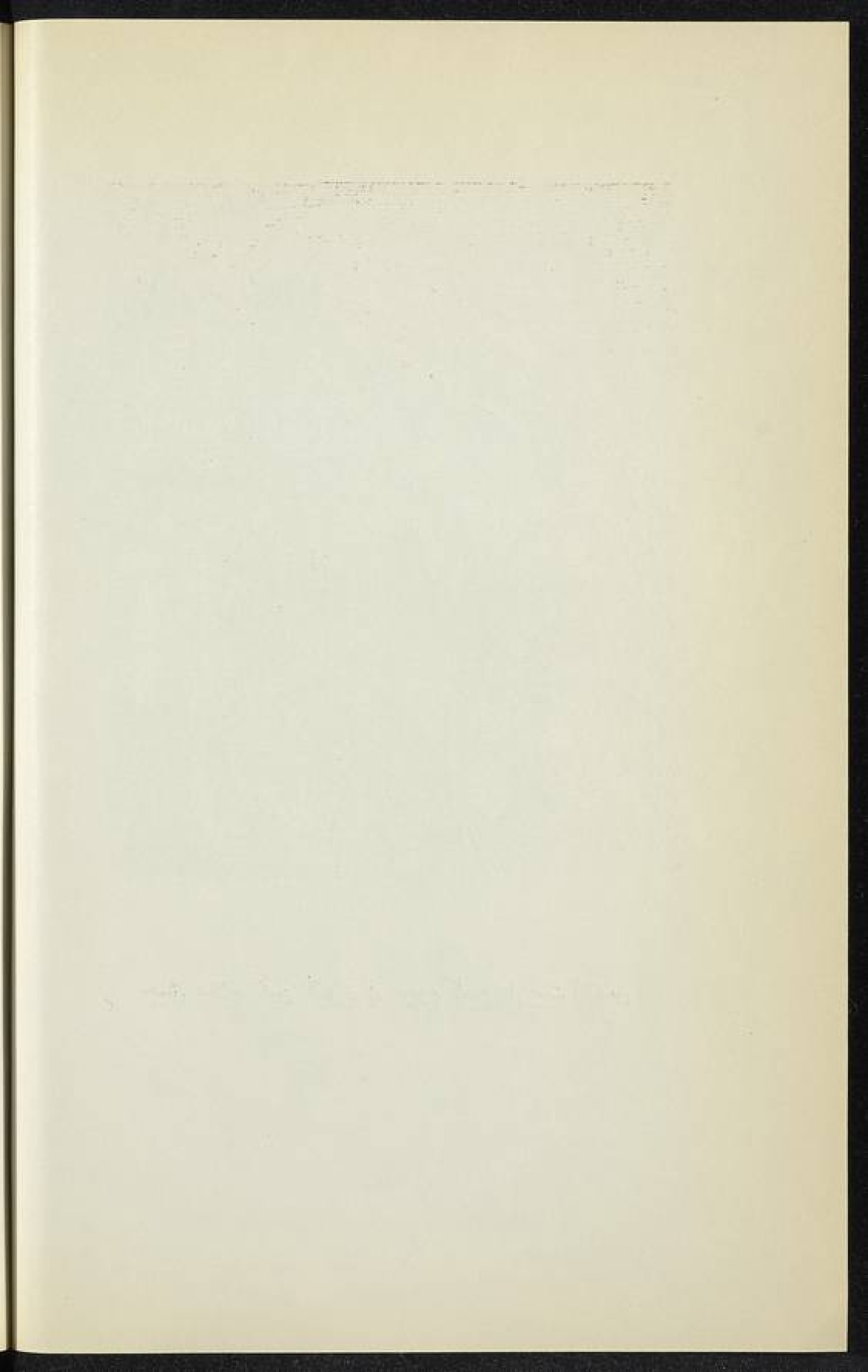
لقد كان بودي ان اعرض جميع هذه الذكريات ، التي تجاوب بها نفسي .. وتماوج في خاطري متدفقة متلاحقة ..

ولكنني لن اتمكن هنا ، من ان اذكر ايا من الاحـداث والبطولات . . وان اتمكن حتى من ان اقف عند النازلة الشديدة، التي نزلت بساحك ، والكابوس الثقيل الذي جثم على صدرك ، طيلة اربعة وسبعين عاماً في العصر الحديث ..

انني مفارق ارضك وسماك الساعة يا مصر يا بلد الاحباب .. الى بلد الاحرار . . الى بلد الابطـال المجاهـدين . . الى الجزائر العظيمة الأبية . . فوداعاً . . والى اللقـاء . .



جيش صلاح الدين الايوبي في هجوم كاسح على بيت المقدس



(٢٣)

تحية الى طرابلس الغرب

الا ما للبحر هنا يتراقص هكذا ويتماوج ؟ وما للسفينة تتمايل؟ كأنما تستبد بها نشوة من طرب وحنين ؟ وما لهذه النفس تشرئب، كأنما تتوقع هناك عند الافق البعيد، مرأى عجيباً ساحراً ..

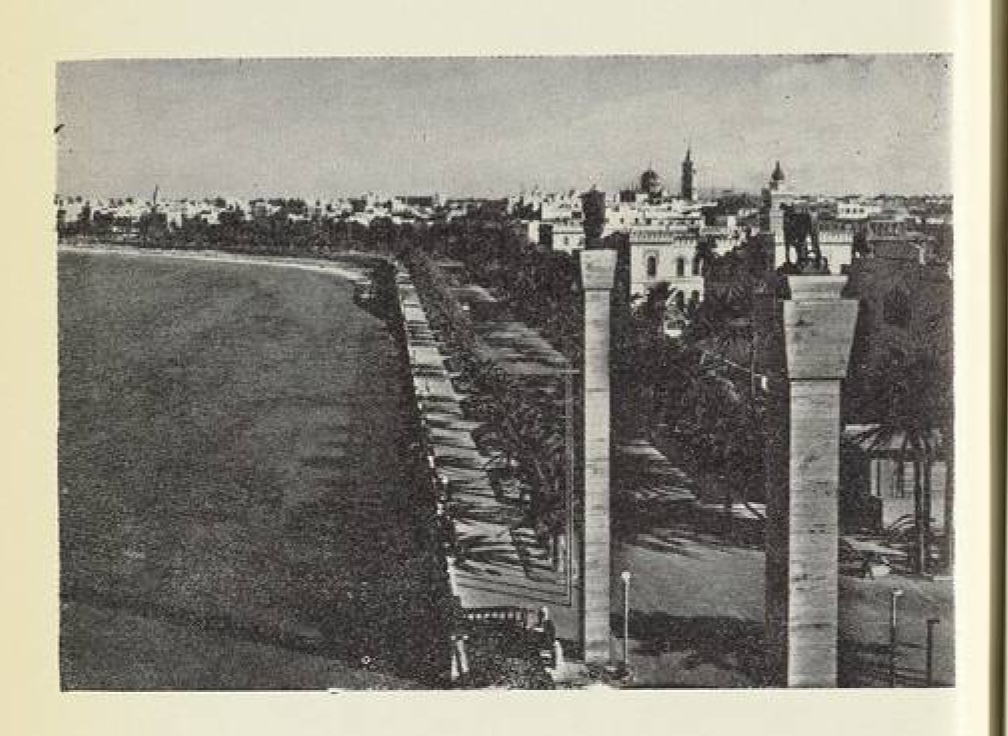
نعم لقد حق للبحر ان يتراقص، وللسفينة ان تمايل، وللنفس ان تشرئب وتعنق، فهناك وراء الافق، تمدد فاتنة الشواطىء الجميلة، هائئة حالمة .. تلك شواطىء طرابلس الغرب .. شواطىء ليبيا الفتية.

اسمحي لي يا طرابلس يا بلد الابطال، ان احييك تحية مغرم معجب بامجادك وبطولات ابنائك . .

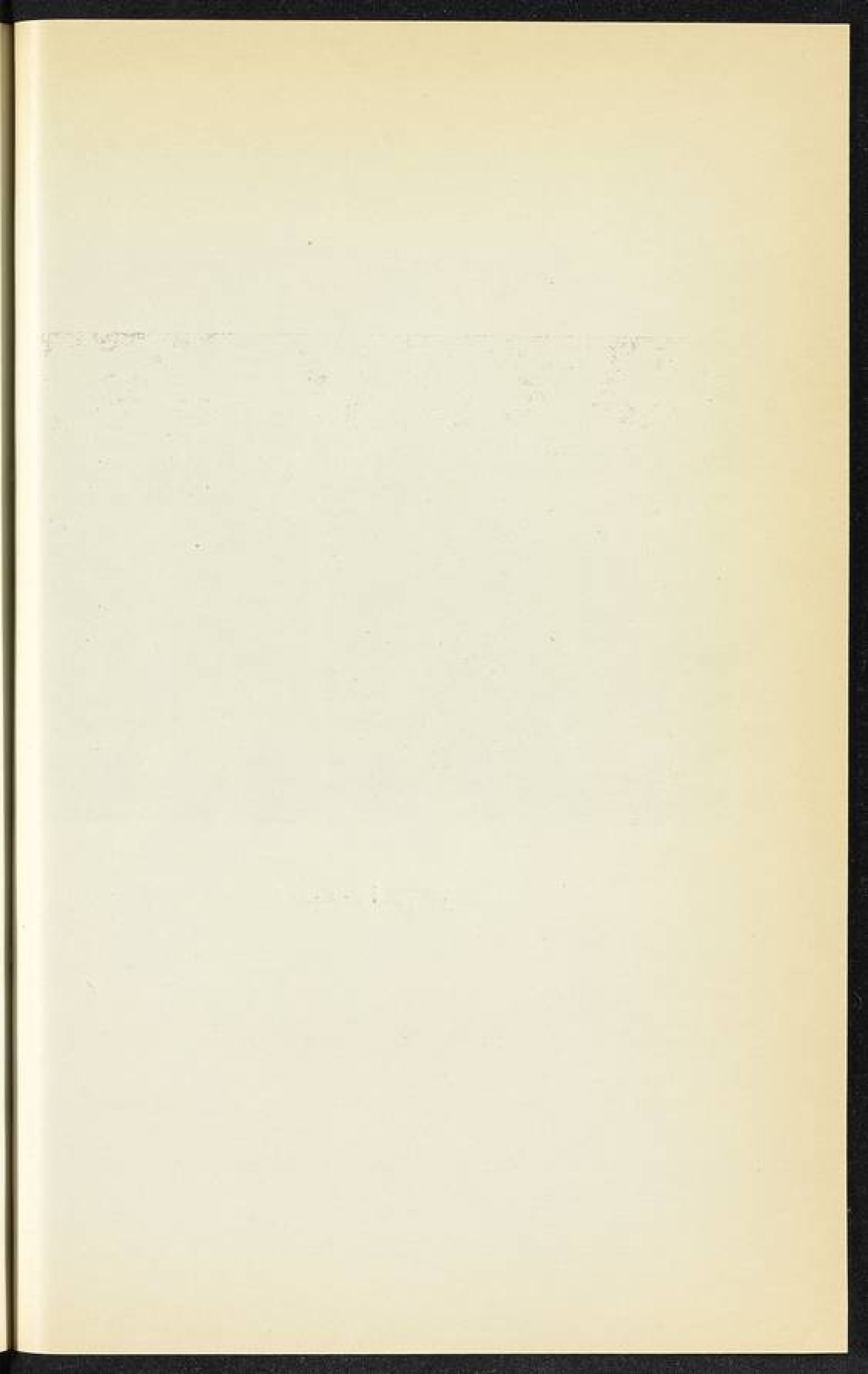
احييك يا طرابلس يا بلد الاحرار، وانا اكاد المح من مكاني هنا على السفينة، سواحلك التي يسعى اليها البحر والموج والسفين، في كل لحظة وكل ساعة من ليل ونهار، تسعى اليها جميعاً، لتقبل اكفها المبسوطة ولتركع عند اقدامها، في ابتهال العابد المتبتل، وفي رنو العاشق الولهان، تسألها وتلح في السؤال، وترجوها وتلحف في الرجاء ان تقص عليها حكايات البطولة، واقاصيص ابنائها الاحرار.

ان الدموع التي ذرفتها من اجلك ملايين المآق ، ومن اجل ابنائك الشهداء ، قد كفكتها اليوم ، يد الفرحة البالغة ، بحريتك واستقلالك . .

لقد انالك الله ما ابتغيت وطلبت ، فشاهدت وانت تكسرين القيد عن اقدامك ، في اندفاع وتوثب .. وتحطمين النير الذي ابهظ كاهلك به اللئام ، في عزمة عارمة وسرور ، شاهدت عدوك المتغطرس المتجبر ، وقد اذله الله . . لقد شاهدت عدوك المتسلط الكافر . . الكافر بكل شيء . . بكل القيم الانسانية والاخلاقية ، حتى بقيم الدين الذى يزعم انه من اتباعه وجنوده . . شاهدته وقد صرعه القادر القاهر رب الأرباب . . مذل الطغاة والظالمين .. الآله الذي توجهين اليه انت يا طرابلس الغرب بالحمد والشكر وبالدعاء والرجاء . . الفعّال لما يريد . . ذو القوة المتين . . شاهدت عدوك وقد خرّ الى الارض ، ذليلاً مهاناً ، تطؤه الاقدام ، وتدوسه النعال . . هناك في بلاده . . هناك في اوطانه . . فى سهوله ووديانه ، وعلى مرتفعاته وشطآنه . . هناك ذاق الذل انواعاً واصنافاً ، والمهانة اشكالاً والواناً . . وممن ؟ من بني جنسه وملته . . من الطغاة اللئام امثاله.. وقبل ذلك ، ذاق هنا على أرضك ، ومن أكف ابنائك ، طعنات



مدينة طرابلس الغرب



الانتقام النافذة ، فخرّ يعوي من الانين ، ذلك العملاق المستكبر العاتي .. واندفع يشتد في طلب الهزيمة والفرار ، تاركاً وراءه اشلاء مبعثرة خنقت بريحها النتن ، طبقات الجو وجوانب الفضاء .. ثم اقعى مستسلما .. يطلب الرحمة .. وينشد الامان ..

لقد سُرَّت وطغت عليها الفرحة واستبدت .. نفوس ابناء امتي في مشارق الارض ومغاربها .. في كل بلد .. وتحت كل سماء .. في كل واد ، وفوق كل جبل : البلد الحر الطليق والبلد الذي لايزال مغلول اليدين .. الشعب الذي يتنسم الحرية ، والشعوب التي لا يزال يخنقها ، ويفتنّ في خنقها واستعبادها ، الظلم والاستعمار .. كل اولئك فرح وغنّى في عيد خلاصك وحريتك ياطرابلس الغرب يا بلد الكفاح ..

لقد غنت هنا على شطآنك راقصة فرحة .. عرائس الماء .. التي قدمت تحييك في عيد الحرية والاستقلال .. تلك التي كانت من قبل تأتي شاطئك كئيبة حزينة .. تذرف الدمع ، وتندب في ألم وانين شبابك وفتيانك ، وهي تراهم صابرين محتسبين ، لا يعرفون النكوص ولا التراجع ولا الفرار .. ينزل بهم الظلم صباح مساء .. ويتساقطون

في ساحة الشرف . . ساحة الجهاد . . شم الأنوف . . منتصبي القامات .. مرتفعي الجباه . . تتتالى قوافلهم وتتتالى . . والزغاريد المليئة بالجرس القوي .. بالنشيد .. بالألم المكبوت .. بالنقمة والحرقة والبغض .. بنبرة الاضاحي وغنة الفخر .. بهزة الحزن الذي تلفه ابتسامة الأباء .. بحرقة الفؤاد تعتصره كف الآلام، يعلوها هفو الكرامة والاعتزاز؛ هذه الزغاريد تتعالى، وهي تزفهم راضية مستبشرة تزفهم هازجة هانئة .. وتزفهم هادرة بالنقمة ، صارخة بالانتقام ، تلك زغاريد الامهات ، وتلك اغاريدهن .

(١٤)

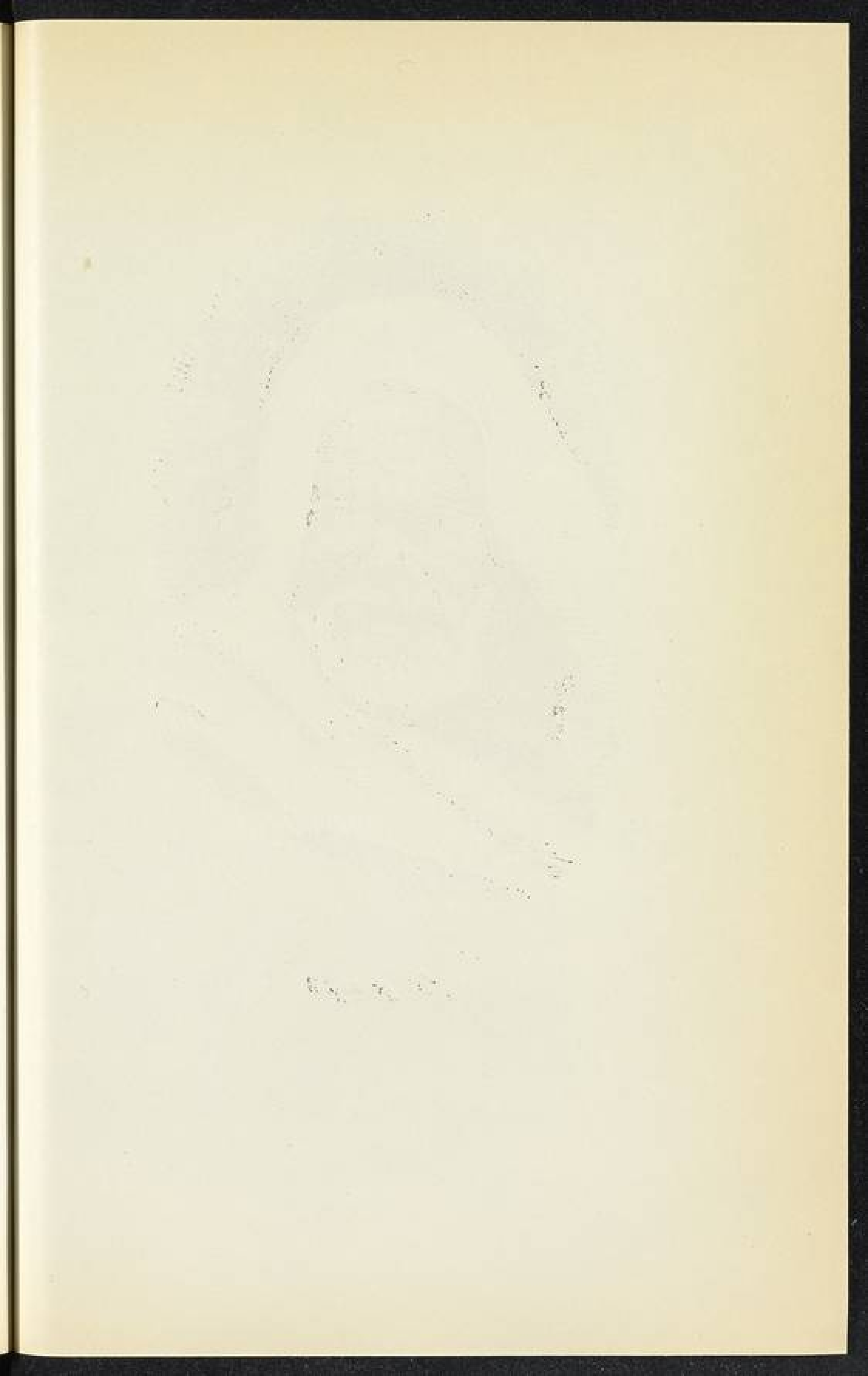
مع عمر المختار

كم من السنين التي انقضت قبل ان يجسر الغاصب المحتل اللئيم ، على ولوج بقاعك ومختلف انحائك ، فانزوى قابعاً مضطراً و مكرهاً ، جاثماً على الساحل في اماكن قليلة ضيقة بعض الوقت .

لك الله يا عمر ، ماكان لك ان تذيق هؤلاء الحملان الضعاف ، ما اذقتهم من الآلام لك الله ياعمر ، آه ، عند ما أذكرك تمتلىء نفسي



الشهيد عمر المختار



بالقوة .. واستشعر الفخر علأ صدري ، ويحيط بي من كل مكان .. وتظهر امام ناظري الى جانب ذكراك الساطعة ، صور ذليلة ، صور ضعيفة مقيتة .. صور ، ألا شاهت تلك الصور والوجوه .. تلك هي صور الزعماء والحكام ، صور الخونة المجرمين .. في بلاد امتي على اختلاف بقاعها وامصارها .

الا حياك الله يا عمر .. تذكرني ، كلما رأيتك بعين الخاطر ، باخوة مثلك .. بابطال يتفتح صدري لذكرهم ، وتدمع عيني من فرح واعتزاز ، عند كل خاطرة تهزني اليهم ، وتدفعني الى رحابهم .. اتشوقهم من دنياي الكاذبة العاجلة هذه ، وهم في دنيا الحق الدائمة السرمدية .. في رحاب الله .. يثيبهم ذو الجلال على ما انفقوا في سبيله وفي سبيل اوطانهم وبلادهم بصدق ، وما جاهدوا باسمه الكريم .. يثيبهم الرضى والقبول .. والجنة مع الأنبياء والصديقين والصالحين .. « وحسن أولئك رفيقاً » .

لماذا كلما ذكرت طرابلس العرب ، ذكرتك يا عمر المختار ؟ ولماذا كلما ذكرت الغدر واللؤم والوحشية ، عددت في الامم المتميزة بها .. امة الطليان ؟ ولماذا كلما ذكرت النفس الحرة الأبية ذكرتك

يا ايها البطل النبيل ؟ . . يابن طرابلس ، ياعمر المختار ، يا ايها الشهيد الخالد . .

انا وان لم أشاهد ارضك ياطرابلس الحبيبة .. ارضك التي تشتعل بالوطنية ، متأججة لايفتر لها شدو ، ولا يتوقف لها نشيد . . فانني استروح من بعد ، نسماتها التي تؤجج في صدري العزة ، وتدفع الدماء في عروقي هاتفة بالفخار ، هازجة بالأنفة والقوة والاعتزاز .

لماذا كلما ذكرتك يا عمر المختار ، التهبت اضالعي ، واشتدت بي النقمة على اعدائك واعدائي ، واعداء امتي . . وهتف بي هاتف الانتقام ؟

لماذا كلما ذكرتك يا عمر المختار ، يا أيها المجاهد الباسل ، يا ايها الشهيد الخالد ، يا ايها الشهم الوقور ، يا ايها البطل الذي قهر الكبر والشيخوخة وضعف البدن ، ووهب نفسه للجهاد . . فحمل البندقية ، وقاد الرجال . . قاد رفاقه الاشاوس الابطال . . وسهر الليالي الطوال في رؤوس الجبال ، واوى الى المغاور والكهوف . . وصاول على الرمال المنبسطة . . على أرض الصحراء الحارة القائظة . . وفي كل مكان . . وكلف جسمه وسنه فوق ما يستطيع ان يحمل من عبء لماذا كلما

ذكرتك احسست أني املك القوة . . القوة الهائلة . . وشعرت بتوثب واندفاع عجيبين ، يهزان كياني هزاً . . ويسعّران احنائي ، بلهيب لا يحاكيه اي لهيب . . وايقنت ان لو اجتمع الطغاة والمستبدون والاغراب والمستعمرون . . والهمج والمتوحشون ، في رجل واحد عملاق مخيف ، لهجمت عليه ، ففتكت به وحطمت رأسه ومزقت جنبيه . .

يا ايتها النفوس التي فقدت كل مميز يميزها عن الحيوانات والوحوش الضارية ، من اية بؤرة مرذولة موبؤة بأحط الغرائز واخس الطباع ، سقيت وتغذيت ؟

الوحوش الخسيسة الطبع ، الدنيئة اللئيمة ، تتصايح في اشمئزاز ونفور . . وتتدارى في خجل واستحياء وهي ترى دنيء فعالك ، والاعمال التي ارتكبتِها بحق شعب طرابلس الاعزل ، وما انزلته بعمر المختار .. بالشيخ البطل .. ستظل هذه الفعال ، وهذه الوحشية ، وصمة عار في جبينك الممرغ بالوحل والتراب الى الأبد يا ايطاليا[1] يا دولة النذالة والغدر .

---

(١) المعنية بالقول هنا ايطاليا الاستعمارية . أما إيطاليا اليوم فهي دولة صديقة وامة تكره الاعتداء والاستعمار .

ولكن من يرسل انغام الناي ، حزينة تكاد تتقطع لسماعها اكبد الصخر ، وقلوب الجبال ؟

من يبعث اللحن هكذا خفيفاً ، يغص بالعذاب ، متقطعاً تعصف به الآلام ؟

من يجرح اسماع الكون ، بغنائه الواني الضعيف ، المبهور النفس ، الغريق في الجراح ؟ !

من ينشد فتلوى في نشيده الزفرات ، وتتهالك من اعيائها الهمسات ، والآهات ؟ وتتشح الحانه بوشاح دامع ، داكن السواد .. والبطل مغمض الجفن ، هامد الانفاس ؟ .

ام اهله وذووه ؟ . . _ كلا

ام فتيان وطنه وبنوه ؟ . . _ كلا

ام اخلاؤه ونساؤه ، ورجاله ومحبوه ؟ _ كلا . . كلا . .

اولاء جميعهم شيّعوه فرحين لاستشهاده اولاء جميعهم حيّوه هاتفين في فخر : لقد استشهد البطل .

اولاء جميعهم تصايحوا حين ولّى وقضى ، ألا إنا لله وإنا اليه

راجعون . . اولاء جميعهم هتفوا : ان ساعة النصر قد قربت ودقت ..

اذن من ارسل الدقات الحزينة ، واللحن المتقطع الخفيف ، والزفرات والآهات ، والغناء الواني الضعيف ؟ .

لو سألتَ اكبد الصخر وقلوب الجبال المتقطمة المتصدعة لقالت : انا سمعنا بكاء النسيم .. وانغام نايه الحزين .. فتفطرنا لوعة وحزناً .

لو سألت اسماع الكون ، لقالت : لقد انسابت اليَّ النأمات والنسمات ، جريحة القلب ، كسيرة النفس ، فأسالت من احشائي الدماء . .

ولو سألت الارض والسماء .. والزهر والنهر والضياء . . لو سألت النبعة الثرة الهدارة .. والجبل الذي يزهو بعظمته ويدل بكثيف شجره ونبته ، والتراب والحصى والحجارة .. وكل ريح تهب فترسل الانين .. وكل ظل ممدود وارف جميل ..

لو سألتها جميعاً لقالت كل واحدة منها ، يخنق صوتها الزفرات

وتشهق بالعبرات ، انا من أرسل الانغام الحزينة .. انا من اطلق اللحن المتقطع ، انا من غنى " مبهور النفس ، غريقاً في جراحه .. انا من انشد فتلوّت في نشيده الزفرات ، واتشحت الحانه بوشاح دامع داكن السواد .

فسلام عليك في عليين ، يا أيها الشيخ الشهيد .. سلام عليك فى الخالدين .. سلام عليك في جنان الخلد وجنات النعيم .

(١٥)

الى تونس الخضراء

ايتها السفينة المنطلقة انطلاقة السهم .. المندفعة اندفاع الخاطر .. ماضية تشق الخضم المزبد المتماوج ، كأنها جني افلت من عقال . . رويدك ، حي معي نسائم طرابلس الغرب وهي تبتعد .. ويحك ردّي عليها التحية .

وكأنما قد وعت ما قلت .. وشعرت بانغام النسمات ، تبتعد عنها شيئاً فشيئاً .. فسرعان ما تمايلت واهتزت ، وارسلت التحية على طريقتها الخاصة ، صريراً مكتوماً من جوانبها ، ارتفع على اثر موجة عالية عاتية

حملت السفينة الى الاعلى، وهبطت بها مرة واحدة ، فكادت ان ترديها في هاوية مالها من قرار ، لولا سرعة اصطفاق الموج من حولها ومن تحتها ، هذا الاصطفاق الذي دل على شدته وعزمته ، ذلك الصوت القوي ، الذي انبعث قوياً رهيباً في طقطقة جوانب السفينة ، وفي انينها وتأوهها ، وفي صريرها العالي الطويل .

ثم لم تلبث حتى اندفعت بعد ذلك ، ماضية لاتلوي على شيء .. كأنما ذكرت على حين غرة ، موعداً لها مع حبيب طال اشتياقها اليه وامتدت غيبتها طويلاً عنه .. فهي في لهفة طاغية وحنين متزايد .

هاهي السفينة الآن تمخر عباب الماء تجاه تونس . . تونس الخضراء .. التي لم تبد لنا سواحلها الجميلة بعد .

ولكن هذا ماؤها وتلك سماها .. هذا نسيمها يصافح الوجوه ، لطيفاً عبقاً باذكى رائحة واطيب نشر .. فاملأ صدرك من هوائها العليل .. يا ايها المحب الذي عشقتها وهي حلم جميل ، يتراءى لك في المنام . ورؤى ساحرة تداعب جفنيك في عالم الخيال . . ها انت ذا الآن نعوم في مائها .. وتحيا تحت سمائها .. وتستشعر وانت تملأ

العلي من جوها الحبيب ، فرحة تغمرك بفيضها .. وتسقيك من راحتيها احلى الشراب ، واعذب الهناء .

ونظرت نحو الافق امامي مستطلعاً .. يستبد بي شوق عارم ولهفة مشبوبة .. احدّق النظر ، والنفس والبصر يتطاولان ويعدوان متسابقين ، على ان يرى احدهما هناك عند الافق ، اثراً أو شجراً يدلان على السواحل الحبيبة ، والارض الفواحة بالامجاد . سواحلك وارضك انت يا تونس .. يا بلد الكفاح .. ليسبق بالبشرى والخبر ..

ولكن ما هذا ؟ ماذا ارى ؟ هذه هي تونس .. هاهي ..

وانطلقت هذه الهتفة من فمي ، صرخة قوية خارجة من اعماق نفسي .. واذا يد صاحبي تلكزني بعنف ، محذرة ومنبهة .. فثبت الى نفسي .. وتطلعت حوالي في هدوء ، ثم تنفست تنفس الاطمئنان اذ لم يكن هناك احد الى جوارنا وبقربنا . واذا صاحبي يحدثني فلا اكاد اسمع منه الا همساً خفيفاً ناعماً وهو يقول : رويدك .. فليس هناك شيء بعد . .

وحدقت من جديد ، واطلت التحديق ، واذا ما قاله صحيح .. واذا مارأيت اوخيل الي اني رأيته .. لم يكن الا وهماً خادعاً كالسراب..

ثم قلت يتملكني الغيظ : ولكن مالهذه السفينة متباطئة متمهلة.. اسرع منها سيراً السلحفاة ؟!

قال صاحبي ..ويحك ، ان السفينة ماضية في اقصى سرعة واشد انطلاق .. فاهدأ ..

وغربت الشمس..واخذ ضوء النهار يختفي ويغيب..واحسست ان الصبر والهدوء اللذين اتعلـل بهما ، واتكيء عليهما ، وأؤوب اليهما كلما ضج بي الفؤاد واستعر الحنين ، قد اخذا بدورهما يختفيان عني ويغيبان . .

وبدأت حجب الظلام الكثيف ، تنسدل وتنسدل .. وهي تلف الكـون في ردائها الواسع الفاحم.. في الوقت الذي اخذت فيه السفينة تخفف من سرعتها وانطلاقها وغلوائها..

ومضت ساعة .. وتبعتها ساعة اخرى .. وكل ما حولنا ظـلام في ظلام . . اذا اخرجت يدك لم تكد تراها . . ظلمـات بعضها فوق بعض .

ولم تظهر لنا بعد في الافق البعيد ، اية بارقة او ضوء يـدل على على اقترابنا ووصولنا .. فما زال الماء ، هو كل شيء يطالعنا ونطالعه..

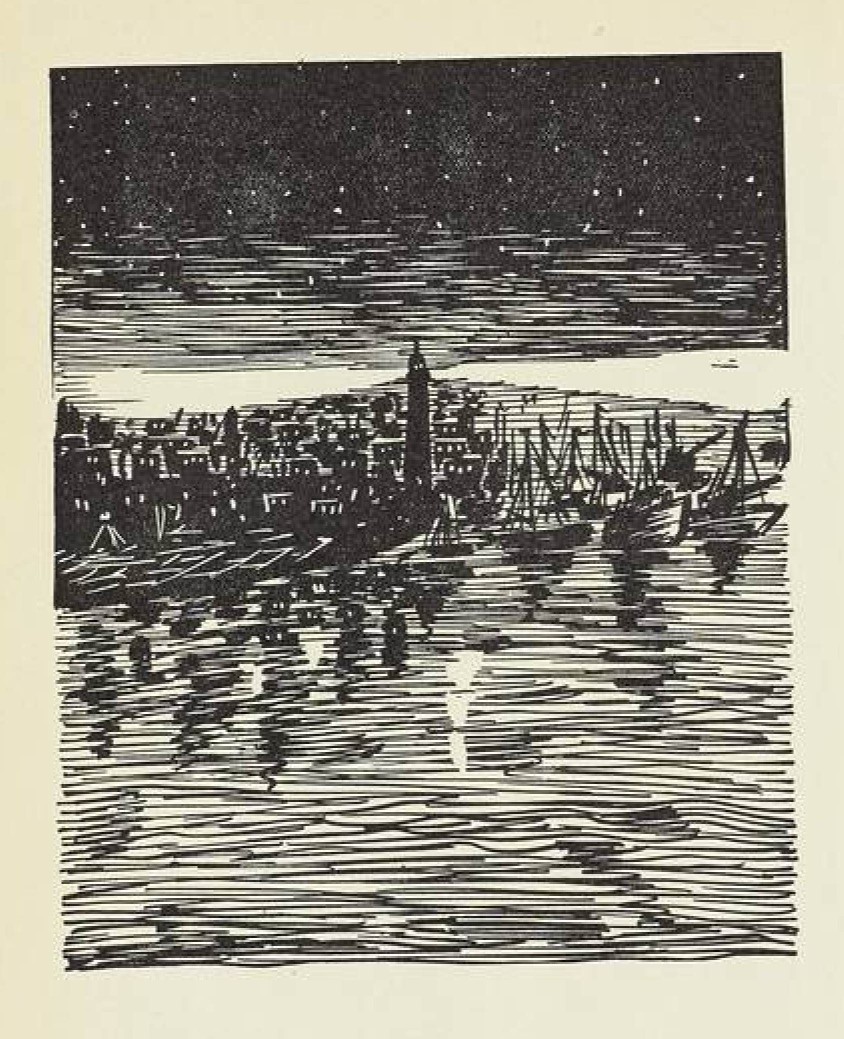
وما زال صوت اصطفاق الموج من حولنا، هو، هو .. يحاورنا فنستمع اليه .. يحيط بنا وما لنا عنه فكاك او براح . . وكاد الليل ان ينتصف عند ما أرسلت الباخرة صوتها الأجش العريض، وتبدت لنا في الحال اضواء كالنجوم ، تلتمع امامنا متراقصة على صفحة الماء .. وقيل انها . . ميناء بنزرت .. الميناء التونسي الهام .. اذن هاهي تونس اخيراً . . وهذه هي ارضها المفداة .

لما ذا حجبت ايها الظلام عنا ، صورة الارض التي نعشق . . والتراب الذي نهفو اليه .. ووجوه القوم الذين نحب ؟ ..

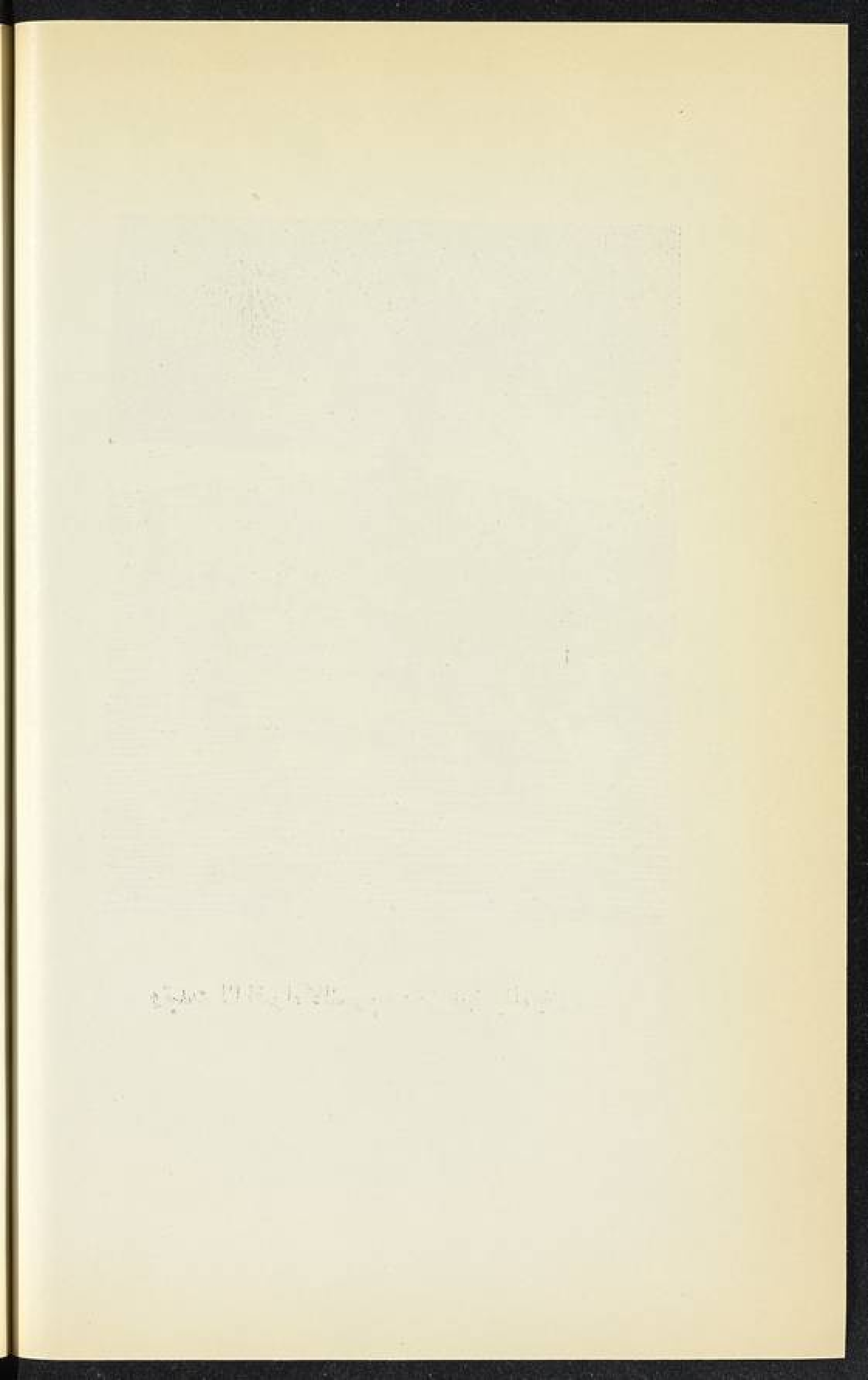
وطلع الفجر .. وارسلت الشمس اشعتها الذهبية المضيئة . . فاذا البلد الحبيب ، تبهر انواره العيون .. وتستهوي الافئدة والضلوع . . هاهو ذا الميناء .. الميناء العظيم . . الميناء الذي كان يمكن ان تطل منه عظمة تونس .. لو أن تونس هي التي تباشر سيادتها عليه ! .

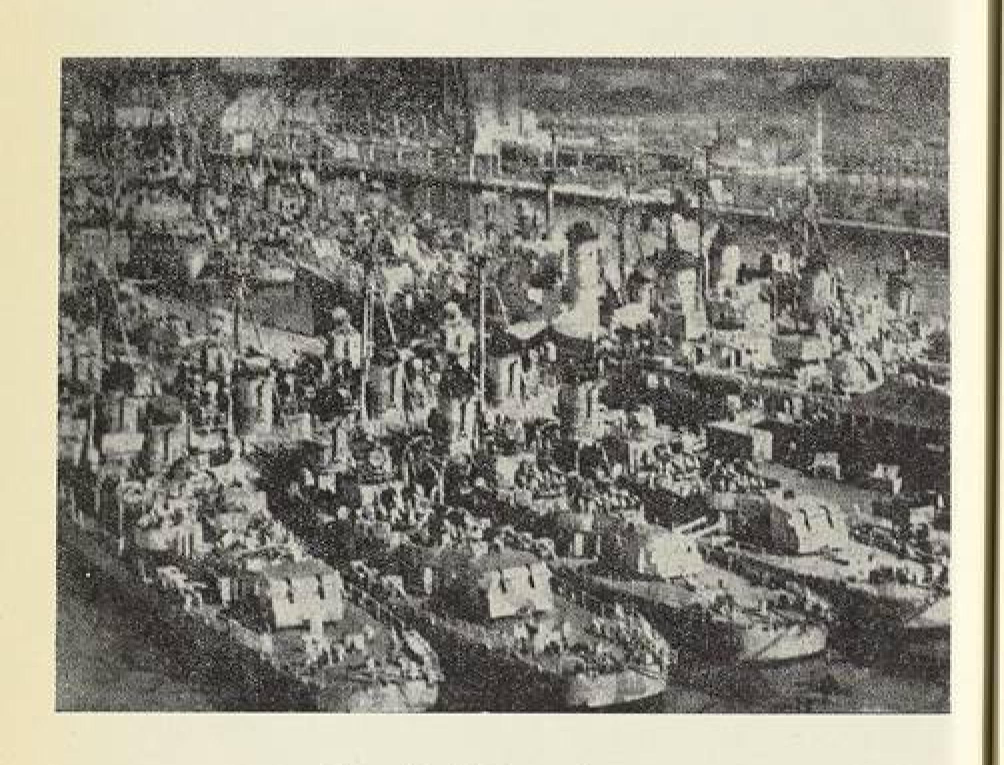
اي الم مرير يصيب المرء واي خيبة امل يشعر بها ، عند ما يتطلع ، فاذا الميناء لايزال يتحكم فيه الذئاب .

ثم هذه الارض ، ارض تونس العزيزة ، مازال اللصوص يقيمون فيها ، يرتعون وينعمون .

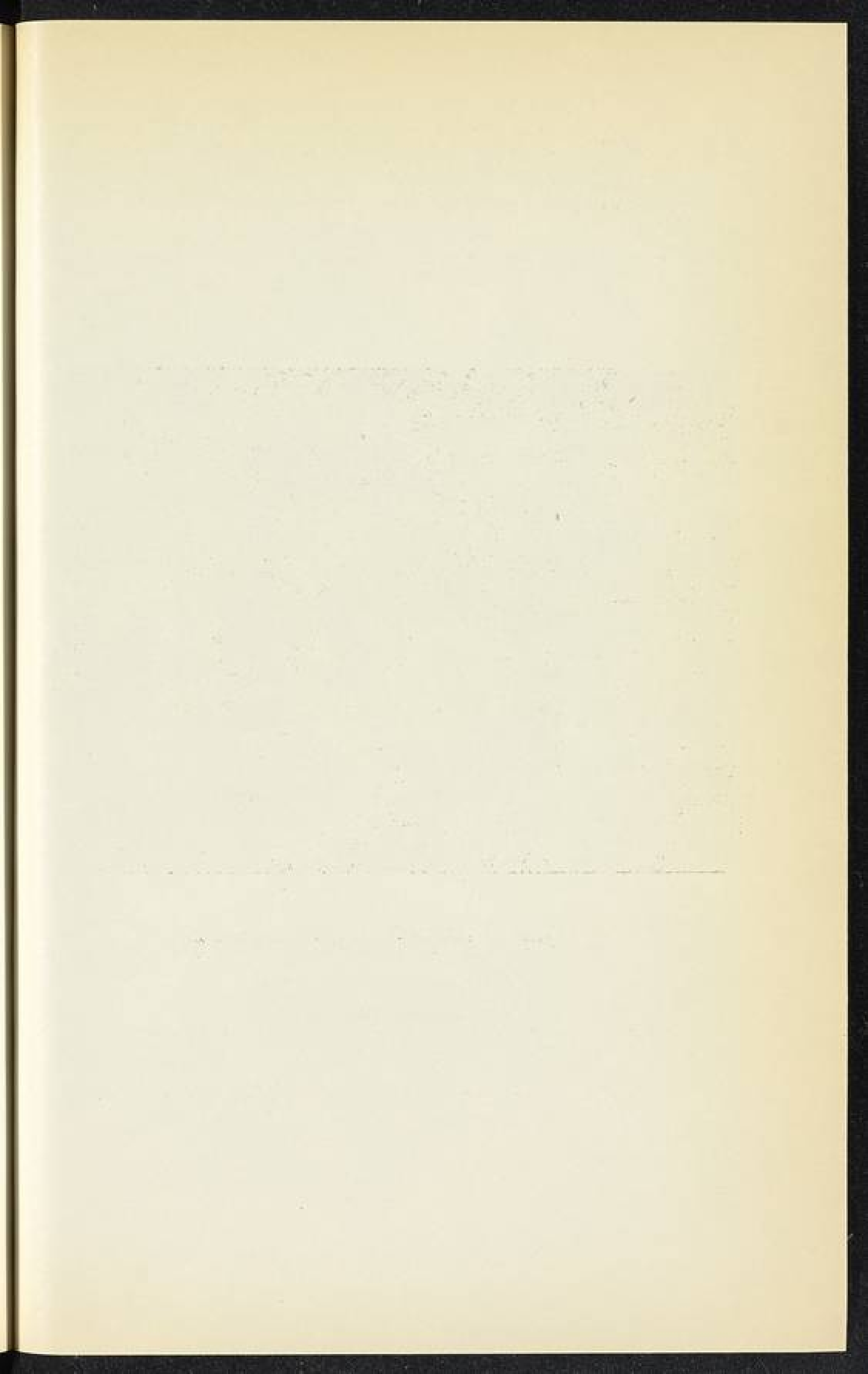


وتبدت لنا اضواء كالنجوم ، وقيل انها ميناء بنزرت .





ميناء بنزرت وتظهر فيه القطع الحربية العدوة . .



لم تكن هذه الارض يوماً للوحوش ، فأين انتم يا ابناء تونس ؟
لم تكن هذه الارض يوماً للغرباء واللصوص ، يا شعب تونس الأبي ،
لم تكن ارضكم الطيبة هذه ، مرتعاً للهمج والمجرمين .. فمتى تطهرونها
من رجسهم ؟

انتم ابناء اولئك الأباة .. انتم ابناء اولئك الشجعان .. وهذه
عدوتكم اللئيمة .. هذه فرنسا عدوة الانسانية وعدوتكم اللدود .
تقيم في بلادكم بالقوة ، تشمخ وتستعلي ، وتدوس ترابكم الذكي بكبر
وعتو ، فالى متى هذا الذل ؟ .

افتقرت بلادكم الحرة الى فتى يمد ساعده القوي ، فيجتث ارجل
الدخلاء الاعداء ، ويبتر هذه السوق المقيتة ، فلا تمشي بعد ذلك على
ارضه ، ولا تدوس ترابه .

الا ايها الاحرار اين الفتى الأبي فيكم ، الذي يستشعر عند ما
يرى هذه الارجل وهي تطأ أرض بلاده ، انما تطأ رأسه وتدوس قلبه
وتاريخه وامجاده ؟ .

الا اين هذا البطل ؟ الا اين هذا الساعد القوي ؟ الا اين هي
تلك النفس الكريمة التي تأبى الذل ، ولا ترضى بالهوان ؟ .

آه يا تونس الحبيبة ، هل قدر عليك الى الأبد ، أن تطأطئي الرأس للفجرة واللصوص ؟ هل قدر عليك الى الأبد ان تخفضي العين امام الانذال واللئام ؟ .

من هؤلاء المتوحشون الذين يحكمونك ؟ من هؤلاء المتجبرون الذين يتحكمون في ابنائك وارزاقك واقواتك .. لا يرد لهم أمر ، ولا يرخى من دونهم ستر ولا حجاب ؟ .

فرغي يا نفس جبينك في التراب .. فلقد قبلتِ الذل ورضيت بالهوان .. وأخرس صوتك يا ايها اللسان ، فلقد سكتَّ عن الطغاة ، ولم ترسل الصيحة راعدة تزلزل الارض ، تحت اقدام الجلادين الجناة .. فما هي قيمة الحياة اذا كانت خضوعاً وقيوداً وعبودية ؟ .

ماقيمة الحياة للضعفاء الذين يستجدون الحياة من اعدائهم الغلاظ القلوب ، الجفاة الطبع .. بل من اي عدو مسيطر ممقوت .

ماقيمة الحياة ، ان كانت في ظل سجن وسوط ؟ ما قيمة الحياة ان كانت خنوعاً واستسلاماً ؟ ما قيمة الحياة تحت رهبة القتل والفتك والتشريد ؟ تحت وطأة التعذيب والخوف والارهاب ..

احلى واشهى من كل ذلك .. الموت .. الموت فى عراك القوة الغاشمة ، حتى تباد أو تقهر .. الموت في مقارعة اللئام ، وجهاً لوجه ، ويداً بيد .. ولطمة بلطمات .. حتى يخر تحت عنيف الضربات وصادق الهجمات .. هذا البناء المستعلي ، المستتر وراء حصن من الحديد والنار.

فلا حياة بلا عراك .. ولا نصر من غير معركة .. ولا حرية من دون أضاح ودماء ..

(١٦)

تونس الأبية العزيزة

ويحي .. غفرانك يا رب .. صفحاً يا تونس الأبية .. كيف قلت ما قلت ، وان جميع ابنائك ابطال ترعرعوا في ميادين الجهاد والجلاد .. وتمرسوا في ساحات الوغى والقتال ؟ . كيف اسأل عن فتيانك ، وعن سواعد الأباة .. ولقد دوخ فتيانك الشجعان ، وسواعد رجالك الاحرار ، امة العدوان ، وجيوشها القوية الجرارة ؟ .

لم تهدأ فيك ثورة الا لتتبعها ثورات .. ولم تسكن فيك عاصفة

الالتهاب عواصف .. ولم يستطع النار والحديد .. ولا الخسف والعسف والارهاب ، ان يغير شيئاً من صلابتك وبأسك وقوتك ..

ولكن لماذا القيتِ السلاح ؟ انا اعلم انك لم تلقه عن تسليم وانكسار .. ولا عن خوف وجبن ورهبة .. فلقد كنتِ من ثمرة الانتصار قاب قوسين او ادنى .. اذن لماذا القيت السلاح ؟ افلا يحق لمثلي ان يعنف عليك باللوم، ويشتد بالنكير والتعنيف والمؤاخذة ، وهو يشعر بالألم والساحق يعتصر فؤاده وقد رأى اخوة له احبة ، استطاعوا ان يقبضوا بيدهم القوية ، على عنق العدو الغادر الزنيم ، وان يتمكنوا منه غاية التمكن .. ولكن ..

في الوقت الذي ارتفعت فيه يدهم الثانية ، لتجهز على الافعوان الذي ينفث السم ، تسلطاً وتحكماً واذلالاً .. لم تنزل اليد بالضربة الهائلة القاضية .. ولا بقيت اليد الاخرى ، قابضة على عنق الظالم العاتي .. بل تراخت .. ويحي .. لقد تراخت .. وهل تراخت فقط ؟ لا .. هناك اسوأ من ذلك .. استسلمت .. وسلمت السلاح .. السلاح الذي فيه حياتها وحريتها .. وفيه عزها وكرامتها ..

اهكذا ترضى امة الكفاح والبطولات ، ان تنكص على اعقابها

وهي في احرج وادق ساعات الجهاد؟ وماذا كانت النتيجة؟ هل غادر العدو بلادكم، وجلا عن دياركم؟.

اين هو الاستقلال الذي تم؟. اين هي الحرية التي تكبدتم من اجلها ما تكبدتم؟. انا اعلم ان لكل كفاح، هدفاً وغاية.. فهل كل هذا الكفاح والجهاد.. وكل هذه التضحيات التي قدمتم.. وكل هذا العراك الطويل.. والدماء التي اهرقت.. والارواح التي فاضت الى بارئها.. من اجل هذا الاستسلام؟!. واين هو الهدف؟ اين هي الغاية؟ انني لا أكاد المح الا هدفاً مموهاً هزيلاً.. والا غاية تافهة لا تثبت لمستطلع.. ولا تقوى على غمز، ولا تروي ظمأ ولا غليلاً..

ليس لكل هذا عندي، سوى تعليل واحد.. لقد انتصرت فرنسا.. وكيف لم تنتصر؟ وقد استطاعت ان تستخلص من يد المكافحين، النصل المرهف.. وان توقف هذا السيل المتدفق.. والشعور اللاهب.. والمعارك الطاحنة التي لا تنتهي، لتتفرغ لجيرانكم.. لاخوان لكم هناك في الجزائر.. كي تخمد صوتهم الداوي.. وتقضي على معركتهم المستعرة الحاسمة.. معركة الحياة والموت..

انا ان انكرت عليك لقاء السلاح.. والاستسلام يا تونس

المجيدة .. فلأني لا أحب لك الا المجد الناصع .. لا أحب لك نصف استقلال . . ولا أرضى لك نصف انتصار . . مع أني اكبر فيك هذه الشهامة وهذه التضحية . . وهذه الطاعة التي تجلت في وحدة كلمتك ووقفتك . . .

انا ان انكرت عليك ما انكرت . . فلأني كنت اشتهي لك نصراً حاسماً مؤزراً . . نصراً لا يبقي اثراً لجلاديك هنا على ارضك . . لا يبقي اثراً لفرنسا الذليلة هنا ولا ظلاً .. نصراً تباشرين معه سيادتك كاملة . . وحريتك زاهية ناصعة ..

انت ان اغمدت السلاح اليوم . . فليكن الى حين . . وليكن عن حذر . . فأنت ما اغمدت سلاحك إلا لكي تثبتي للعالم أجمع ، انك تستطيعين ساعة تشائين ، ان تهادني وان تسالمي . . وان هذا منك ليس عن ضعف ولا عن خور واستسلام .. فان ماضي كفاحك وآيات جهادك . . صور بينة ناطقة معبرة عن شدة بأسك ، وقوة مراسك ، ومضاء عزيمتك ..

لقد علمتنا الايام ان لا نأمن لغريب .. ولا نام عن دخيل .. فكيف بالمستعمر الذي بلوناه ، وذقنا منه المرارة والالم والعذاب ..

لقد علمتنا الايام ان نبقى على حذر وأهبة . . مع كل عدو . . ومع كل غريب .. وحتى مع كل صديق ! .

يجب ان لاتتكرر المآسي .. وان لاتتكرر المصائب .. فلنصادق دول العالم كله .. ولكن لتبق ماثلة امام عيوننا .. الانياب والمخالب .. لتبق نائحة في اسماعنا ، اصوات الابرياء والضعفاء تئن تحت وطأة التعذيب ، الذي لايزال على كل ظهر من آثاره اخاديد وعلائم . . وفي كل جسم من ضربات السياط ، ندوب وقطوب ..

لتبق مالكة عقولنا وعواطفنا .. وسائل الظلم والفتك والمهانة .. ولتبق في زئيرها جياشة عارمة .. ثورة النفس من ألم الذل والتسلط والجور . . لتبق في خواطرنا وامام انظارنا . . قسوة هذا العهد المظلم الكريه . . هذا العهد الطويل الذاخر بالصور البغيضة . . بالاذلال والتقتيل والتجويع ..بالتحكم والسيطرة والاستعلاء ..

يا ابناء تونس الحبيبة .. يا ايها الابطال .. سلام الله عليكم ورحمته وبركاته .. سلام يقودكم الى العزة .. ويبوئكم مقاعد المجد . . ويرفعكم الى مراقي الخير ومنازل الفخار .. سلام يلف ارجاء بلادكم ، وقد باشرت سيادتها كاملة .. بالنور والأمل ، والحياة البناءة الرغيدة .. سلام يفيضه

الله عليكم من فضله ، بركة وامناً وسعادة . . سلام عام شامل . . ينزل على صدوركم برداً وسلاماً . . وامناً وحرية وسعداً ، وانتم تاركون غداً ان شاء الله ، لاخوانكم في الجزائر ، سلامهم العام الشامل . . وحريتهم العامة الكاملة . . وسيادتهم التامة المطلقة باذن الله . .

يا تونس الخضراء . . يا ابتسامة الفجر الندي . . وامل الصباح المشرق . . يا هتفة القلوب ويا رجع الفؤاد . . يا نشيد العصافير تغني مع بسمة الشمس واشراقها ، اغاريد الحرية والانطلاق . . يا نشيد الجنائن للودق والندى والنسيم . . يا نداء النفوس وهي تغني في عيد الحرية ، اناشيد الفرحة واهازيج الكرامة ، مكفكفة دمعة السرور . . هاتفة من الاعماق . . اليك تحيتي خفيفة نشيطة . . ضاحكة العين والفم واللسان . . اليك تحيتي ناعمة هانئة . . مباركة تنقل اليك اطيب الاماني وأسعد الآمال . .

ياتونس الخضراء . . ياتونس الحبيبة . . ياتونس القوية المتحررة . . من اين صيحات المجد هذه ، تتعالى في رحابك هادرة عالية النبرات ؟ من اين اسمع هذا الصوت الجليل ، هذا الصوت القوي ، هذا الصوت المليء بالايمان والرجولة والاعتزاز ؟ من اين اسمع هذا الصوت

تتجاوب بعزمته جوانب الفضاء يرقب المستعمرون صداه خائفين وجلين .. ويستمعون اليه مرغمين .. وينتظرون آثاره .. ثورة حمراء لاهبة .. وطعاناً وقتالاً وعنفاً في كل مكان .

من اين يأتي هذا الصوت الذي يبعث في الجثة الممدة الهامدة الحياة ؟ من اين يأتي هذا الصوت الذي يعيد الى هذه النفوس ، أمنها ويقينها وقوتها ؟

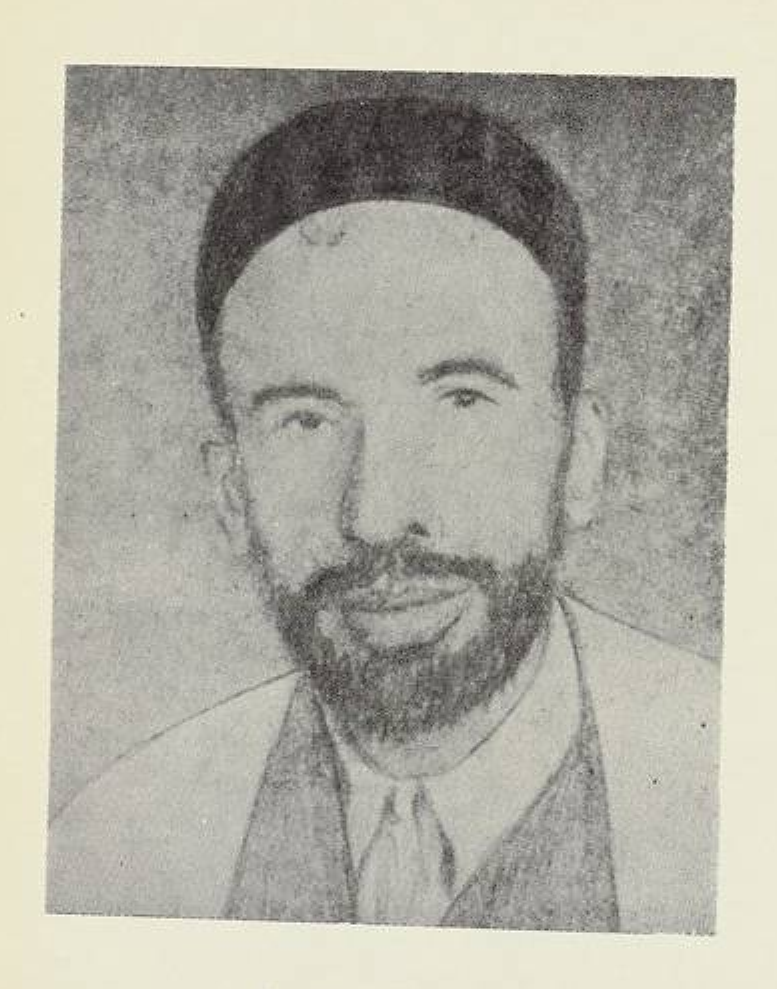
من اين يأتي هذا الصوت الذي يمس القلوب ويلمس الافئدة.. فاذا هي مملوءة ثقة واعتداداً واذا هي خلق جديد وايمان متقد ؟ .

انه يأتي من هناك .. من بقعة طاهرة عزيزة على كل قلب .. غالية على كل نفس .. من بقعة اسكنها الله عباده المخلصين الصادقين.. من جامع الزيتونة .. من الجامعة العظيمة هنا في تونس .. تلك الجامعة التي خرّجت وانبتت ابطالاً اعزة ،مؤمنين صادقين ، علماء مجاهدين.. جامع الزيتونة .. ازهر تونس العظيمة .. وما ذلك الصوت إلا لعلم من ابرز اعلام تونس . وعالم من اقوى واصلب علمائها في الحق والكفاح .. ذاك هو محي الدين القليبي .. تغمده الله برحمته الواسعة .. واجزل له عظيم الثواب عنده ..

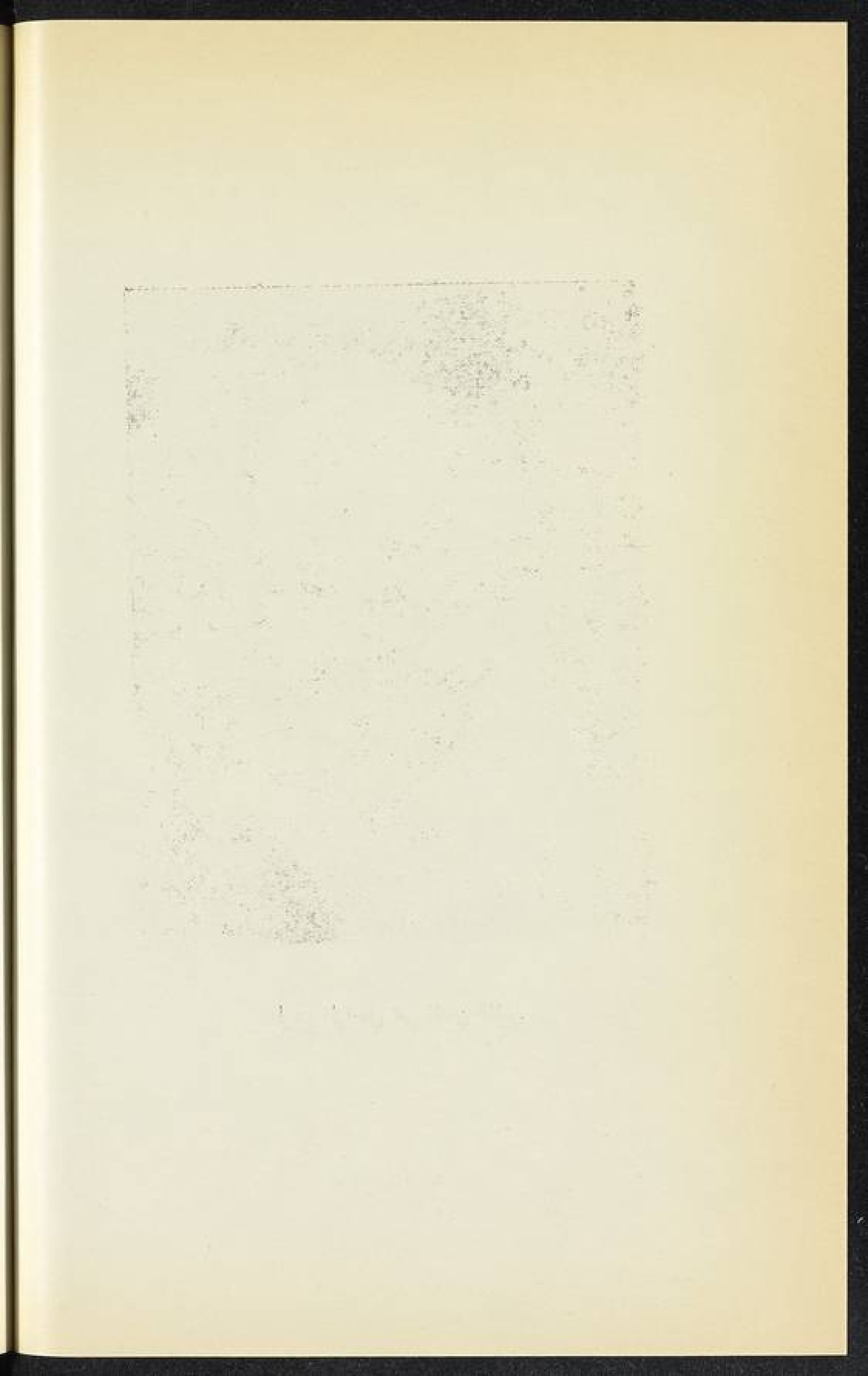
هكذا اراد الله لك يا ايها البطل الحر ، ان تقضي هنا في دمشق بعيداً عن بلدك ووطنك .. ولو ان دمشق هي بلدك الثاني ومن جملة اوطانك ..

هكذا شاء الله ان تبقى مشرداً منفيا شطراً من عمرك .. حيناً من الدهر في القاهرة ، وآناً .. لحظات من الزمن في دمشق ، مجاهداً لا يهدأ لك سعي ، مكافحاً لا تعرف طعم الراحة والهدوء .. فمرة رافعاً الصوت القوي الهدار من جسمك الواني الناحل الضعيف ، دفاعاً عن تونس البلد الحبيب .. ومرات غاضباً زائر الصوت راعده ، منتصراً لعالمك الاثير المفضل ، ولوطنك الكبير ، واخوانك في مشارق الأرض ومغاربها .. في العالم الاسلامي الواسع ، ووطنه الكبير ..

بالله يا ايتها الامجاد قفي قبل ان تمضي اليه لتحييه .. قفي .. اضيفي الى اكليلك الزاهر الجميل .. الى اكليلك الحافل بأطيب الذكريات .. وابهى الصور والبطولات .. اضيفي هذا الاكليل من الغار ، ترفعه اكف الملايين من ابناء امته .. من اقصى المشرق .. من اندونوسيا ، من الهند والباكستان .. حتى اقصى المغرب .. حتى الرباط ، ترفعه الى رأسه الأبي العزيز .. وجبينه الوضاء ، السامي المنير .



الزعيم الراحل محي الدين القليبي



ستظل ذكراك ياايها المنافح العظيم . . ياايها المجاهد البعيد عن الاضواء والدعايات مشعلا وضاء ينير الطرتق لابناء امتي ، في مختلف البقاع والامصار . . مشعلا زيته ووقوده الايمان . . وشعلته عزة واباء وجهاد وحرية . .

ستظل ياايها البطل ذكرى عزيزة فريدة لكل مجاهد حر . . لكل ابي اعزه الله بالدين الحق فأعز نفسه . . اذ وهب نفسه للجهاد في سبيل الله .. فقال الحق وحارب الباطل . . في ساحات ومواطن تخرس فيها الالسنة .. ويتلجلج القول .. وترتعد الفرائص والقلوب..

ستظل يا ايها الشيخ الجليل ، صورة رائعة حية ، لعلماء امتي المجاهدين ، على مدى الازمان . . ستظل نبراسا مشعاً يهتدي بنورك كل حر .. ومشعلاً يستضيىء بهديك وقوتك كل ابي . . فسلام الله عليك ، على ما قدمت واسلفت ونافحت .. وتحية من عند الله مباركة خالصة .. تبوئك مقعد صدق عند مليك مقتدر . . وتنيلك ما تشتهي في جنة الخلد من قرب لجوار الله . . يحييك فيها عباد الله المؤمنون ، ورسله المصطفون بتحيات طيبات مباركات .. وتحيتهم فيها .. سلام ..

(١٧)

لحظات مع صوت الحرية المفرد

وانت ايها البلبل الصداح . . يا ايها البلبل الذي يملك قلب بطل . . يا ايها البلبل الذي يزأر في صدره قلب اسد هصور . . يا من تركت لابناء تونس الامجاد .. اناشيدك الملتهبة المحتدمة الاوار . . توقد في صدورهم العزة ، وتشعل في حناياهم الاقدام .. وتسعر في رؤوسهم ومض الاباء الكامن ..

يا ايها البلبل الذي تنقلت بين الرياض والحدائق والبساتين ، وحلقت فوق القمم والسفوح والجبال ، طليقاً تغني الطبيعة ، الحانك الهائمة النابعة من صافي مشاعرك ، وعميق احاسيس نفسك وضميرك .. تغني الحانك القوية السامية ، التي تسمو بالنفوس ، وترتفع بالآمال والهمم والعزائم ، وتدفع الدماء في شرايين الامة حارة لاهبة .. وتستقر في سمع الاجيال هاتفة راعدة ، اليك التحية صافية صفاء نفسك . . حارة حرارة عاطفتك . . سامية سمو خيالك ، والهة وله فؤادك واحلامك . .

يا ايها البلبل الذي عشقت الحرية فتنقلت بين افنانها .. ووعيت حديثها وهفيفها . وساجلتك غناءك واشعارك ، فهمت بشدوها ، ونعمت بسحرها .. لقد عشتها في خلجات نفسك وفي نبضات قلبك ، وعاشت في قرارة نفسك وفي عميق فؤادك . . ولكنك عند مافتشت عنها في جو الحياة من حولك غاض من قلبك الرجاء ، وضاعت في البحث عنها الجهود والامال . . فان كنت قد يئست من رؤيتها في حياتك ، ضاحكة تدرج على ارضك راقصة طروبة ، او كدت تيأس، فاغلب الظن ، انها كانت مسحورة من عذب نشيدك وجميل غنائك ..

انها لا تموت . . ولن تموت . . ولا يمكن لاي قوة مهما بلغت ان تسلبها الحياة .. انها باقية دائمة ،مابقيت على وجه هذه الارض حياة ،وما دامت في الكون نفس واحدة ، ترفع ابصارها نحو السماء . .

يا ايها البلبل الشادي .. كيف استطعت ان تحلق هذا التحليق الباهر ، وتطير هذا الطيران السريع ؟ ؟ وانت ما يزال ريش جناحيك الصغيرين بعد ، في نبته ونمائه ؟ .

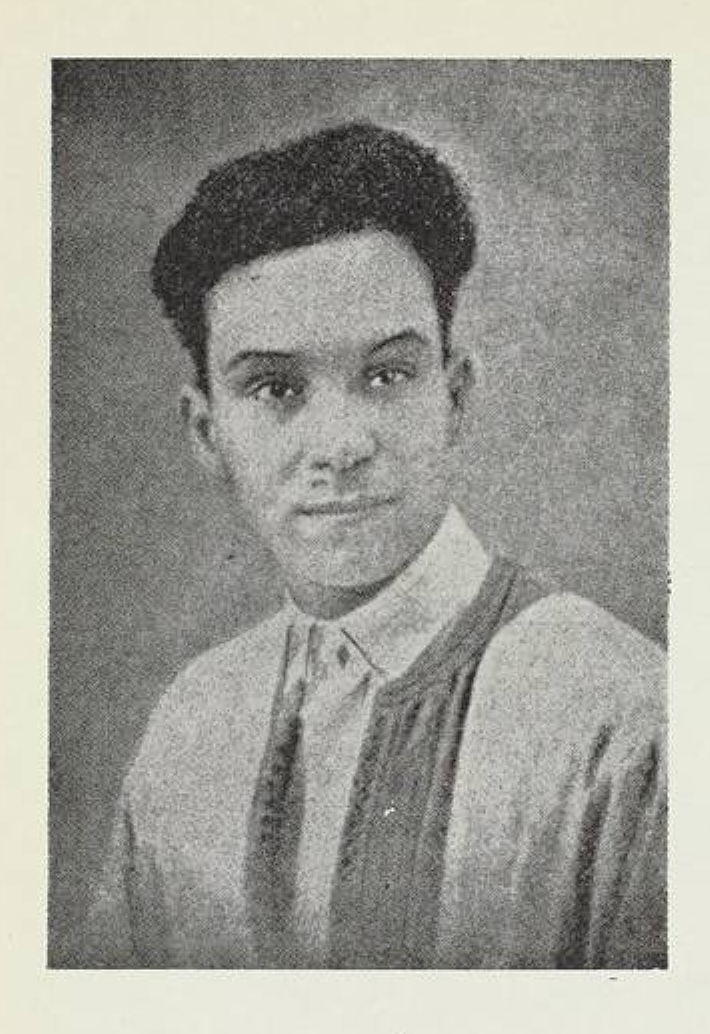
آه لم تكن شجرة الحرية السامقة ، تسعد بتنقلك وشدوك ،

وتطرب من عذب نشيدك وغنائـك ، حتى فجعتها الاقدار بذهابك وفقـدك . .

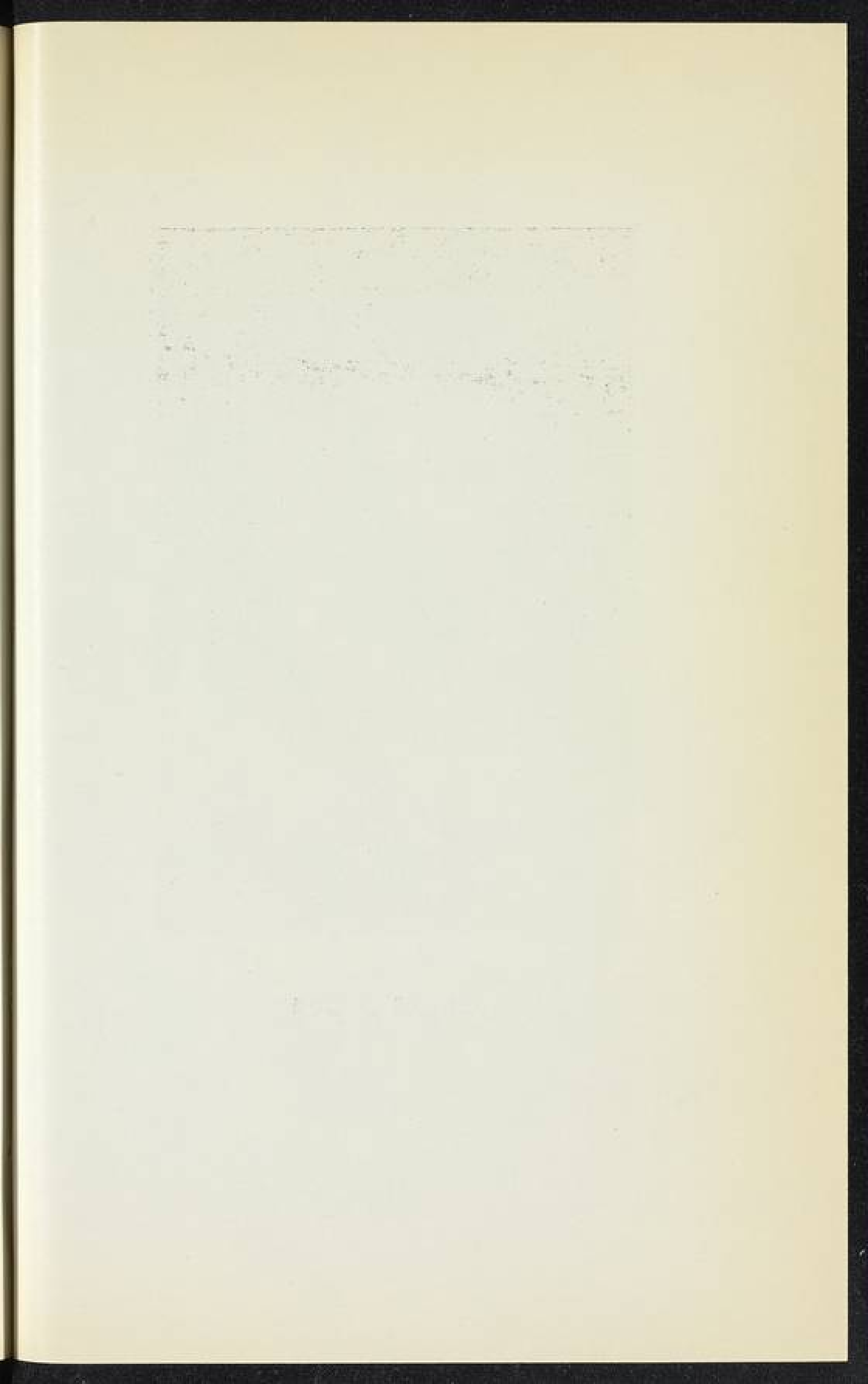
لم تكد تمنّي النفس بالبلبل الصداح ، الفتيّ الفريد .. وبلمحـاته ولفتاته الابية الساحرة ، حتى اخترمتك يد المنون ، والقت بك هامد الجسد ، ساكن الانفاس .. لاصوت ولا نأمة ولا حركة .. لا غناء ولا نشيد .. كأن لم يكن هناك صوت حار النبرات ، مجلجل الاصداء ساحر رطب جميل ..

ولكن ما هذا ؟ هذا الصوت الجميل الذي تسمعه الملايين من ابناء وطنك وامتـك الى اليوم ؟ وتسمعه الملايين من ابناء الشعـوب المحبة ، يصل الى الاسماع منعشاً قوياً .. ويملأ النفوس اباء وعزة ؟ انه صوتك الهاتف الاخاذ .. انه صوتك المجلجل القوي .. فنم سعيداً ناعم البال ، فهاهو نشيدك يملأ الاسماع ، نشيطاً يصافح كل نفس .. محلقاً يطوف الافاق ويفتن الاجواء ..

فيا شعب تونس . . افق من غيوبتك . . افق من رقادك . . شاعرك الفذ ابو القاسم الشابي ، يناديك فاستمع لندائه . . لقـد طالما



الشاعر أبو القاسم الشابي



قدم اليك عصارة نفسه ، وازاهير قلبه ، فلم تلتفت اليه ، ولم تكافئه بلفتة منك او بسمة . . لقد حان ان تنصت لصادق ندائه ، وحرارة عاطفته ، فان قوله ما يزال يرن في كل مسمع ، وان نشيده ما يزال يسحر الالباب والعقول :

ايها الشعب ليتني كنت حطا   با فأهوي على الجذوع بفأسي
ليتني كنت كالسيول اذا سا   لت تهد القبور رمساً برمس
ليتني كنت كالرياح فأطوي   كل ما يخنق الزهور بنحس
ليتني كنت كالشتاء اغشي   كل ما أذبل الخريف بقرسي
ليت لي قوة العواصف يا شعـ   ـبي فألقي اليك ثورة نفسي
ليت لي قوة الاعاصير ان ضجت   فادعوك الى الحياة برمس
انت روح غبية تكره النو   ر وتقضي الدهر في ليل ملس
انت لا تدرك الحقائق ان طا   فت حواليك دون مس وجس

. . .

في صباح الحياة ضمخت اكوا   بي واترعتها بخمرة نفسي
ثم قدمتها اليك   فأهرقت رحيقي ودست ياشعب كأسي
فتألمت ثم امسكت آلا   مي وكفكفت من شعوري وحسي

ثم نضدت من ازاهير قلبي باقة لم يمسها أي أنسي
ثم قدمتها اليك فمزقت ورودي ودستها اي دوس
ثم البستني من الحزن ثوبا وبشوك الصخور توجت رأسي

وهاهو ذا ايضاً يوجه باسمك ايها الشعب المجيد ، يوجه للظالمين الانذار الشديد ، انذاراً بل نذيراً لكل طاغية ولكل ظالم .. لكل مستعمر وكل دخيل :

الا ايها الظالم المستبد حبيب الفناء عدو الحياه
سخرت بانات شعب ضعيف وكفك مخضوبة من دماه
وعشت تدنس سحر الوجود وتبذر شوك الاسى في رباه

. . .

رويدك لا يخدعنك الربيع وصحو الفضاء وضوء الصباح
ففي الافق الرحب هول الظلام وقصف الرعود وعصف الرياح
ولا تهزأن بنوح الضعيف فمن يبذر الشوك يجن الجراح

. .

تأمل هنالك أني حصدت رؤس الورى وزهور الامل

ورويت بالدم قلب التراب	واشربته الدمع حتى ثمل
سيجرفك السيل سيل الدما	ويأكلك العاصف المشتعل

ولكن اي الم اقوى من هذا الالم ، واي مرارة اشد من هذه المرارة ؟ واي شعور طافح بالأسى كهذا الشعور ، واي تصوير لجهاد النفس ونقد المجتمع المتفكك المتخاذل ؟ واي ثورة هي هـذه الثورة النفسية القوية على طرائق العسف والجور والتنكيل بالاحرار ، وعلى هذا الخطب الثقيل النازل من قبل الطغاة المتعسفين :

لست ابكي لعسف ليل طويل	او لربع غدا العفاء مراحه
انما عبرتي لخطب ثقيل	قد عرانا ولم نجد من ازاحه
كلما قام فى البلاد خطيب	موقظ شعبه يريد صلاحه
اخمدوا صوته الالهي بالعسف	اماتوا صداحه ونواحه
البسوا روحه قميص اضطهاد	فاتك شائك يرد جماحه
وتوخوا طرائق العسف والار	هاق وما توخوا سماحه
هكذا المخلصون في كل صوب	رشقات الردى اليهم متاحه
غير انّا تناوبتنا الرزايا	واستباحت حمانا ي استباحه

(١٨)

في الأرض الأبية .. في الجزائر الحرة الخالدة ..

أنشديني يا عرائس العلياء الحانك الساحرة الحبيبة ..

انشديني ذلك النغم السامي الرفيع الذي تحن اليه جوانحي وتعشقه خلجات نفسي وقلبي ..

انشديني .. انشديني ذلك الصوت الذي يسكب في الاحناء هياماً ، ويطير بالجوانح على جناح الرؤى السعيدة الى سموات الخيال..

انشديني الصوت الذي هامت به نفسي .. ذاك الذي يسكب اناشيد الحرية والعزة والانطلاق كما لم يسكب هذه الاناشيد صوت مثله قط ..

انا ان ذكرت ارباعنا ومنازل واحباء هناك في بلاد الابطال ، يا عرائس العلياء ، فأنشديني ..

كلما لج في الصدر لاعج الشوق الى الصيد الاباة هناك .. فأنشديني ..

ان نازعتني الهواجس وارقني صوت من ارض الاحبة الامجاد .. فأنشدني ..

كلما شدا صوت من هناك ، ولن يشدو الا داعياً للجهاد ، فياضاً بالحنين الى الحرية ، جياشاً بالانعتاق ، هداراً صاخباً في كفاح اللئام .. فأنشديني . .

اذا مابدت صورة الارض العزيزة ،الممتدةالمترامية الاطراف .. تطل على البحر فى الشمال ، بتيه وانفة و كبرياء ؛ غامسة احدى يديها في عنق الخضم المتلاطم الموج .. ومرسلة يدها الاخرى ، تدق بها اعناق الطغاة ، مرسية اقدامها ، في قلب الصحراء البعيدة الزاحفة الى اواسط افريقيا ، وبلاد السينغال .. ورافعة هامها المضيء بفيض البطولات ، المتوج باكاليل العزة والمجد ، الى الذرى الذاهبة في الاجواء العالية في اجواز الفضاء .. فأنشديني ..

اذا ما رفت تلك الاكاليل ، التي ما تفتأ النواظر ترنو اليها بخشوع واجلال ، وهي تلمح على مفارقها آيات الماضي التليد ، رغم ما يبدو عليها من ذبول ونحول .. فأنشديني ..

ان تراءت رياضها البهيجة ، وجنانها الغناء ، هازجة تضوع

بالشذى ، فواحة تنفح بالعطر والاريج . . فأنشديني . .

او تبدت صور الصحراء القائظة المحرقة ، تفح منها نار السعير وحر الهجير . . فأنشديني . .

يا بلاد الجزائر . . يا ارض الصيد الاباة . . يا موئل العز ومجلى الفخار . . تحية من قلب مغرم هائم بامجادك المشرقة ، وجهادك الرائع . .

يا بلاد الجزائر . . يا ارض الاحبة الاعزة . . يا نشيد النفوس الابية . . يا عنوان البطولات . . يامنبت الاحرار . . سلاماً . . سلاماً . .

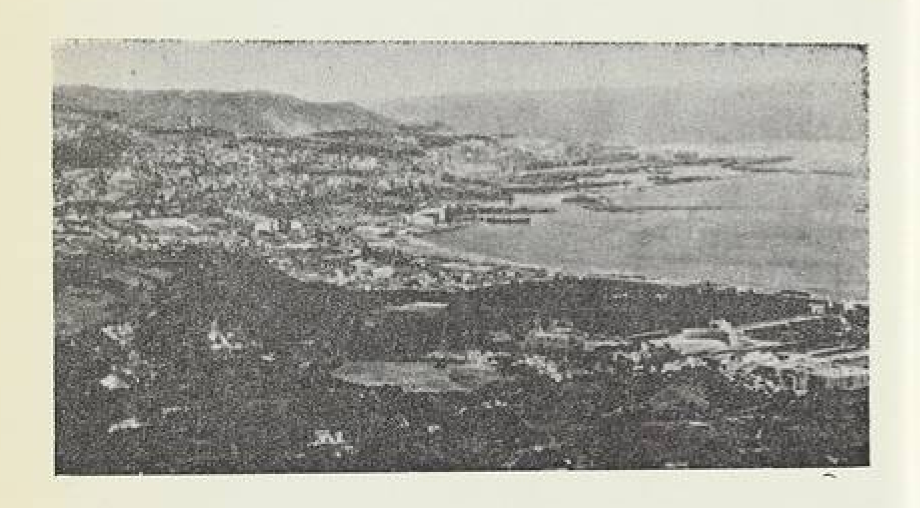
سلاماً يلف تخومك الخضراء المتألقة . . ببسمة زاهرة متألقة . .

سلاماً يفيض بالتحيات خالصة هاتفة . . وبالاشواق والهة حانية . .

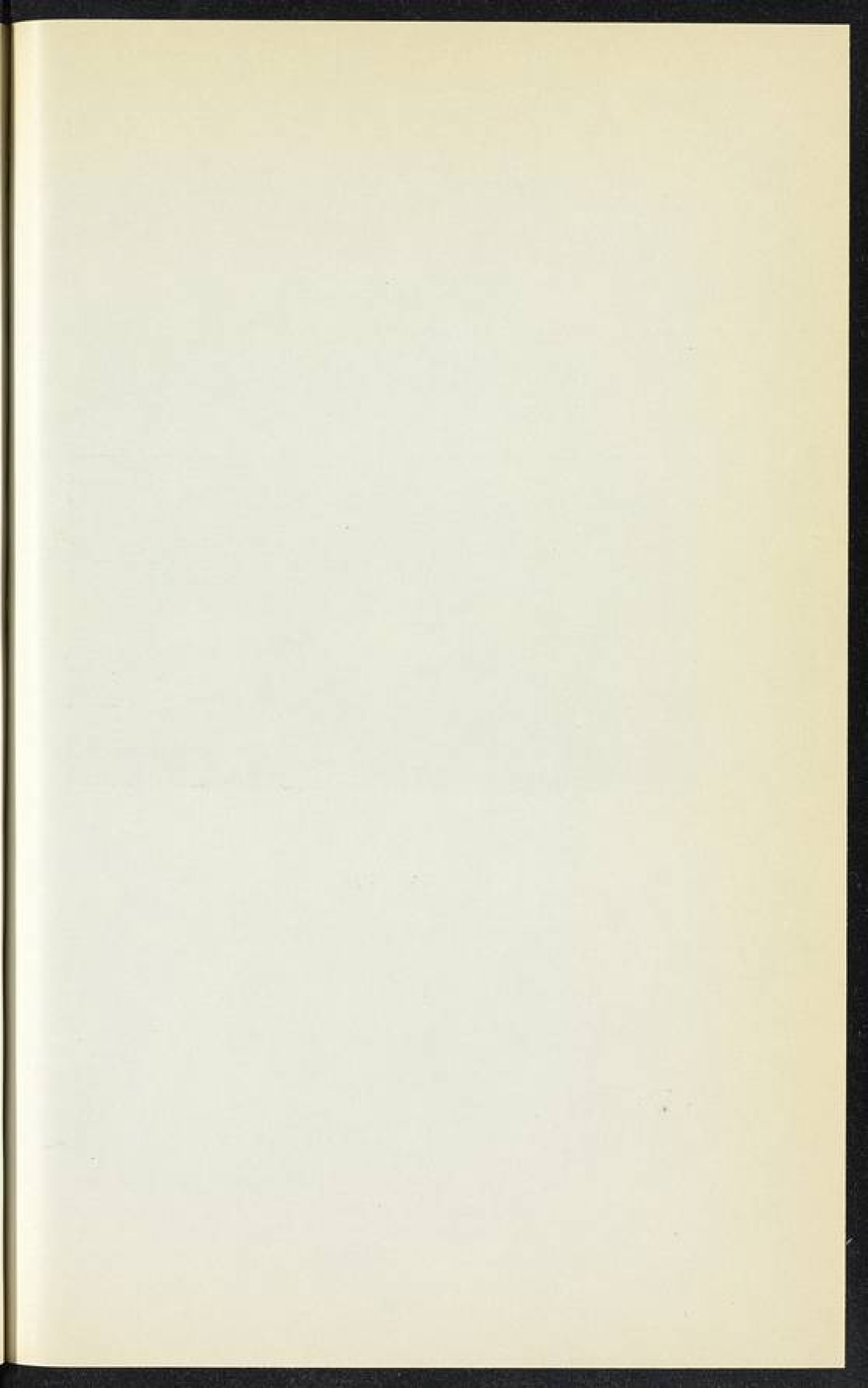
سلاماً ينبعث من نبضة القلب ، ومن صبوة الفؤاد . هازجاً بالهوى ، شادياً بالحنين . . يا جزائر يا بلد الاحباب والحماة المجاهدين . .

. . . . . .

فلتستمر في انصبابها، عوادى البغي وصواعق البغاة . . ولتقذف بنيرانها كلُّ راعدة مهلكة داوية ، ولتنشط في جنونها ،ضاريات عاتيات ، قد حملت نار السعير وحمم الجحيم . .،



مدينة الجزائر



فلن تملك آلات الحرب والدمار . . ولا فاتكات قنابل العتاة ، على ان تنال من بسمتك الساخرة الهادئة .. او ان تخمد في دوتك ، نشيد الانطلاق ، وغناء الحرية ، وشدو القوة وانغام البطولات ..

اذن فلتحشد دولة النور والعلم والعرفان ! كل ماتملك من وسائل الظلمة والباطل والهمجية .

اذن فلتحشد دولة الحرية والعدل والحق ! كل ما تملك من اساليب القيد والظلم وافانين الطغيان والارهاب .. ، فلن تقوى على ان تخفي من جوك ، الوية الجهاد وخفقان الرايات . . الوية التحرير لجيشك الظافر ، ورايات النصر ، المتلاحقة المتتابعة ، ترسم في جوك الزاهي لكل ناظر ومتطلع ، احرفاً من نور ، تسطع في كلمة تملأ الفضاء العريض هي كلمة : النصر .

(١٩)

يا جزائر الحرة

من يقرع في رحابك الساهقة السامية اجراس المجد سادرة عالية الرنين ؟ !

من يبهر الشمس هكـذا بنوره الساطع الوهاج يمـلأ النواظر بالضياء ، ويأسر نبضات القلوب ؟!

من يعطر الاصداء بحلو النغم وساحر الالحان ، فتهفـو له النفوس ، وتتساءل في لهفة عنه الاسماع وتضج في شوق اليه ازهـار الرياض ، والفراشـات الهائمة السعيدة ، والينابيع المتدفقة المترنمـة ، والغابات الهاجعة النائمة ؟ !

ويحي كيف اتساءل وانا اعلم واعرف الفتى النبيل ، الفتى الحر ، الفتى الأبي .. قارع الاجراس ، وباهر الشمس ومعطر الاصـداء .. اليس هو فتاك الحبيب يا جزائر الحبيبة ؟

من وراء الابعـاد والبـلاد ، سمعت همس حديثك يا جزائر يا بلد الاعزة . .

من وراء التخوم والبحار .. ومن خلف الآفاق البعيدة ، تناهى الى سمعي ما خالط نجواك من زفرات وتنهدات . .

آه يا بلد الاحرار .. من دنس ارضك الطاهرة النقية ، من جاس خلال ديارك ينشر اللؤم ويمعن في الدمار ؟

اي صوت كريه ممقوت يتجاوب اليوم في جنبات واديك وفي خلجانك ؟ يفح خلف كل ربوة وايكة ؟ ووراء كل نشز وصخرة .؟

هل قضي عليك الى الابد ان تذعني للعلوج المتوحشين القادمين من الشمال .. من وراء البحر . . يدوسون باقدامهم القذرة النجسة ، ارضك الطاهرة الناصعة البياض ؟ .

امهل اطمأننت الى حياة الذل ،تقدمين الطاعة كل صباح ومساء لاعدائك المتجبرين ! وتنشدين على اسماعهم بكاء الضراعة والتوسل والمذلة ؟ .

لمن تصعّرين خدك الأبي ؟ أللقوم الاذلاء ؟ . . لمن تطأطئين الرأس العزيز ؟ اللمرّطنين الاعاجم ؟ . ومتى خفضت لمثل هؤلاء ، رؤوس الاعزة ؟ .

يا شعب الجزائر الباسل ، يا اخوتي واحبائي . . هل استمرأت لذائذ الحياة كما يعرضها عليك ابن باريس ؟ ومتى كان لابن العهر والخطايا ، سبيل على ابناء الجزائر الاصائل ؟

اين شممك الذي يلقى الخطوب والجراح ، والآلام والعذاب بالكبرياء والازدراء ، بل اين إباؤك ؟

اين نخوتك الملتهبة المستعرة ، التي تشتعل كالأتون المتأجج ؛
واين هو اعتزازك ؟

بل اين ، اين روحك المنافحة المكافحة ؟ ألا تطل على ذلك
وهوانك واستخذائك ! ؟

واين حياؤك من الله ؟ وبأي عين ترفع ناظريك اليه ؟ أبعين
الساكت الراضي على هتك حرماته ومقدساته ؟ يبرع في التفنن بها
كافر ضال عدو ؟

هل اتخذت آلها آخر من دون الله ، فأسميته فرنسا فعبدته ؟!.

هل نسيت الله في سرك وعلنك ، وفي خفقات قلبك وفؤادك
واتخذت الكفار اولياء من دون المؤمنين ؟

من كان يظن ان سيعتريك الخوف فتساقط هلعاً ورعباً على
اقدام اسيادك المتنمرين ؟

أنسيت ان اسيادك هؤلاء هم اعداؤك ؟ ولكن عفواً ايها الاحبة
الشجعان .. عفواً ايها الاحرار الاباة .. عفواً شعب الجزائر ..

اني لأعلم كما تعلم الدنيا بأسرها ، أنك لم تذعن يوما ولا لحظة من نهار ، الى هؤلاء الذئاب ..

انا اعلم كما تعلم شعوب الارض ، ان ثورتك لم تهدأ وجهادك لم يتوقف منذ الساعة التي وطئت فيها اقدام الدخيل الغريب ، ارضك الطاهرة الذكية حتى اليوم ..

من سنا كفاحك وجهادك ، لمعت سموات الامم المستعبدة ، بومض الحرية والانعتاق .. فاذا بها حرة كريمة ..

اي كفاح وجهاد احق بالخلود والتمجيد، من كفاحك وجهادك شعب الجزائر الأبي ؟

فتغض من ابصارها في خجل واستحياء ، تلك الشعوب التي فازت بالحرية ، وتمتعت بالسيادة ، دون ان تمهر هذا الفوز ببعض الاضحيات .. وكذلك تلك التي عدّت فريدة في كفاحها ، وزعموا لها البطولة بما قدمت من ضحايا وآلام ، فنالت حريتها وتمتعت بالاستقلال ، وبقيت انت مكبلاً مغلولاً .. قد اتفق الجميع على خنق صوتك ، ودوام استعبادك واسترقاقك ..

فلتغض شعوب العالم من ابصارها حياءً وخجلاً امام خارق بطولاتك ، وعديد اضاحيك وتضحياتك ..

اي شعب دام كفاحه قرناً وثلث قرن من الزمان، دوام كفاحك . ؟

اي شعب سلك الطريق الذي سلكت ، ثم لا يستشعر وهو يرنو اليك احتقار ما قدم ، واستصغار ما سجل من رائع البطولات ؟

لتخفض الرأس امام جهادك وعظمتك . . الامم التي مهرت حريتها بفيض من دماء ابنائها الاحرار ...

(٢٠)

بريطانيا العظمى

اما اولئك الذين اتخذوا من جزرهم في البحر قاعدة لغزو الشعوب ، واسترقاق الضعفاء .. اولئك الذين يبيّتون المكر والغدر ، ويتخذون الخديعة وسيلة للمآرب والغايات ..

اولئك الذين لم تعرف عنهم شعوب الارض، الا اللؤم والضغينة والتلون ، فان انسى مكانهم من هذا النشيد ..

الا اسأل عنهم التاريخ .. يا شعب الجزائر الحر، يرو لك العديد الكثير من اضاليلهم وختلهم .. وتآمرهم الدنيء على كل شعب اعزل ، وعلى كل بلاد آمنة مطمئنة . .

فليرو التاريخ قصص الخزي والعار ، التي لن تقوى بحار الدنيا وهواطل السماء ، على محوها من جبين الامـة التي لا تغرب عن امبراطوريتها الشمس ! ! . .

متى كان لشذاذ الافاق ان يدّعوا بملك او سلطـان ؟ متى كان للقراصنة المتوحشين ان يزعموا لأنفسهم رسالة مدنية وعلم وعرفان ؟!

ايتهـا الارواح الخبيثة القابعة في الجزر النتنة البغيضة من اي عناصر اللؤم تركبت ؟ ! .

ايتها النفوس التي تنز بصـديد الاجرام والاعتـداء ، والنذالة والغـدر ، من اية بؤرة تزكم الاجواء بريحها الخانق الكريه ، نشأت وظهرت ! ! .

ألست من اصلاب تلك القبائل الهمجية المتوحشة قد خرجت وتحدرت ؟ ولماذا تخشين الانتساب الى البرابرة والهمج المتوحشين ، والى الاخلاط الكثيرة الغريبة العجيبة ، التي يتألف منها كيانك ؟ اليسوا قومك ؟ اولست بقبائل السكسون وعناصر الجرمان وخليطها قد عرفت وتميزت ؟

البحر الزاخر العريض، البعيد الافق.الهدار العباب ،لا يرمقك الا بالازدراء والغيظ ولا يقبل عليك وهو يراك قابعة بين موجه ،راقدة على ظهره ، الا لاطماً غاضبا ، يا جزر البغي والفساد . .

من شطآنك العريقة بالاجرام ، تسللت مراكب اللصوص ، وانتشر القراصنة الذئاب . . فكأن على كل موجة شدقاً مفتوحاً ، وخلف كل سفينة مخلباً حاداً ونابا . .

. . . . . .

ما هذه الجزر الكالحة البغيضة ، المتناثرة التي لا يكاد يحصرها العد ؟ مالها متجمعة كأنها جراثيم تكاثرت في مستنقع آسن ! . .

ما هذه الجزر التي تفوح منها رائحة ، تجعل الجو من حولها خانقا تشمئز منه النفوس ، وترتد عنه العين في كراهية ونفور ؟ ! . .

يا جزيرة ألبيون [1] . . . من اطلق عليك هـذا الاشتقاق من صفات الاضداد ؟ ! ولكنه ان كان قد أطلق على ما لساحلك الجنـوبي الشرقي عنددوفر من تمويه وطلاء ! فانه الدليل الخالد على ان من طبيعتك التلون والختل والرياء ! .

كيف يحلو للعصافير الفرحة البريئة ، ان تشدو على الافنـان ، في اقليمـك الداكن الصامت ؟ ألا تستشعر الوحشـة القاتلة والجـو المقيت ؟ ! ومن اين تصل اليك الانسام المعطرة الذكيـة ؟ ! أتحملها اليك رياحك النتنة الخبيثة ؟ !

من اجلك يا بريطانيا العظمى ! .. قطعت النشيد ، حينما لاحت لي مع الذكريات الأليمـة المخزية ، ذكراك ناشطة تلح عليّ في اصرار عجيب . .

على شطآنك وفي قراك المتناثرة ، وفي البلدان المكتظة الكبيرة ، وعلى الروابي والمرتفعات ، في السهول والمنخفضات ، في اواسطك وفي

---

(١) جزيرة ألبيون هي بريطانيا .. وهي مشتقة من معاني البياض سميت به نظراً لبياض صخور دوفر المواجهة لاوروبا . .

اقصى شمالك .. تشرئب على حقيقتها صور الوجوه النكراء ،كالحة رغم صفيق البراقع ..

هذا الملاّح وذاك البحّار.. هذا القروي في المزارع والحقول.. وذاك الصانع والعامل .. هذا الحشد الكبير .. تلقاه عند الشواطئ وفي المدن وفي القرى .. وتجده اذا ما صعدت مع مجرى نهر التايمز الى لندن ، او جُبت سائر الانحاء والبقاع .. كل اولئك وهؤلاء ثياب تمشي ، فتتلوى من تحتها الافاعي والاراقط . . وتطل من وراء ابتساماتهم المصطنعة الصفراء ، انياب الخديعة والمكر ، حادة مشحوذة متهيئة لكل طارئ ، في تحفز للانقضاض والتمزيق . . ويلتمع في نظراتهم بريق حذقته عنهم عيون الثعالب ..

(٢١)

مع النسمة الحبيبة

من اين هذه النسمة اللطيفة الحلوة . تدغدغ الوجوه سعيدة تفضح بالبشر ؟ .

من اين هذه النسمة الغريبة الذكية ؛ تنتقل في خفة .. وتخطر في دلال .. مشتملة بغلالة مهفهفة رقيقة .. كأنما صنعتها الايدي اللطيفة نسيجاً شفافاً غير مرئي ، مدته بالخيوط البهية بهاء الفجر ، الافئدة الناعمة الحالمة ! ..

ايتها النسمة الجميلة الرشيقة ، من اي البلاد قدمت ؟ ايتها النسمة المنعشة البليلة ، من اين كان مسراك والى اين مبتغاك الآن ، وعند من شوقك وهواك ؟ .

ايتها النسمة الراقصة الساحرة ، امن همس انداء السحر قد ولدت وتكونت ؟ وفي احضان الفجر السعيد البليل نشأت وترعرت ؟ وعلى ايدي الصباح المنعش العليل ، صنعت وتقلبت ؟ !

اذا تمايلت او تثنيت ، ذكرنا الانسام في تثنيها ساعة الاصيل ، وتاقت النفوس لساعات الغروب ولهمسات انسامها عند الشواطئ ، وفي الاعالي والرياض ..

واذا خطرت وتمايلت ، او اذا بسمت وعدت فابتسمت ، سحرت كل ذي لب وملكت كل فؤاد ..

من اين اتيت ايتها الساحرة الجميلة ؟ اني لأخشى عليك لمس الأظفار والمخالب هنا ، في بلاد الذئاب الضارية ، والثعالب التى تبدو في ثياب الزهد والبراءة والنعومة ؟ .

فالى من تنتسبين ايتها النسمة الحبيبة ؟ . .

اجابتني يتلفع كلامها بالحياء ، وتتحول ابصارها عني في خجل ودلال واستحياء . . : انا همسة من بلادك . . انا انشودة عذبة تحفل بالعديد من امثالي سماء اوطانك .. تغنيها الوديان والجبال ، والروابي والسهول والرياض . .

في كل بسمة يبسمها وليد وشاب . فتى ورجل ، فتاة وامرأة وشيخ هناك فى وطنك .. تولد نسمة مثلي او احلى .. انا ولدت هناك .. عند شروق الفجر .. في روضة زاهية جميلة .. عندما ابتسم طفل رضيع ، لأمي نسمة الصباح ، فرحاً يناغيها بغنائه الفاتن . . فأقبلت انا عليه ، أصافح وجنتيه ، .. وادغدغ جبينه الوضاء ، ومحياه الجميل ..

قلت ومالذي اتى بك الى هنا يا منعشة الفؤاد ؟ . .

قالت : خرجت واخواتي النسمات العطرات يوماً الى الشواطئ نغتسل ، فابتعدنا ، فهبت ريح شديدة . .. لطمتنى لطمة او لطمتين ..

فأغمي علي، ولم افق الا وانا في اجواء غريبة بعيدة موحشة .. لا مؤنس لي فيها ولا معين .. بعيدة عن امي الحزينة لفراقي .. بعيدة عن اخواتي اللائي لا اعرف ماحل بهن من بعدي .. وهل تشردن كما تشردت، او اصابهن ما اصابني . . وهل تفرقن وحيدات حزينات . . يطالعن اجواء غريبة موحشة .. وبلاداً تكتسي حلل الخز والديباج .. صنعتها ايد مجرمة تقطر بالدم . . دم الابرياء المظلومين ، تكتسي حلل الحرير نسجتها ايدي اللؤم والاجرام .. ايدي الطغاة المتوحشين ؟ ..

قلت رويدك ايتها النسمة الحبيبة .. يا نسمة من بلادي عاطرة.. افديها بحياتي ودمي . رويدك لا احب لغنائك الجميل ان يخالطه الحزن وان كنت احب ان سمع فيه، هذه اللهفة والحنين الى بلادي وبلادك الى امك واخواتك . . الى اترابك ولداتك . . كاللهفة التي احسبا ، والحنين الذي استشعره ايضاً ، وانا بعيد عن وطني واهلي واحبائي ..

فاغفري لي سؤالي الذي ذكرك بأهلك ، فاذا بغنائك يخالطه لحن يوشك ان يعصف بنفسي وقلبي ..

قالت :ان كان قد خالط غنائي شيء من الضيق والتأوه .. فهذا لن يطول .. لقد علمتني امي الابتسام .. والمرح .. والغناء ..وسأكون

كافرة بوصايا امي وتعاليمها المقدسة ، ان انا تألمت فأشمت الألم .. او انقبضت نفسي .. فصدرت عني آهات وتنهدات ، . . لا ان يكون هذا ابدأ .. انا مرحة ضاحكة .. سأعرف كل مؤلم ، فأبسم .. سأشعر بالوحدة والوحشة ، فأبسم . . ستطالعني الوجوه العابسة . . والقلوب الحاقدة .. والنفوس الدنيئة .. فأبسم .. وأبسم وأبسم ..

او لم اقل لك اني ولدت مع شروق الفجر . . فأنا دائماً مشرقة الأسارير ضاحكة .. او لم اقل لك انى ولدت في ابتسامة طفل طاهر نقي من قومك ، فصافحت وجنتيه ولامست خديه .. ونعمت باشراق جبينه ونور محياه ؟ .

قلت : سامحيني ايتها الحلوة .. اغفري لي مرة ثانية .. فلم اكن قد فهمتك بعد ..

قالت : رويدك . . سأحاورك كثيراً . . ولكنني اود الخروج اولاً من هذا الجو الموبوء .. انظر الى هذه الانسام التي تدور من حولي .. باسمة لي .. معلقة الانظار بي .. مشدوهة متلهفة .، والى تلك التي تقصدني من بعد .. مسكينة هذه الانسام .. انى ارثي لها .. لن تستطيع ان تكون صافية بهيجة . . الا تدري لماذا ؟ . لقد ولدت من

بسمات القوم هنا .. فهي كئيبة .. ولن تستطيع ان تكون غير ذلك..
آه .. ولن املك لها تغييراً قط .. فانظر الى وجوه القوم ، تعرف كنه
النسمات هنا .. او انظر الى النسمات تدلك على القوم ونفوسهم ..

قلت حسبي ما علمت .. فلنفارق هذه البقعة الموبوءة .. فمن هنا
جاءت الموافقة على ماصاب ارض الجزائر الحبيبة من بغي .. وسكوت
القوم هنا واتفاقهم مع جيرانهم الذئاب ، على اقتسام الغنائم وتوزيع
الاسلاب ، واقتطاع المناطق والشعوب ، خطة الخسة واللؤم التى
درجت عليها انجلترا .. بلد القراصنة واللصوص ..

ويحكم . . ماكان لفرنسا الذليلة ان تقوى على الاعتداء على
الجزائر الحرة .. وشمالي افريقيا .. لولا موافقتكم . . وكيدكم يا ايها
البريطان . . يا امة البغي . .

---

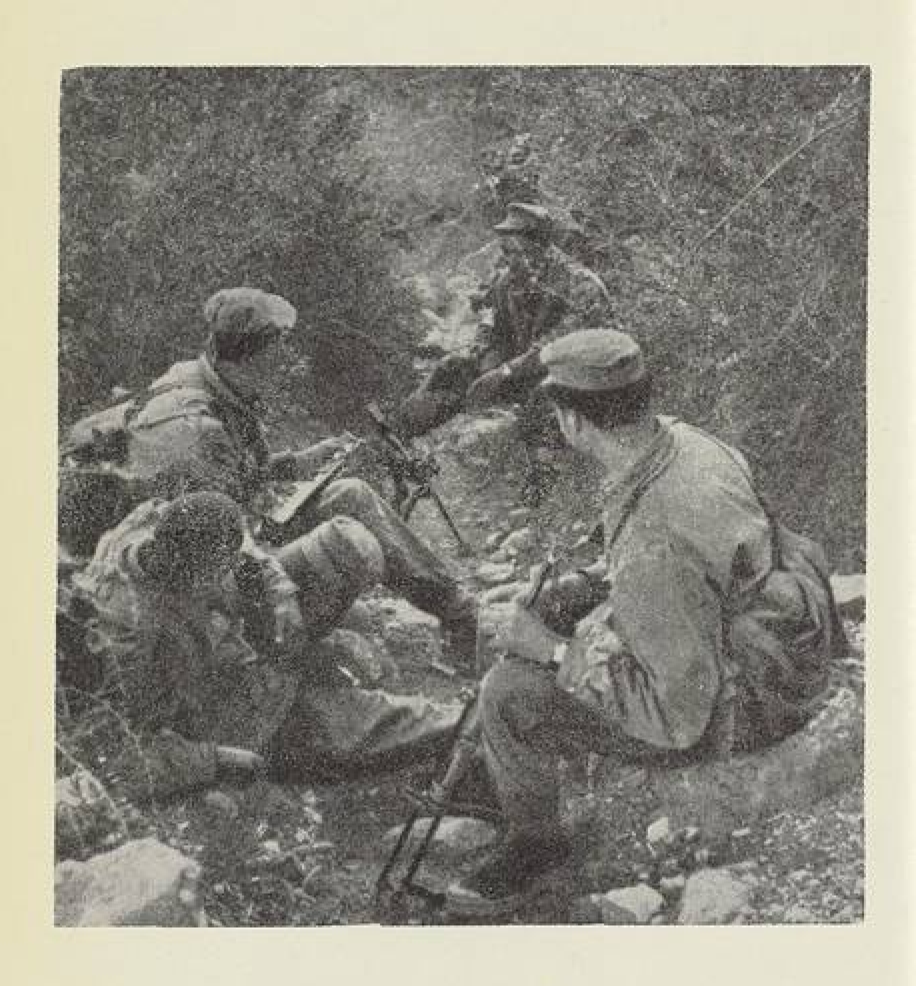
(٢٢)

هتاف النفوس

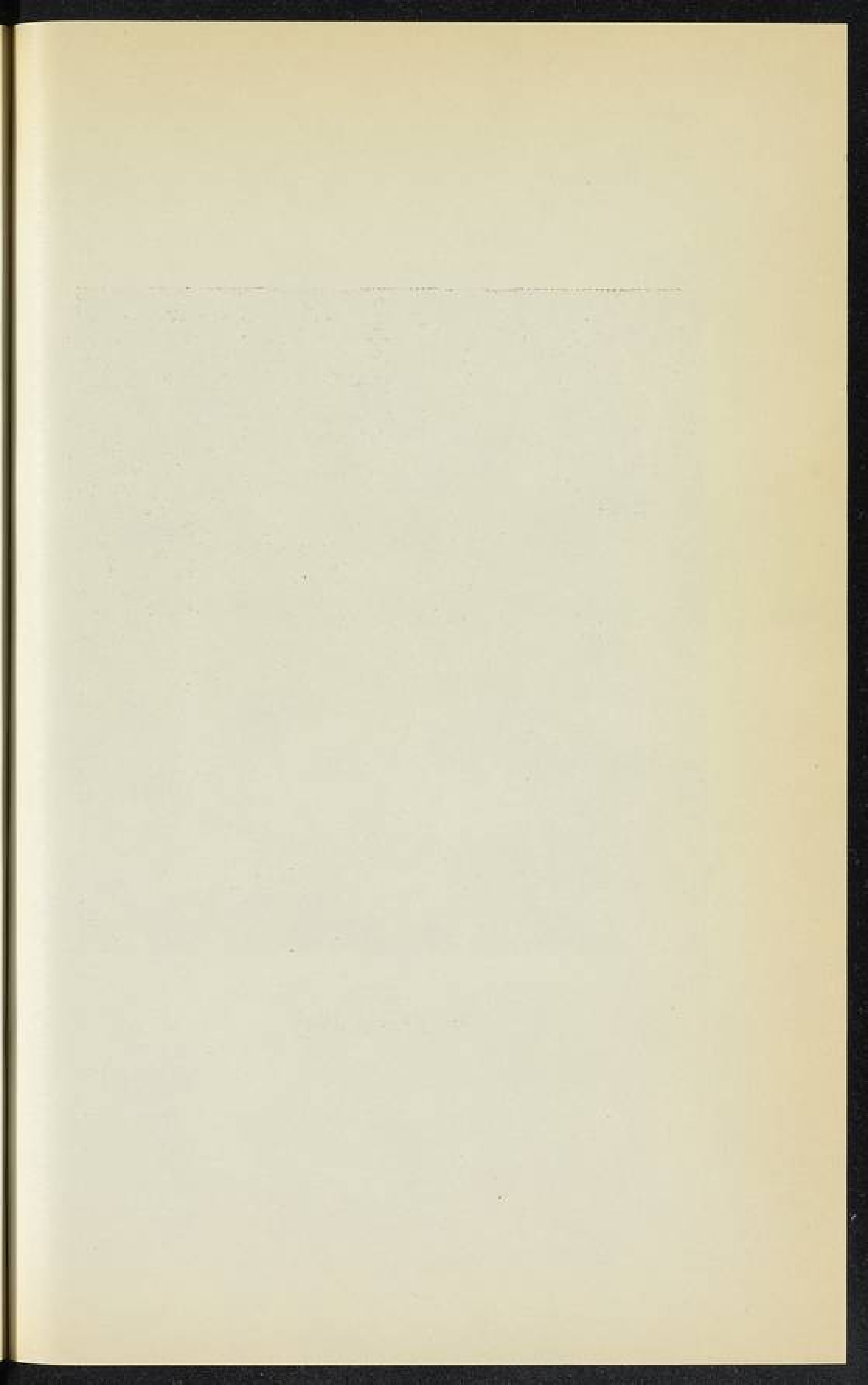
اهـذا اقليم الجزائر وتلك بلادها ؟ وهذه ارضها وسماؤها ؟ ام تلك احلام النفوس وآمالها ؟.. هنا يتنقل الجمال فاتناً على ارضك ورياضك يا بلاد الأحبة ، ويتمـدد ساحراً آسراً على سفوحك الرانيـة وفوق هضـابك الغافية . . . ويبتسم فتبـدو الاجواء الرائعة الفتنة ، اغراء يناديك يا ايها المغرم المفتون بجمالها ، وسحراً ودلالاً يتطارحان الغرام آناً ، وآناً يتناجيان .

لواحظ السماء هنا ترنو ابداً هائمة متلألئة ، في مسيرهـا هانئة ، تدل في سعيها وانية وجارية .. لاترى ابداً كالحة اوكابية . . تطلع دوماً زاهية ، في افقها ناعمة لاهية ، سارية الى غايتها المرسومة صادية ، تحي الارض بنورها شاكرة ربها داعية .. ليس لها ابداً نشدان لغير رضاه وكلها طاعة لجلاله وسمع وعبودية .

وهنا الانسام لها حديث مستفيض وكلام . . ونبرة تغشاها بحة من فرط الونى والسقام . . وقوة عدهـا الصبر على البغي والدهر



ابطال في فترة راحة



والايام .. انها تُسمعك نبض القلوب وما تقول .. وهمس الضلوع ونجوى الفؤاد . . .

تسمعك صوت الأم القوية الأبية وهي تخاطب ابنها هاتفة : ارضنا ارض البطولات ، فاشمخ يا بني برأسك ، لقد ارضعتك العز من ابني فامش لاتخش الظلام .. اذا أبت آب الضياء مع الصباح الجديد.. ولاحت مواكب المجد في الآفاق السعيدة .. فجاهد الاعداء حتى يبيد كل جبار وتخلص ارضنا من القراصنة الذئاب ..

اشمخ يا بني .. غداً اراك مظفراً . . لقد وهبتك لله فامض اليه مستبشراً .. عقيدتنا اثمن مافي الحياة ، ان ذهبت ذهب المأمول وغاض المعين وضاع الرجاء ، اذا ما عدت من غير نصر عاد لنا الذل وحط بساحاتنا الشقاء .

سنعطي الحرية كل ما نملك ، اموالنا ونفوسنا . . ابناءنا وارواحنا . . كل ما منحنا الله ، في سبيل الله . . فيا ايتها المعارك احتدمي . . احتدمي واشتدي . . من يسعر لظاك غير ابنائي الاباة ؟

ثم تُسمعك ايضا صوت الرجل الحر ، وكل بطل من ابطال الجزائر الشجعان وهو ينادي اخوته وابناء بلاده المجاهدين قائلاً : يارجال

الحقول . . يا ايها الاحرار . . احملوا المناجل والفؤوس . . لقد ذوى الزرع وصوح الزهر، فامضوا للجبال . . هناك ضعوا ايداً بيد ، توحدوا رجلاً الى رجل ، نفساً الى نفس ، روحاً الى روح ، لقد آن ان يتحرر الوطن ..

يا ايها الفتيان .. يا ايها الشباب ، يا فتياتنا الزائرات الغاضبات . . يا نساءنا الابيات ، سيروا للجهاد ، ثوروا لامجادكم ، ثوروا لاوطانكم ، ثوروا لارضكم ، ثوروا لله ..

اليوم غناؤنا : جهاد وجهاد وجهاد . . اليوم نشيدنا : الموت في سبيل الله .... اليوم هتافنا : كلنا فداء ، وعاشت الحرية .

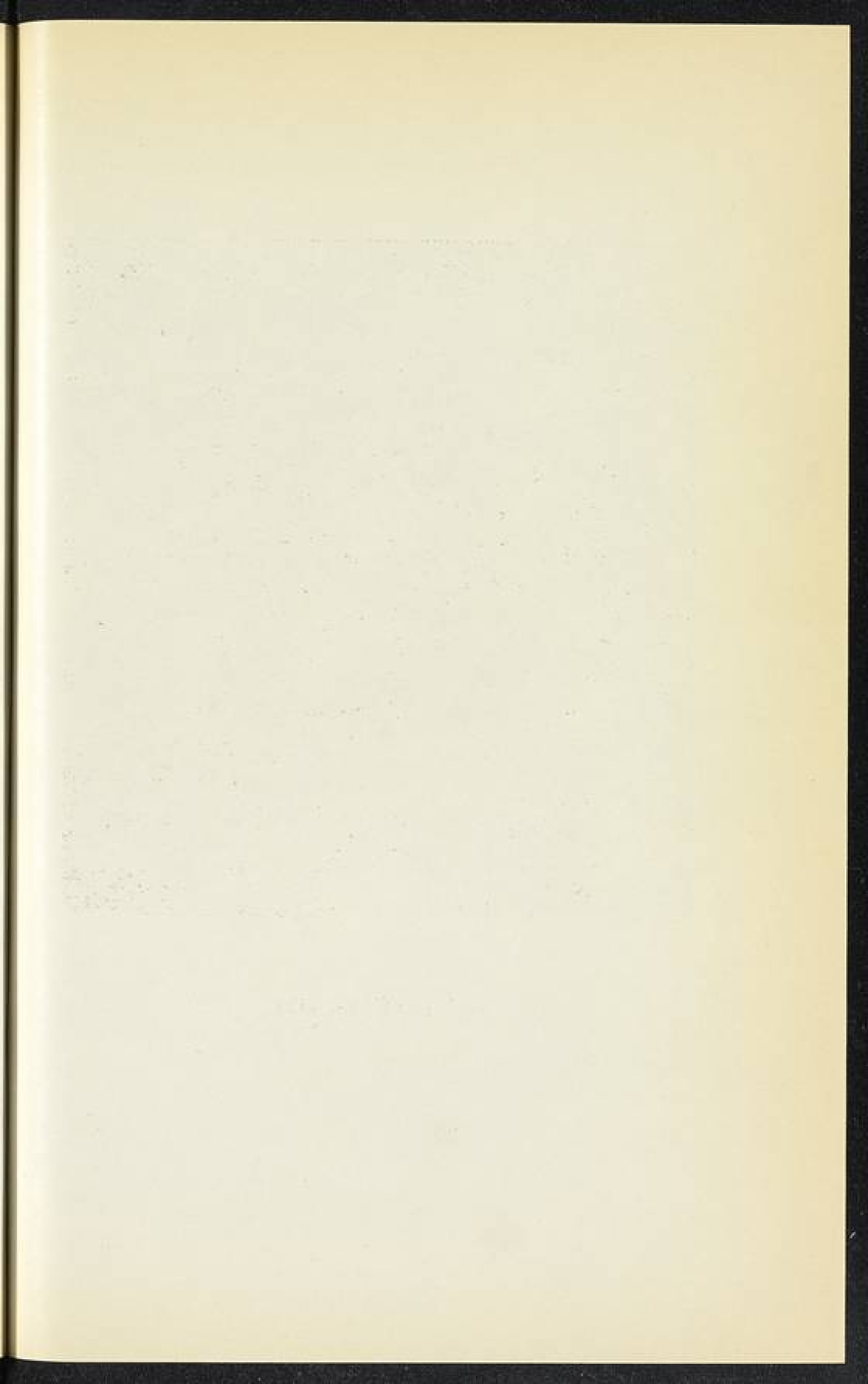
هذه بعض احاديث الانسام وبعض ما تنقله . . فاطمئني ايتها الارض، هناك عند السفوح يجثم ابطالك الصناديد، متحفزين مترقبين.. غداً تسمعين من افواههم القوية اناشيد الحرية ، اناشيد النصر والعزة والمجد .

ـ . . . . ـ

مع كل صباح تستقبل اجواؤك الأبية يا جزائر الحبيبة ، طلعات ابنائك الاحرار ، المرتفعي الجباه للعلاء ، الشامخي الرؤوس في قوة



مدفع يصلي الاعداء بناره



واعتزاز .. تستقبل فتيانك الاحرار ، افواجاً افواجاً ، يتدافعون نحو ساحة الشرف .. نحو الامل الوحيد .. نحو المعركة .

ومع كل مساء ، يجندل على ثراك ياجزائر الحرة ، ابطال احرار يمضون هانئي البال ، مستريحي الخاطر . على فمهم ابتسامة الاطمئنان والرضى ،واشراقة الفوز بالشهادة والجنة .. يمضون بعد ان سجلوا اسماءهم بأحرف من نور .. على صفحة الاستشهاد الخالدة .. يمضون بعد ان مهروا صك الحرية والمجد ، بتوقيعهم الذكي .. الارجواني الفائر ، الزاهي الاحمرار ..

في كل شبر وعلى كل سفح .. عند كل منعطف ، في الوديان والسهول والجبال ، في المدن والقرى ، في كل مكان ، اخ جزائري بطل ، يجاهد الطغاة المستعمرين .. يجاهد القراصنة اللصوص ، جهاداً لم تسجل صفحة البطولة حتى اليوم ، مثيلاً له او شبيها . معركة حياة او موت ، تلك التي يخوضها الاباة في الجزائر ، وحيدين منفردين محاصرين .. ينكل بهم في كل لحظة من لحظات الليل والنهار .. ليس لهم سلاح الا ما يستخلصونه من ايدي عدوهم ، وليس لهم ناصر الا ناصر المؤمنين المخلصين الواثقين بربهم ، ولنعم الناصر ولنعم المعين .

ولكن مهما اصابهم الفرنسيون الطغاة ، بالقتل والفتك والارهاب ، ومهما صبوا عليهم الحمم والقذائف وكل انواع القنابل ووسائل التدمير ، فانهم صابرون محتسبون .. انهم سعداء هانئون ، ما دام باقياً لهم هذا الايمان القوي المستقر في الصدور ، وتلك العقيدة السامية النابضة في القلوب ، وذلك الرأس الذي تعلم ان لايطأطىء خاضعاً لبشر قط .. لايطأطىء الا للواحد القهار ..

الا ايتها الامجاد .. وانت يا طبول المعارك وابواق الحروب ، ارفعي نشيدك عالياً ، ارفعي صوتك صداحاً ، وانت ترقبين مواكب الشهداء ، وقوافل الابطال تتالى متتابعة ، وهي تروي ثرى الأرض الأبية ، بالنجيع الاحمر الطاهر ، لتسمو نبتة الحرية الفينانة ، وتكبر هنا تحت سمائك يا جزائر الحبيبة ..

ولتقف الدنيا مشدوهة النواظر ، حائرة المقل .. تعجب وتعجب ، ثم تعود فتعجب وهى تراكن يانساء الجزائر وانتن تستقبلن شهداء كن وانباء استشهاد ابنائكن بالزغاريد والاغاريد ..

هذه السهول والرياض .. هذه الربى والهضاب المخضبة جميعاً بالدماء الذكية ، وتلك الافاق العديدة ايضاً ، تتبدى عندما تقع عليها

العين في كل ناحية وفي كل اتجاه ، شفقاً يباهي ويفاخر الشفق القرمزي الوردي الاحمرار ...

فارفعي بوقك الصداح يا ايتها الحرية العزيزة ، عالياً قوي الجرس ، هائماً فخوراً بالنشيد ، فهذه المهور التي يقدمها الاحرار هنا ، على جلل شأنها وفريد نوعها ، مسترخصة في سبيلك ، مبذولة من اجلك . فباهي العلى بها ، وطاولي الفخار نفسه .. فلن تري عشاقاً بين سائر الامم ، كهؤلاء العشاق المولهين بك ، الهائمين بحسنك وجمالك ..

(٢٣)

عروس جبال اوراس

سطعت تملأ الكون سناء وضياء .. في رحابها تطرق الشموس حياء .. ويحوطها الجلال والبهاء والفتون . تطربها الانغام ان رنت ، وان هتفت تسحرها باللحن البديع ..

يميل النسيم عليها ، فينشق من ريحها اذكى العبير .. ثم يمسح وجنتيها المشرقتين الملتهبتين ، بمسة تتمشى في اوصالها موجات الوله ،

ومشبوب الهوى والغرام .، لجمالها الآ سر تشرئب كل عين .. وتخفق عنـد ذكرها والهات القلوب . سمت للعلاء ثم اطلت ، فهفت اليها تحييها في تبجيل وفرحة واحـترام ، مواكب النجوم . . وسعت نحو برجها السامق الرفيع ، ملكة النجوم المتربعة على عرشها المنيع ، الجوزاء التي ترتفع اليهـا على الدوام ، معجبة حالمـة ، انظار الأنجم المتلألئة ، والكواكب المتدافعة المشعة بالنور ..

والوديان السحيقة الرائعة الخضراء ، ترفع وجهها الضاحك الفاتن ، ابدأ اليها . . مائجة حيناً ، وحيناً ساكنة . . تمتـد وتمتد . . وتختال في خفر وحياء ، حتى يعانقهـا السهـل الفسيـح المنبسط يفرش تحت اقدامها انواعاً من السجاد الفاخر الفريد ، والواناً من البسط العجيبـة السندسية الرائعة . . حتى تغيب جنباته الواسعة البعيدة ، عنـد الأفق الرائع الجمـال . .

السفوح المكسوة بالخضرة الزاهية ، تتمايـل بالدوح الكثيف .. وهنا وهناك تتألق الاشجار الباسقات الحالمات ، في روعة وفتنة وبهاء..

وعروسنا تحيط بها هالة من ضياء .. وآيات الطبيعة من حولها تلفها بالمنظر الفريد .. فتبسم حسناؤنا وتميل ، فاذا الرياض والينابيـع

والغابات واشجار السقوح ، جياشة الصدر بالهوى ، هاتفة الاحناء بالامل السعيد . .

الا تراها معي هنا يلفها الجمال والوقار .. في بساطتها المحببة ، فتنتها .. وفي شموخها وتوحدها هنا ، دليل انفها وعزتها . .

اذا اتيتها محبا وصديقا ، طالعتك منها مفاتن لا ينقضي من وصفها الجمال .. وحياك من اشراقها صوتها الحاني المتواضع . . المشرق الآمال . .

اما اذا جاءها مخاتل مخادع ، ومتجاسر عدو ، فالغضبة القاصمة ما يلقى ، والزئير المهلك مايسمع .. والرعود القاصفة . . والضربات المبيدة الحاطمة ، ما يطالعه ويحيط به ويشقى بلقياه ..

هنا العيون تسأل ، والنفوس تهفو . . فتجيبها المفاتن .. هذه « باتنه » عروس الجبال .. عروس جبال اوراس .. وعاصمتها المشتعلة عزة واباء ..

فتمايلي يا ايتها المفاخر . . هنا يختال في قوة واعتزاز ، ابناؤك الصيد الميامين .. هنا يضيفون الى سفر المجد والخلود كل يوم ، صفحة ذهبية مشرقة ، ناصعة البياض .. وهنا القرى المهدمة المتطايرة اشلاء

مبعثرة ، تكتب اسطراً من نور . . والارض المثخنة بالجراح ، الممزقة الاديم ، الغريقة الصدر بالقروح .. بالحفر العديدة التي احدثتها القنابل المتفجرة القاتلة ، على اختلافها ، والتي لم يسلم منها موطىء قدم .. تفتح امامك صفحاتها ، يا ايها المتقد الصدر من اجلها ، لتقرأ فيها فداحة الخطب النازل بساحتها ، وجسامة الهول ، الغارقة في لجته المتلاطمة البعيدة الاغوار ...

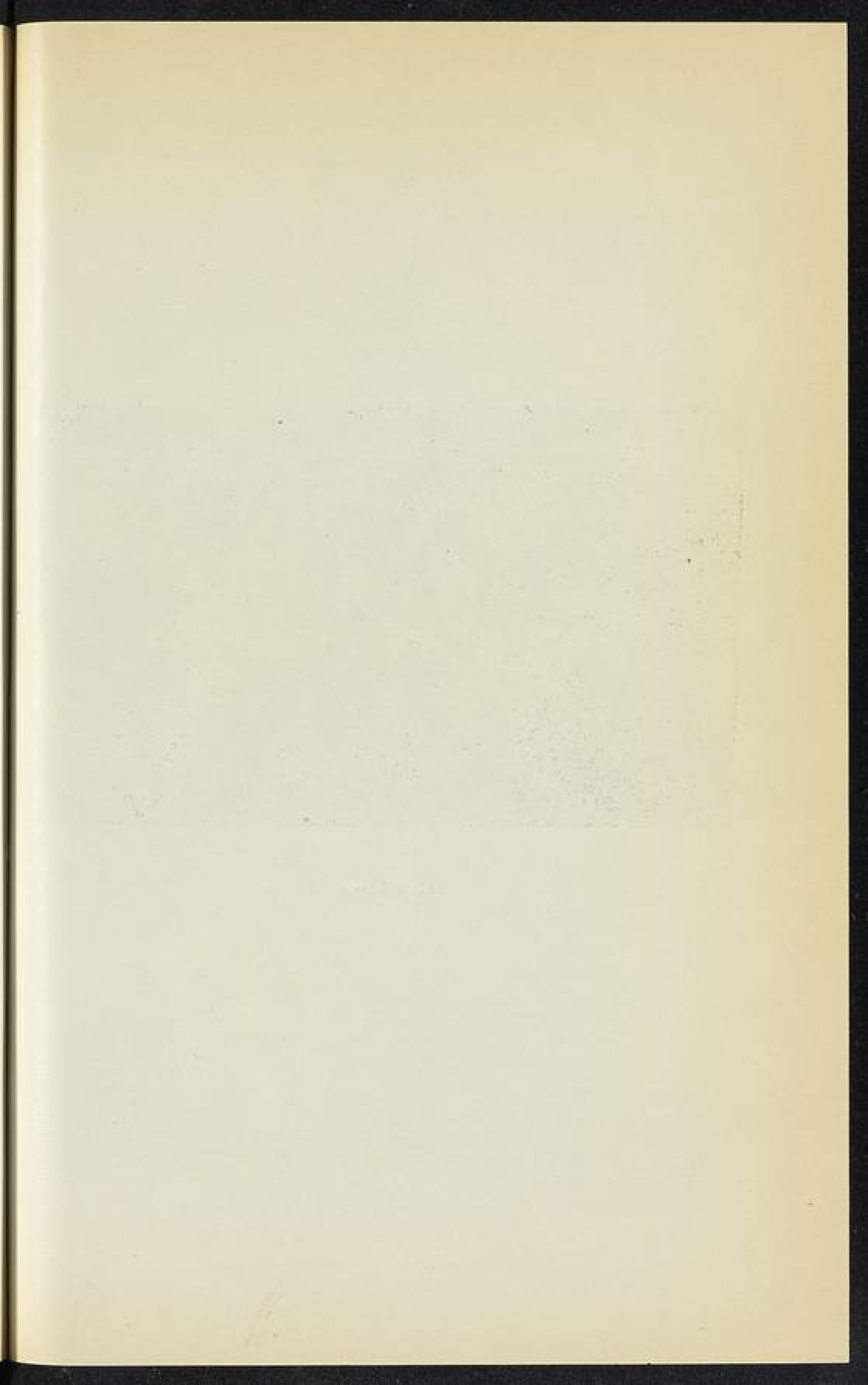
لا حاجة بك يا ايها القلب المضطرم ، ان تسأل وتستوضح . . لا حاجة بك يا ايها الناشد للحقيقة ، ان تستفهم وتأخذ اخبارك عن المراسلين . . بل لا حاجة لمخلوق ، ان ينقل قسوة الفتك ووحشية التدمير . .

حسب مقلتين اثنتين ان تشهد الحجارة هنا ، لتعلم الألم الشامل والجو القاتم المليء برائحة الدمار ، ولتدرك هول ما تقصه عليها هذه الحجارة من حديث باك حزين ، ونبرات متقطعة ..تدل حرقةالتأوهات فيها ، على قسوة ما لاقت من محن وآلام . .

يا ايها اللئام .. يا ايها الفرنسيون المتوحشون . . يا ايها الجبناء الانذال .. اي جرائم تقشعر منها الجلود والابدان . . ويندى لها جبين الانسانية خجلاً وعاراً ، تلك التي ارتكبتم وما زلتم ترتكبون ..



ضحايا بريئة



ما هـو ذنب السكان الآمنـين، حتى تفاجئوهم بالقتل والابادة والافناء .. ماهو ذنب الآمنين في منطقة سكيكدة [1] (فيليب فيل) وفي مناطق قسطنطينة وعنابة وسوق هراس وماحولها.. حتى تضربوهم هذه الضربة الوحشية الناطقة بالنذالة والغدر .. فيقتل منهم نحو ثلاثين الف مدني ؛ من بينهم سكان قرى افنوا عن آخرهم . . كسكان قرية القطع الروماني قرب سكيكدة .. وقرية العالية وعين عبيـد قرب قسطنطينة . وكثيرمن قرى النمامشة وسكان اوراس والقبائل الصغرى والكبرى ونواحي ندرومة ومغنية على الحدود المراكشيـة .. وانت ايتها القرى التي خلفـك المتوحشون انقاضاً وحطـاماً . . والحقوا بك هذا الخراب والتدمير، فاصبحت اثراً لحياة كانت هناتعيش في انحائك وتتنقل في ارجائك . . وعدت بلقعاً خراباً تقطنك الوحشة ، ويعشش بين انقاضك البوم . . بعـد ان كان يدرج في ساحاتك وعلى دروبك

---

(١) عن جريدة الشهاب الدمشقية في العددين ٦١ و ٦٢ في مقالة لممثل جيش التحرير الجزائري الاستاذ محمـــد الغسيري جاء فيها : (قتلت القوات الفرنسية في منطقة سكيكدة « فيليب فيل » وقسطنطينـة وعنابة وسوق هراس وما حولها ما يقارب /٣٠/ الف مدني بينهم سكان قرى افنوا عن آخرهم. كسكان قرية القطع الروماني قرب سكيكدة بشهادة مراسل جريدة لوموند الفرنسية .. وسكان قرية العالية وعين عبيد قرب قسطنطينة ، وكثيرمن قرى النمامشةوسكان اوراس والقبائل الصغرىوالكبرى، ونواحي ندرومةومغنية على الحدودالمراكشية).

اطفالك الابرياء .. اطفالك المتطلعون باللفتة الحلوة ،والنظرة التي تفيض بالهناءة والبراءة والطهر .. وبعد ان كانت تنهض الى حقـولك مع كل فجر ، النساء الآمنات المطمئنات ، والفتيـات الحسان الناهدات الهانئات .. يشعن البهجـة ، ويمـلأن جو الرياض نشاطاً وحركة .. ويحلن جو البيت والقرية بعـد عملهن الشاق المضني الطويـل ، انساً وهناء ، ونضرة ونعيماً .. راضين بما قسم الله . . آملين ان تنجلي الغمة عن بلادهم العزيزة ، فتسعد بعـد كفاح وآلام . . وتهنأ بعد شظف وقسوة وعذاب . وتعمر وتكبر ، وتدر بخيراتها بعد قلة وفقر وجوع وخراب . الا ايتها القرى الحبيبة . . لا أملك من تحيـة اليك الآن ، سوى زفرات حارة ملتهبة .. وآهات مخنوقة تتلوى من حرقة وآلام ..

اما انت يامدينة « القل »[1] فلقد شهدت من الفظائع والوحشية ما فاق ما شهدته عيناك من قبل حتى اليوم .. ولقدكان بودك ولاشك انتودعي وجيهاً من وجهائك الكرام ، ان تودعي محمد صالحدرويش .. غير الوداع الذي قسرك المتمدنون عليه .. فاحبسي الزفرة .. انحساب اللئام الذين احرقوا محمـد صالح درويش حياً بالبنزين ، مع الشهـداء

---

(١) المصدر السابق : « واحرقوا بالبنزين حياً ، وجيهاً في مدينة القل يسمى محمد صالح درويش وغيره من قرية سمندو بشهادة لجنة برلمانية .

الآخرين من ابنائك .. واحرقوا الشهداء من ابناء قرية « سمندو » وغيرها .. هذا الحساب . . يقوم به في كل ساعة ، وفي كل ناحية من الجزائر ، الابطال المتحرقون للانتقام ، بهجمات يذوب من هولها الحديد .. ويشيب الوليد .. فلا تجزعي ..

وانت يا قرية « بانيان »[1] ارفعي الرأس ، فأنت من بنات اوراس .. اللواتي يضمخ امجادَها ارُج المعارك ، وعطر الحرب والجلاد .. فلا يخالجنك الحزن اذن على شهدائك السبعين الآمنين ، الذين قتلوا مرة واحدة غيلة وغدراً ..

هذه بعض فعالك يا فرنسا المجرمة . . فاحنقي ما شاء لك الحنق ان تحنقي ، وموتي بغيظك فلن تستطيعي ان تموهي على احد في العالم بعد اليوم ، لتحولي انظاره عن سمعتك وشرفك ، الممرغين بالوحل .. العالقين بالحضيض ..

من كان يصدق ان فرنسا ام الحريات !!.. ومهد الانسانية !!.. تفعل ما تخجل وحوش الغاب والهمجية الاولى .. والقرون الوسطى .. ان تفعل بعضه

---

(١) نفس المصدر : « وقتلوا في قرية واحدة في جبال اوراس تسمى بانيان ما يزيد على ٧٠ شخصاً .

او جزءاً منه ؟ .

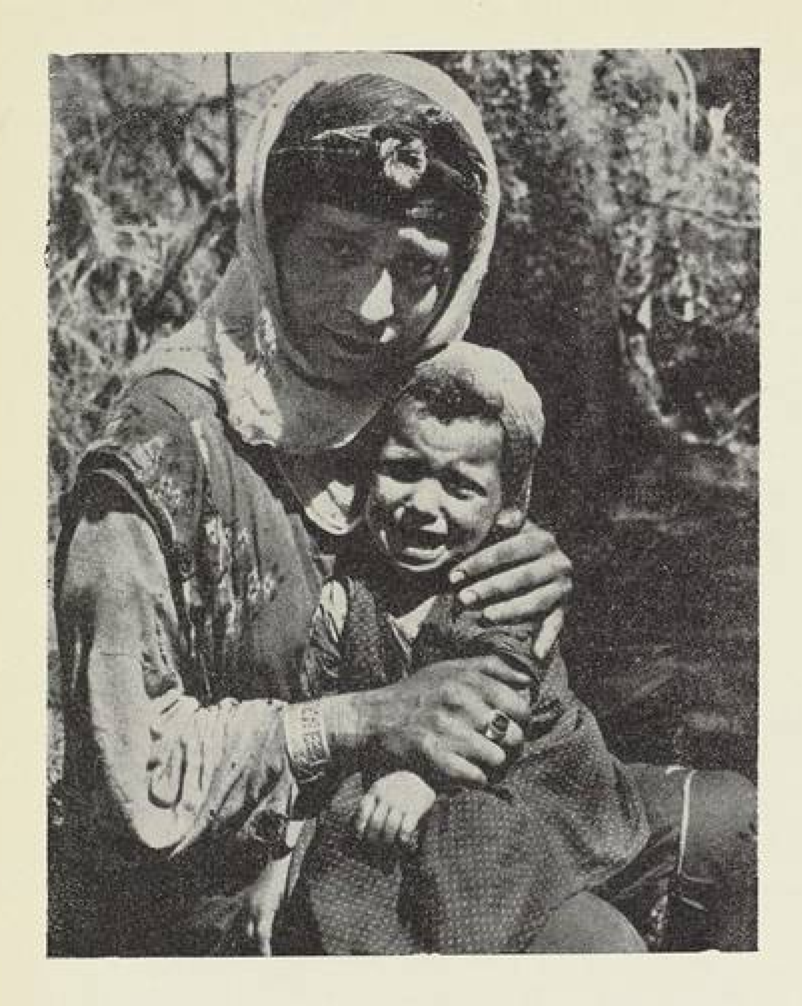
لقد ذاب عن وجهك الدميم ، البرقع البراق .. والادعاء الكاذب فظهرت على حقيقتك ام الدنايا والتأخر والانحطاط . . ومهد الوحشية والطباع اللئيمة . .

يا للعار الذي تجللين به هامك البشع الكريه ، الغارق في الدنايا والآثام .. ياللعار الذي تكللون به رؤوسكم وتدمغون بهوله جباهكم .. يا ابناء فرنسا .. من كان يظن انكم ترضون جميعاً هذا الختم الزري ، الدائم دوام الأبد ، يختمكم به ويطبعكم بطابعه الوضيع . . اسيادكم المتوحشون ، ورؤوس القوم فيكم ؟ من كان يظن ان الانسانية او صورتها .. اوحتى خيالها .. قدلفظتموها جميعاً وتنكرتم لها ؟.. ونفقدتم معانيها السامية في نفوسكم وطباعكم واخلاقكم ؟ ..

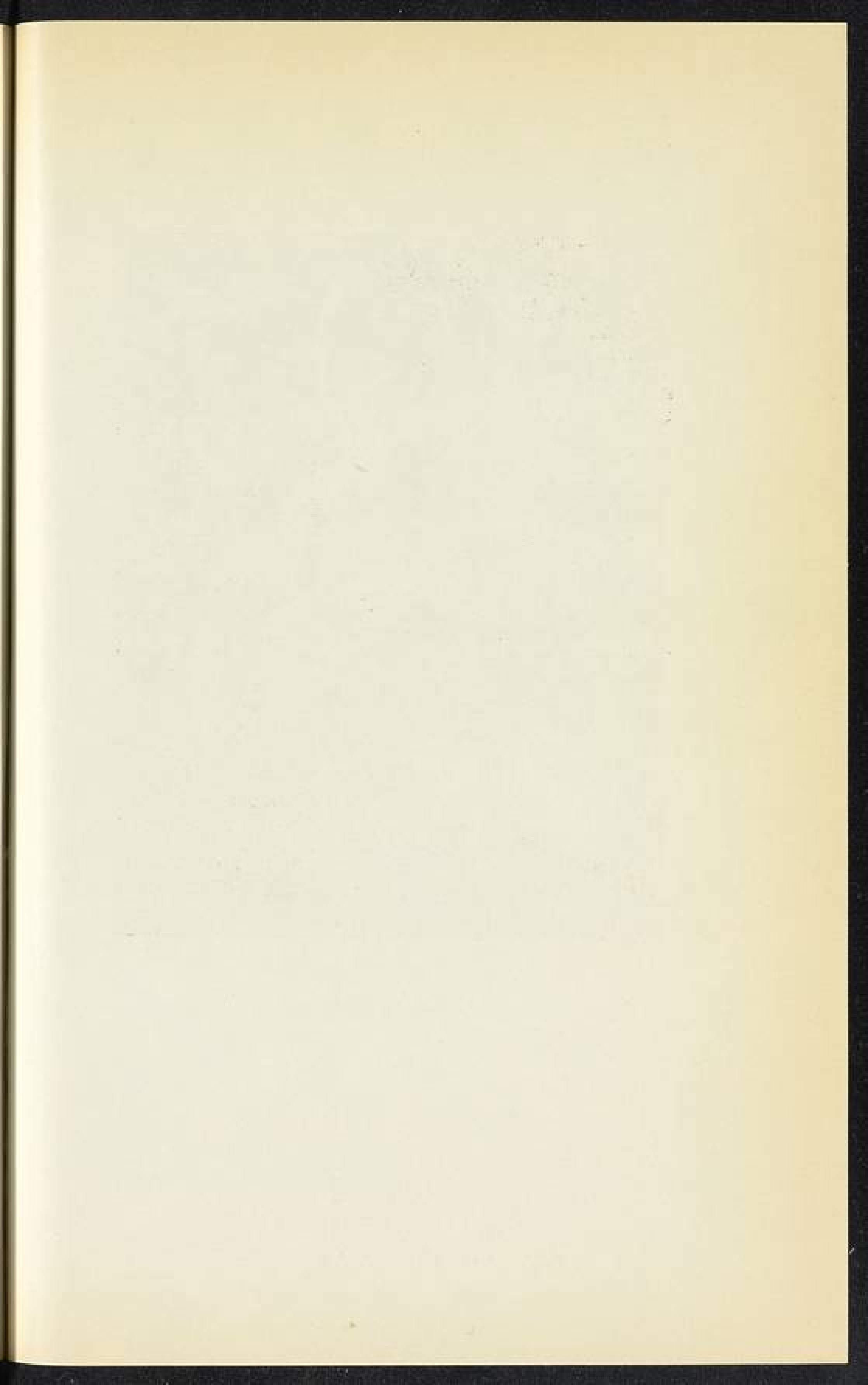
وانتم ياسكان عشرات القرى في جبال [1] اوراس ، يامن أُجليتم

---

(١) المصدر السابق : «واجلوا في هذه الجبال «اي اوراس » .. سكان عشرات القرى عن منازلهم ووضعوهم تحت الحراسة العسكرية واستباحوا اعراضهم وكل ممتلكاتهم .. وجوعوهم بصورة جعلتهم ينقرضون تباعاً »وكذلك فعلوا بقرى وادي الساحل ببلاد القبائل الصغرى ، فقتلوا اعضاء جمعية دينية يعدون احد عشر رجلا بينهم ولد صغير .»



لا مأوى ولا سكينة



عن منازلكم بالقوة .. ووضعتم تحت الحراسة .. واستبيحت ممتلكاتكم .. وما ذا اقول .. آه .. يا للانذال . . لقد استباحوا ايضاً اعراضكم .. وعمدوا الى تجويعكم .. حتى تنقرضوا انقراضاً تاماً ، وكذلك فعلوا بكم يا سكان وادي الساحل في بلاد القبائل الصغرى . . يا من فتك الاعداء الوحوش باعضاء جمعية دينية منكم ، يعدون احدى عشر رجلا بينهم طفل صغير ، .

صبراً .. صبراً .. ان موعد النصر قريب . . لقد دقت ساعة الخلاص ..

(٢٤)

المستوطنون الفرنسيون

اصل البلاء .. ومعظم البلاء الذي تقاسون منه الاهوال ، الى جانب بلاء الاحتلال ، يا ابناء الجزائر ، يا ايها الشجعان ، هو وجود المستوطنين الفرنسيين بينكم .. يكفي ان تصيب احد الفرنسيين رصاصة طائشة ، حتى يعمدوا الى قتل عشرات الآمنين ، كما حدث عندما قتل

رئيس قسم للبوليس في مدينة قسطنطينة ، فخرج ابنه الشاب [1] من المؤسسة التي يعمل فيها حاملا سلاحه . ليقتل ستة من المسلمين الآمنين ويجرح اثنين آخرين ، دون ان يعترض طريقه احد من سلطات البوليس .. بل ما كان من هذه السلطات ، الا ان اخـذت ثلاثة عشر رجلاً من اعيان المدينة فقتلتهم ثأراً بدون محاكمة .

فهؤلاء المليون من شذاذ الآفاق . . هؤلاء الفرنسيون المستوطنون .. هذا الجيش المسلح الاجنبي ، القائم الى جانب الجيوش النظامية المحتلة .. هذا الجيش الذي يفتك بكم .. برجالكم واطفالكم ونسائكم .. مثلما تفعل الجيوش النظامية ، بل بمكر اكثر واشد . .

---

(١) المصدر السابق ايضاً : « قتل رئيس قسم البوليس برحبة الصوف ، اذ اصابته رصاصة من مجهول فما كان من ابنه الشاب الا ان حمل سلاحه وخرج من مؤسسته المالية التي يعمل فيها فقتل ستة من المسلمين وجرح اثنين انتقاماً ، ولم يلق القبض عليه الى الآن .. وما كان من السلطات البوليسية الا ان اخذت / ١٣ / رجلا من اعيان المدينة فقتلتهم ثأراً بدون محاكمة .. وبينهم السادة احمد رضا حوحو كاتب معهد عبد الحميد بن باديس بقسطنطينة ، وعضو في جمعية العلماء والكاتب القصصي المعروف (والحاج اسماعيل بوعلاق) النائب البلدي بالمدينة وعبـد الملك بوظو عضو حزب البيان . وعلي بودرو وعلي نزار المنتميان الى حزب سياسي ومحمد طاهر العجابي كاتب النقابة الوطنيـة وكشيطراع التـاجر بالمدينة وغيرهم .. »

ثم يعودون فيدّعون ويزعمون انهم من ابناء البلاد.. هؤلاء .. هؤلاء بحاجة الى اهتمامكم الزائد يا جيش التحرير والخلاص ! ..

فعطفة من عطفاتكم الصادقة عليهم . . عطفة تقتلعهم من جذورهم . . عطفة فاذا الفئران والجرذان تفر وترتد الى جحورها وبلادها . . فتطوى معها هذه الاسطورة التي اختلقوها لايهام الناس والهزء بعقولهم ، زاعمين انهم .. من ابناء الجزائر ! . .

الجزائر لسانها عربي فصيح .. فهل لهؤلاء لسان ؟ . ان كل مايصدر عنهم رطانة والفاظ عجماء مبهمة . . ولغة عربية كلها لغط وغمغمات ، لاتمت الى اللسان العربي بأوهى صلة ، وادنى نسب ، .

الجزائر .. عرق ابنائها معروف .. وتكوين هيئاتهم معروف ايضاً ومتميز عن سواهم . . وهي بالطبع غير عرق وهيئات اولئك المليون من الدخلاء الاعداء ..

الجزائر . . تاريخها ناصع ، وامجادها معلومة ناطقة . . وليس لهؤلاء الدخلاء تاريخ ولا امجاد . . الا اذا كان للامم التي ينتسبون اليها تاريخ معلوم .. وامجاد ! .

الجزائريون .. يريدون الحرية والاستقلال .. وهؤلاء لا يريدون .. اذن ليس لهؤلاء شعور الامة الجزائرية ولا عواطفها .. ولاهم يحاولون مشاركتها في العواطف والمشاعر ..

ولو اننا مضينا جدلا في المقارنة الى ابعد ما يمكن .. لما خرجنا الا بفكرة واحدة وغاية واحدة ولما عدنا الا الى الحقيقة الناصعة التي لا يتطرق اليها ادنى شك وهي : ان هؤلاء المليون من شذاذ الآفاق لا يمكن ان يتحولوا فيصبحوا جزائريين .. فضلاً عن ان يكونوا جزائريين بحال من الاحوال . . الا اذا تخيلنا ان في مكنة القردة ان تتحول الى انسان وبشر سوي ! ..

انهم سرطان مخيف .. انهم داء مستحكم .. لا حياة للجزائر الا في استئصاله من جذوره والقضاء عليه . . انهم نبات طفيلي ينمو على حساب شجرة الامة الجزائرية العظيمة .. وقد استفحل امره .. فغلظ وامتد واشتد ، واستحوذ على غذاء الشجرة وخيراتها . . فضلاً عن امتصاصه لعصارة حياتها ودمائها .. فذوت غصونها، وذبلت اوراقها ، ولا يزال ماضياً في الالتفاف عليها كالأخطبوط .. يعصر عنقها .. ويهصر جسمها وقوامها .. ويتغذى بدمائها وغذائها .. فلا خلاص ..

ولا حيـاة الا باجتثاث اصوله .. وطعنـه في قلبه طعنة نجـلاء . . طعنة قاضية مميتة . .

- . . . . -

هدوءاً ايتها العواصف الثائرة . . وسكوتاً ايتها الاصـوات الراعدة العالية .. وسكوناً يا صراخ الدماء في عروقي الملتهبة . . ومهلاً يا جيشان الانتقام وازباد المقت والكره في صدري ..

اذا لم تستطيعي التماسك والتمالك .. واذا لم تستطيـعي الهـدوء والسكون .. او حتي اذا ما استطعت ذلك . . فغذي ايتها العواصف زئيرك بهذا المشهدالبادي الغريق في جلال الصمت والاحزان ..وانت ايتها الاصوات .. ويا ايتها الدماء الفائرة .. وانت يا نفسي .. ألا غذي غضبتك .. ألا فلتتغـذ ولتستعر .. وكيف لا يمسها وقـد من النار، يتمشى في الاحناء والاوصال، وهنا تبدو للناظرين، بقايا قرية «بقالم»[1] وحطامها المتناثر .. وقد عفت على آثارها ، قسوة المعركة .. ووحشية المجرمين . .

(١) المصدر السابق : « واخيراً في قرية بقالم التي قتلوا فيها كل السكان المسلمين بشهادة الفرنسيين انفسهم ».

فيا ايتها العين .. رويدك .. لا تبكي .. كفكفي دمعك السخين..
وليبك قلبُك فقط ، يامن تشتعل منك الانفاس .. وتستعر الجوانح..
يا ايها المتقد الضلوع ، يا ايها الثائر النفس .. يا ايها المضطرم القلب ..
تجلد .. تجلد .. اني اخشى عليك ان ينفطر منك الفؤاد ..

فهنا صورة ناطقة مرعبة ، من صور الوحشية والغدر . . هنا
صورة لئيمة من صور سياسة الافناء التام .. تتراءى كالحة الوجه ..
بغيضة ممقوتة . .

وهنا الارض والريح والسحاب . . ترنو اليك يا « بقالم »
الشهيدة .. باكية تندب سكانك الابرياء الآمنين ، الذين قضى عليهم
جميعاً ، جنود فرنسا المجرمون ..

وكذلك فعلوا بكن يا ايتها القرى الحبيبة البريئة .. يا اخوات
بقالم.. يا بالسطرو[1] والشرفاء والحمام والعزازقة وسيدي علي بوناب ..

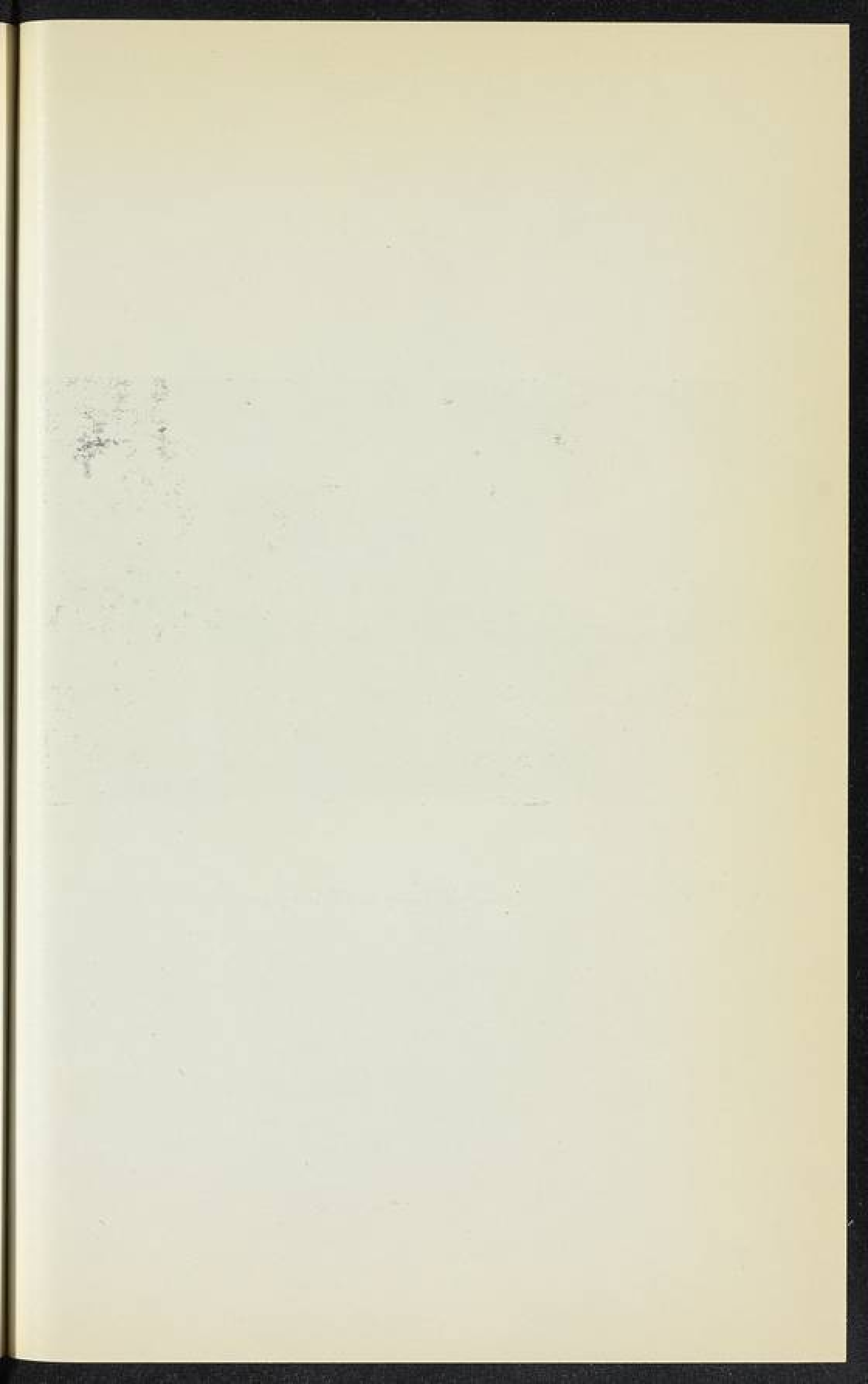
الا فاهدئي ايتها النفس.. وتمالكي.. قد يشاهد حرقتك ودمعك
الاعداء اللئام .. فصبراً .. صبراً جميلاً .. والله المستعان ..

---

(١) نفس المصدر : « وكذلك فعلوا في قرية بالسطرو والشرفاء والحمام
والعزازقة وسيدي علي بوناب » .



صورة ناطقة بوحشية الفرنسيين



تحية الامير العظيم

لمن هذه الصورة الرائعة المشعة بالضياء الباهر ، تتبـدى جليـلة مهيبة عبر السنين ؟ ..

لمن هـذه الملامح التي يحدق فيها المجد مفتون النواظر ، مدّله القلب مأسور الجوانح ؟ ..

لمن هذه القسمات التي هتفت لمرآها عرائس العليـاء ، وسمت نحوها ذابلة الجفن ، والهة الاحناء .. ترنو رنو العاشق المستعر الضلوع وتهفو هفو المغرم المتيم الفؤاد ؟ .

لمن هذه النظرة التي تشتعل اباء وعزة ؟ ويطأطئ امام جلالهـا وسلطانها هام الزمان ؟ .

وما لقمم الجبال المرتفعه الذاهبة في اعتزاز نحو العلاء .. تطامن من كبريائها وزهوها .. هـل اطللت عليها من عليائك ؟ نعم . انهـا هفت اليك مذ رأت سنا جبينك .. وساحر طلعتك وجلال محياك ..

وهاهي الرياض تشدو .. هاهي الربى تختال .. ومن الجداول الرقراقة السعيدة ، يرتفع هزج الخرير الناعم من قريب .. وعلى توقيع النسيم الفاتن ، تمايل من طرب ، فارعات الاشجار المائسة من بعيد ..

والدنا غارقة في لحن ساحر عذب .. وهي تشدو باسمك البطولي يا ايها الامير الحبيب .. يا عبد القادر .. يابن الجزائر الحرة .. يابن الجزائر الأبية العزيزة .. يا هتفة كل قلب ، يانشيد كل لسان ..

من خلال السنين الطويلة ، بدت طلعتك المضيئة ، تنير للاحرار طرائق المجد ..

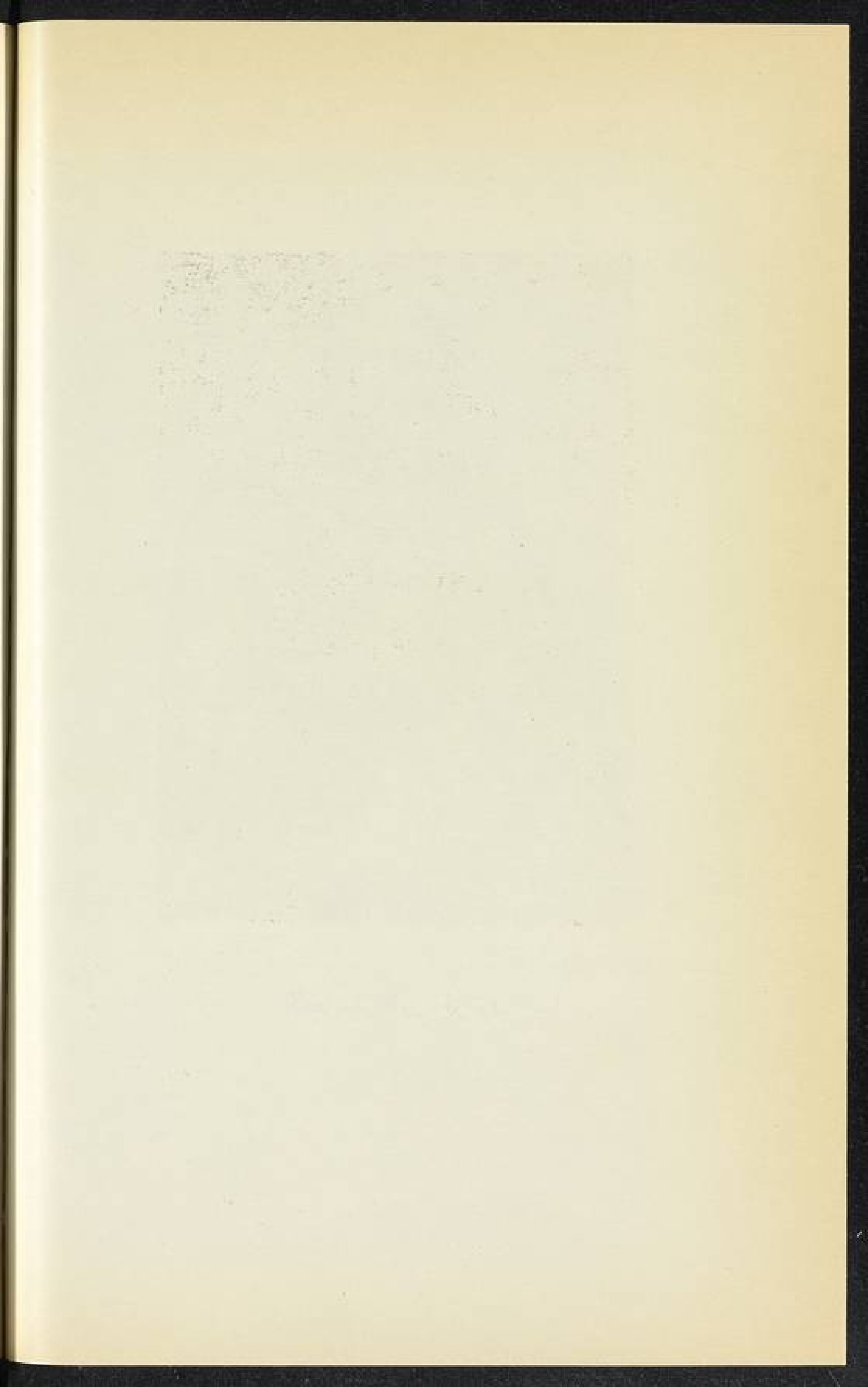
من ومضات كفاحك ، اخذت توقد مشعلها الذهبي الباهر السنا .. مواكبُ البطولات ..

ستمضي القرون وتنقضي .. وتتتالى الدهور وتفنى .. وتظهر امم جديدة فوق هذه الارض .. وتبيد امم اخرى وتنقرض دول كانت لها السطوة والبأس، والنفوذ والسلطان .. لتشب دول .. وانت لا يفنى لك ذكر .. ولا ينقضي لك اكرام واكبار ..

آه .. هذه القلوب في مختلف البقاع والاصقاع .. ماتزال تشدو بحبك .. هذه النفوس في ارجاء الارض ما تزال تهفو كلما ذكر اسمك



الامير عبد القادر الجزائري



ذاكر، او رفع لواءك مجاهد بطل ..

هنا الجبال الشامخة نحو العلاء في شمم واباء، تكاد اذا ما سألتها يا ابا المتيم الفؤاد بحبها عن مبعث زهوها وعجبها، تقول: لقد رأيت شموخ رأس اميري عبد القادر، فأشعرني الزهو والخيلاء .. ورأيت هامات ابنائي الجزائريين، المتميزة بالانفة والاباء .. فأشعرتني القوة والعزة والعلاء ..

فتمهلي يا رياح وانت تسفين الرمال هنا والتراب .. تمهلي .. ان هذا الغبار المعقود، وهذه الرمال المتناثرة، ظلت طيلة سبعة عشر عاماً وما تزال يحركها ويدفعها شوق الجهاد وسعير المعارك ..

انها ما تزال منتشية من عذب النشيد .. وصيحات الحرب، وقعقعة السلاح ..

انها ما تزال يسحرلبها، ويفتن قلبها، صدى صوتك عبرالسنين يا عبد القادر .. يا اهزوجة القلوب، ولهذا فهي ما تزال في شوق الى الجهاد .. الى العراك المتواصل .. الى اصوات ابناء الجزائر الاحرار .. تسمع فيها نبرة من صوتك .. وتجد فيها خفقة من عالي همتك، وعزمة من رائع عزماتك ..

ان كان على ظهر البسيطة من يستحق اكليل الغار والفخار من بلاد الارض على اختلافها .. فهي بلادك .. هي الجزائر المظيمة الحرة.. وان كان هناك بين ابناء الامم المختلفة ،من يستحق عرش المجد وصولجان البطولة ، فهو انت .. وكل فتى حر من ابناء الجزائر الاباة . .

يا عبد القادر .. اي معنى ابي حر انت . . اي شعور بالعزة ؟ اي اهزوجة فخار ، تردد فتأسر القلب ، وتسعد النفس . . اي اغنية جميلة عذبة .. تحلق بالنفوس الحالمة الى سموات المجد والعلاء ، هي هذه الاغنية التي يتركب منها اسمك الحبيب ..

آه لو ان الاقدار اعانتك على طرد الغزاة من ارض بلادك ، ماذا كان سيصيب هذه البلاد العظيمة من خير واقبال ، ومكانة سامية؟ ولكنها لم تكن اقدار يمن وبركة وسعادة ، بل كانت اقداراً عاتية مصوّحة مهلكة .. فيا ايتها الاقدار العاتية ، كيف اسلمت جهاد امة وكفاح شعب ، داما سبعة عشر عاماً كأعظم مايكون الجهاد .. واشد مايكون الكفاح .. الى ذل الاحتلال ومرارة الهزيمة ؟

اما كان يمكنك ايها القدر ان تكون في صف البطل الى النهاية.. الى النصر .. وان تكون من اعوانه في حربه ضد المعتدين اللئام ؟ .

آه .. نحن نعاتبك ايها القدر ولكننا لا نلومك . . لانـا نؤمن بقضاء الله . . ولن نشك في هذا القضاء اطـلاقاً اذا ما حزبنـا امر او نزل بنا ضيق ..

وان هذه النظرة .. ليست تسليماً ولا تخاذلاً ولا ضعفاً ، كما يحب المرجفون ان يزعموا .. بل هي دافـع للتطهر من ادران النفس والخطايا والآثام .. هي قوة قاهرة تعين على الصمود وعلى التحفز من جديد .. هي قوة خلاقة تجلو الغبار المتراكم عن جوهر النفوس .. هي راحة للنفس اذ هي تعليم على الصبر .. لا على التسليم ..

والصبر قوة للانطلاق لا تحد .. فهو باعث للهمم ومحطم للقيود .. هو ثورة نفسية ، واتون متقد يصهر على الدوام معادن النفوس ، ويطرح عنها الكدر والونى ، والضعف والخنوع .. فيجلوها نقية صافية ، تترفع عن كل دنية ، وتسمو على كل خور . . فاذا بها مثل عليـا متحركة . . اذا بها غايات خالصة في عالم المثال ، تتحقق في سعي هذه النفوس وفي تطلعها واندفاعها ..

ومن هنا كانت هذه النظرة قوة دافعة الى الامام .. قوة خلاقة .. قوة بناءة .. قوة منفعلة متفاعلة .. لا قوة ساكنة راكدة ..

وعلى هذا كانت الاندفاعات القوية المتعاقبة الدائمة .. وعلى هذا كانت هـذه الانطلاقات ، هذا الاتون المتأجج ، هذا الاقدام . . هذه الاضاحي .. هذه البطولات التي يسجلها كل يوم في صفحات المجـد باحرف من نور ، ابناء هذه الامة العامرة الصدر بالايمان .. هذه الامة الفائزة المنتصرة بالصبر . . هذه الامة المطمئنـة النفس الى مصائرها ، بتحفز وترقب وتوثب ، لا بتواكل وجبن وتسليم ..

(٢٦)

عندما تتكلم الحرية

كلما ذكرتك يا عبد القادر ، يا ايها الامـير البطل . . مرت بخاطري الصور الفاتنة الزاهيـة .. صور بطولاتـك . . صور كفاح الشعب الجزائري العظيم .. الصور العجيبة كالخيال .. متلاحقة متتابعة..

كلما ذكرتك يا عبد القادر .. يا ايها الامير الحبيب .. تراءت لي قصة جهادك الرائع .. وقصة جهاد الامة الجزائرية الخالدة .. طيلة قرن

وثلث قرن من الزمان .. منذ نزول الاعداء في « سيدي فروج »[1] عام ١٨٣٠ م منذ ان تمكن اللئام الانذال من دخول الحصن الكبير[2] حيث انفتح امامهم الطريق الى مدينة الجزائر ..

منذ ذلك اليوم والحرية خافضة الطرف، مكلومة الفؤاد . . لاتشاهدالا تمسة حائرة، موقرةالظهر، مغضّنة الأسارير.. تجلل عينيها غيوم سوداء، وتطفح نفسها بالاسى والحزن .. فهي في هم دائم مقيم ..

ألا أين ذلك الجبين المشرق الوضّاء، الهاتفُ بالأماني والآمال، الناطق بالهناءة والسعادة، تشخص نحو ضيائه الساحر، القلوبُ المفعمة بالحب، الزاخرة بالهناء ..

اين ذلك الجبين الباهر السنا ؛ اين جبينكِ المشع بالضياء الأخّاذ يا ايتها الحرية، قد توارى خلف ظلال من الكآبة والاحزان ؛ .

آه .. لقد حق لك ان تحزني وان تبتئسي . . فهنا على ارض

---

(١) انزلت فرنسا /٤٠/ الف رجـــل بتاريخ ١٤ /٦/ ١٨٦٠ م في « سيدي فروج » الواقعة غرب مدينة الجزائر .

(٢) بتاريخ ٤ /٧/ ١٨٣٠ تخلى الجزائريون عن الحصن الكبير الذي كان يحمي مدينة الجزائر فدخلها الفرنسيون في ٥ /٧/ ١٨٣٠ م

الجزائر الحرة ، يقوم البرابرة المتوحشون باسمك يا ايتها الحرية الحبيبة بأفظع الجرائم واقسى ضروب الانتقام ينزلونها بشعب كل ذنبه انه يكره الذل ويعشق الحرية .. يعشقك انت ايتها الحرة الغالية العزيزة..

ولكن ماهذا الصوت الذي أحبه وأهيم بنبرته وساحر جرسه ؟ ما هذا الهاتف الحبيب الذي يبدو لي كأنما ينبع من نفسي ، ويسري في عروقي وأنفاسي .. ومع ذلك فان صوته الحلو يأتيني ،كأنه نغم عجيب لعين ثرّة تسلسل الماء رقراقاً ، يوسوس في اذن الروض الناعم البهيج ، مونق احلامه ، وموشّى سعادته ..

نعم انا حزينة والهة .. ولكنني في اعماقي مطمئنة سعيدة .. ـ هكذا هتفت الحرية قائلة ـ انا حزينة والهة ، لما جلل به اللئام المهمج رأسي من عار .. انا حزينة ووالهة لما يصيب احبائي المخلصين ..

واما أني مطمئنة وسعيدة ، فان هذا الاطمئنان وهذه السعادة اناشيد تصدح هازجة في اعماقي ، وانا ارى مايقوم به ابناء الجزائر الاحرار من تضحيات وبطولة .. واشهد ما يغرسونه لي في كل بقعة من بنود ، وما يرفعونه لي في كل شبر من اعلام ..

كيف لا اطمئن واسعد وانا ارى نفسي في بريق عيونهم ، في

آمالهم واحلامهم .. في خفقات قلوبهم وفي استعار ضلوعهم ..

اني اعشق هؤلاء القوم واحبهم ، كما يعشقوني ويحبوني ، حتى انني لا اكون مغالية اذا قلت : ان كلاً منا قد فني في الآخر فناء تاما واتحد به اتحاداً شاملاً ، وكأنني اسمع التاريخ ، الحكم القوي ، وهو يرسل حكمه اليوم اوغداً او في المستقبل قائلاً : لقد عاد العنصران الى بعضهما فائتلفا واتحدا بعد افتراق ، لقد عادت الحرية المكلومة .. لقد عادت الحرية المفتقدة الى نبعها .. عادت الى وحيها ومصدرها .. عادت الى الجزائريين الابطال .. عادت الى احفاداولئك الذين بنوا الحضارة والعز ، اولئك الذين تفاعلت هي بنفوسهم ونشأت في كنف عدلهم وتسامحهم ، وترعرعت في احضانهم ودرجت في ارضهم فنشقت من انفاسهم معانيها ، وتعلمت من انفهم وابائهم رشدها ومضاءها .. وسارت تغني في البلاد ، الغناء الذي وعته في اكنافهم ، والشدو الذي تلقنته في مرابعهم ..

واما انت ايتها النفس .. اما انت ايتها الذاكرة ، لماذا تعودين بي الى تلك الليلة الليلاء .. لماذا تذكريني على الدوام بهذا الذي فعله الوحوش في ليلة السادس من نيسان عام ١٨٣٢ م ؟ لماذا تذكرينني ايتها النفس .. بهذه الفعلة الشنعاء ؟ بهذه الجريمة الوحشية النكراء ؟ لماذا

تعرضين علي صور القبيلة النائمـة المطمئنه تحت خيامها . . تلك القبيـلة المجاهدة المكافحة ، القبيلة العزيزة الأبية ، القبيلة التي نامت على صور البطـولة ، وأغفت على الاحلام الجميـلة . . القبيلة التي نامت مطمئنـة يرفرف على ارضها الأمن ، وتطوف في جوها نسائم السلام . . لماذا ايتها النفس تعرضين عليّ صورة القبيلة النائمـة وهي تصحو من رقادها وفي عينيها ذعر شديد . . تصحو على السكين تغوص في اعناقها ، وقد جثم على صدر كل نائم ، مجرم سفاك يحزّ الرأس في سرعة ووحشية ، فما تلبث العـين ان تصحو من رقادها حتى تعود الى اغماضـة ابدية وثبات طويل . .

واما انت ايها القنصل [1] الضالع في الجريمة حتى اذنيـك . . يامن جلّلت هام امتك ودمغت جبين بلادك بالخزي ، ورميت بها الى الحضيض ، وأغرقتها في لجة العار الى الابد ، فلن يُذكر اسمُك قط

---

(١) في ليل ٦ نيسان خرجت احدى قطعات الجيش من مدينة الجزائر وفاجأت مع مطلع الفجر القبيلة النائمة تحت خيامها وذبحت جميع افرادها ، وحملوا الرؤوس على الحراب حين عودتهـم . وقد بيعت جميع غنائم المعركة الى قنصل الدانيمرك ، وباقي الغنيمة من اسلاب دموية للمذبحة ارسلت الى السوق في مرفأ غزون وشوهد في هذا السوق اساور ذهبية على معاصم مقطوعة واحلاق لازالت معلقة في شحماتها ، وفي المساء امرت الشرطة عرب الجزائر بتنوير محلاتهم .

الا مقروناً بلعنة الاجيال ونقمة التاريخ ، فهنيئاً لأمتك ما الحقته بها وباسمها من مهانة واحتقار ..

وانت ايها الجنرال [1] التعس .. يا من خلفت الجنرال كلوزيل نتيجة فشله المتواصل .. لقد ذهبت الى غير رجعة ، غير مأسوف عليك ايها المعتدي الاثيم ..

ولكن من هو قائد حامية قسطنطينة ؟ من هو هذا البطل ؟ الا فلتسمع الدنيا اسمك الطروب، اسمك العظيم..يا قائد حامية قسطنطينة، يا جنرال عيسى [2] ولتترنم البطولة باسمك .. ولتردد بفخر اجاباتك القوية الساطعة بالعزة والاباء على انذار الجنرال دامريمون ..

ولتشهد الدنيا هذه البطولة الرائعة التي خلدتها الحاميةُ الصغيرة

---

(١) هو الجنرال دامريمون الذي عينته الحكومة الفرنسية بدلاً من الجنرال كلوزيل نتيجة لفشله .

(٢) كان قائد حامية قسطنطينة الجنرال عيسى عندما حاصرها الجنرال دامريمون عام ١٨٣٧ وانذر حاميتها بالتسليم ولكن الجنرال عيسى اجابه :«نفضل الموت تحت جدران بيوتنا على ان نعيش تحت سيطرة الفرنسيين » وقتل الجنرال دامريمون قائد القوات الزاحفة قبل استطاعة الفرنسيين دخول قسطنطينة ، وقابلتهم الحامية والسكان بمقاومة ضارية في كل بيت وعند كل منعطف وفي كل شارع .

في صمودها للعدو ، وهذه المقاومة الهائلة من سكانك الشديدي المراس والبأس يا قسطنطينة ، يا بلد الامجاد ..

ولكن ماهذا الحاكم العام[1] يسعى بمكره ليثبت اقدام فرنسا، ثم يقبع حوالي سنتين يتهيأ للقيام بافظع جريمة ، وابشع خطة واقذرها، طلعت بها فرنسا على الجنس البشري منذ العصور الاولى حتى اليوم . تلك التي سميت بخطة : « الارض المحرقة » تلك الخطة اللئيمة التي اخترعتها عبقريتك الهمجية يا ايها الحاكم العام ، يابوجو ، يامن راعتك بطولات الامة الجزائرية فعمدت الى احراق الارض والمحاصيل وبني الانسان ومشى على نهجك وتأثر سبيل خطاك ، وسار على طريقتك البربرية الوحشية عام ١٨٤٥ م الكولونيل « بيليسه »[2] عند ماسلط على افراد قبيلة « ولد رياح » في مغاور نيكماريا الدخان حتى ماتوا خنقاً .

---

(١) وقع الامير عبد القادر في ٣٠ /٥/ ١٨٣٧ م معاهدة مع بوجو الحاكم العام عرفت بمعاهدة طفنة على ان يكون للامير السلطة التامة على ثلثي الجزائر وفي ١٨ /١١/ ١٨٣٩ عادت الحركات الحربية وقام بوجو الحاكم العام باساليب جديدة للحروب سماها « الارض المحرقة » فحرقت المحاصيل والمواشي وحرق النساء والاطفال والرجال المحاربون . وقد كتب احد الجنود الفرنسيين يصف ماقاموا به من وحشية « .. وقد حرقنا بلاد بني منصر التي تعتبر من ابهى واغنى البلاد التي رأيتها في افريقيا » .

(٢) وضع الكولونيل بيليسة افراد قبيلة ولد رياح في مغاور نيكماريا وسلط عليهم الدخان حتى ماتوا خنقاً .

اعلان الثورة

اضربوا الطبـول .. وارفعـوا النفير .. ولوّحوا بالبنادق .. يا اخوة الكفاح ..

اجمعوا الثكالى .. واجمعوا اليتامى .. واجلبوا الشيوخ .. وبلوعة القلوبِ .. فانظموا النشيد ..

هتفتْ تغني .. حناجرُ الزمان .. وانبرت اليكم .. مواكبُ البطولة .. فسطّروا بضربٍ .. روائعَ الخلود ..

فتياتنا شداد .. لهن وقد عزم .. يفتت الحديد ..

قد أبين الخنوعا .. وثُرن للدماء .. فانتشي يامعارك .. واسعدي بالكفاح .. فربّةُ الخدور .. وربّةُ الطعان .. تسير في عزمة .. بساعدٍ مفتول .. وقامةٍ مشدودة .. وغضبةٍ تباهي غضبة الاسود ..

والفتى المنافح .. فريد بالصفـات .. لاتسألوا عن سناهُ .. ولا عن نداهُ .. ولا عن صباه ..

لا تسألوا عن فعالٍ .. فبعض ما يحقق .. شبيه بالخيال ..

أنفه اشمْ .. ووجهه وضّاء .. ونفسه ابية .. وضربه مبيد ..
وصوته مجلجِل .. دونه زئيراً .. عواصفُ الرعود ..

فاهنئي يا اعالي .. واسعدي يا هضاب .. وابسمي يا سهول ..
فهذه المفاخر .. فريدة المعاني .. جليلةُ الاهاب ..

وهكذا تمضي العواطف والمشاعر .. تُذكي فرحتها العظيمة،
اشراقةُ النفوس ..

والبهجة الكبرى ، تشدو في اللفتات وتبسم في القسمات ..
وترقص في العيون .. فهذا اول نوفمبر [1] «تشرين الثاني» عيدُ الجهاد..

ياعيد الثورة ، يانعمة الفؤاد .. ياصيحة النفوس، يامنبع الآمال..
يا هتفة الشباب ، وفرحة الشيوخ .. يا نعمة الله على الارض الغريقة
بالجراح، والشعب المكبل بالقيود .. يابسمة الامل ويا اغرودة الرجاء..
ياشدو الاماني ويانجوى الضلوع ..اليكَ التحيات مباركات عاطرات..

---

(١) اول نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٥٤ ابتدأت ثورة الجزائر
الحالية ، قوية شاملة منظمة .

اي عيدانت ؟اي عيد اطلّ فرفرفتْ من فرط فرحتها وزهوها، ارواحُ شعب ابي ؟.. تلك الارواح التي كاد ان يلفها صمت الوهن والونى والسكون . . انت عيد اعاد الشباب والعزة والعزيمة . انت عيد اعاد للجسم الواهن الحياة .. انت عيد نبّه الروح من رقادها بعد ان كاديعتريها الضعف ، ويسلمها السقام الى ريح الخضوع والاستسلام والفناء.. انت عيد رفعتَ الصوت وقلت : هذه الامة لا يمكن ان تذل وتستعبد .. هذه الامة ، امة المجد لا يمكن ان تموت .. لانها تصنع الحياة ..

فيا ايتها المراكز الثلاثمائة [1] .. وانت ايتها الثكنات ومستودعات السلاح .. ألا قصّي كيف باغتك بعد منتصف الليل ، في الصباح الباكر من اول نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٥٤ ، الثوارُ المجاهدون وكيف اذهلتك المفاجأة الشديدة ..

---

(١) « في اول نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٥٤ في الساعة الواحدة من بعد منتصف الليل ، باغت الثوار ثلاثمائة مركز من مراكز الفرنسيين وثكناتهم ومستودعات اسلحتهم ، ولم يدم هذا الهجوم المباغت الا ساعة واحدة استطاع فيها الثوار الاستيلاء على كمية كبيرة من الاسلحة والذخيرة ومواد الطعام وانسحبت قوات الثوار وفقاً للخطة التي وضعها اعظم قواد حرب العصابات الذين عرفوا بالشرق العربي » .

(عدد جريدة الشهاب : ٦٧ عام ٩٥٦)

ألا قصّي كيف صدمك الابطال صدمتهم القوية العظيمة ..
وخلّفوك فاغرة الفم .. معقـولة اللسان من الدهشة .. مشدوهـة
النواظر ، صعقة من قوة الصدمـة ، وهول المفاجأة .. ألا قصي على
العالم اجمع ، كيف كان اعلان الثورة في ذاك الصباح ..

الأغاريد الحبيسة السجينة .. التي لم يكن يُسمع منهـا الا
الأنين الخافت .. انطلقت الآن ، ندية الصوت ، ساحرة النغم ، فاتنة
الترجيع .. تغني لحن الحرية والبطولة والمجد ، بأعذب صوت وأجمل
غنـاء ..

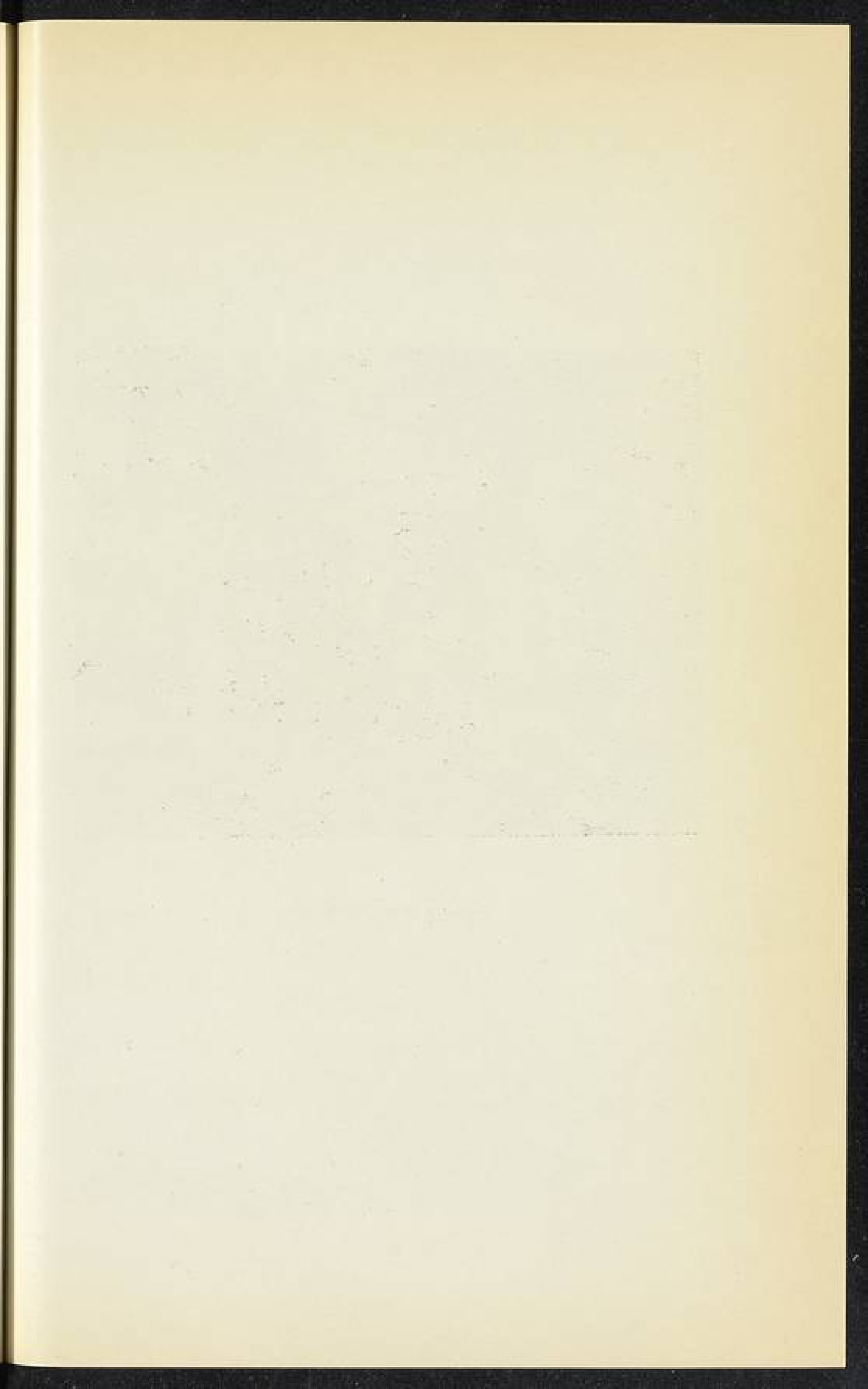
والاجواء التي كانت تطل في ذل وانكسار .. غائمة الصدر ،
قاتمة الأسارير .. سطعت الساعة ، مياسة طروبة .. سعيدة النفس ،
مشرقة المحيا ، وضاحة القسمات ..

ابدا تهبط من ذراكِ الشاهقة ، وشعابك الملتوية الخطرة ، في
انقضـاض الباشق ، وفي حطة الصقر يا جبـال الاوراس ، نسورُكِ
الغاضبة الجناح .. لتنشب مخالبها القاتلة ، في أعناق الفرنسيين اللئام ..

آه كيف يحطم ابناؤك بهذه الاسلحة الخفيفة البسيطة ، هـذه
الاطواد المتقدمة من الحديد ، التي تدك القرى والجبـال .. وتقـذف



بطل يحصد العدو برشاشه



الهلاك والدمار .. بقنابلها المتفجرة الثقيلة .. تصوبها الى كل طرف .. وترمي بها كل اتجاه ..

عجبا كيف تخرس هذه القلاع المتحركة ؟ ويخرس فيها الى الابد ، كيف ترتد الجيوش المدربة القوية بعُددها وعديدها ، بسلاحها وطائراتها .. بمدافعها الثقيلة ودباباتها .. كيف ترتد وتمنى بالخسائر والهزائم ؟.

ولكن .. يا لله .. فليحبس كل محب للجزائر .. مشغول القلب بابنائها الاحرار .. وليمسك قلبه بيديه .. فهنا في منطقة وهران .. تدور رحى معركة رهيبة ، غامضة النتائج . جبال من الفولاذ تتقدم متراصة الصفوف ، تقذف بالهلاك .. وغيوم مجنحة تهدر بالموت وترمي آلاف الاطنان من القنابل المبيدة .. جيش عديد مدرب احسن تدريب ، جيشوه لحلف الأطلنطي ، واذا هو موجه اليك يا جزائر الحرة .. وهناك قرب الساحل ، تلتمع في ظلام الليل ، قطع داكنة ، وجبال عائمة ، مسربلة بالحديد .. يغوص لمرآها قلب الماء ويرجف .. ويتماوج تحت وطأتها البحر هلعاً ورعباً .. وهي تتقدم في سكون .. تمتد منها افواه فاغرة محمومة .. يجيش بصدرها النار .. وتندفع منها معولة

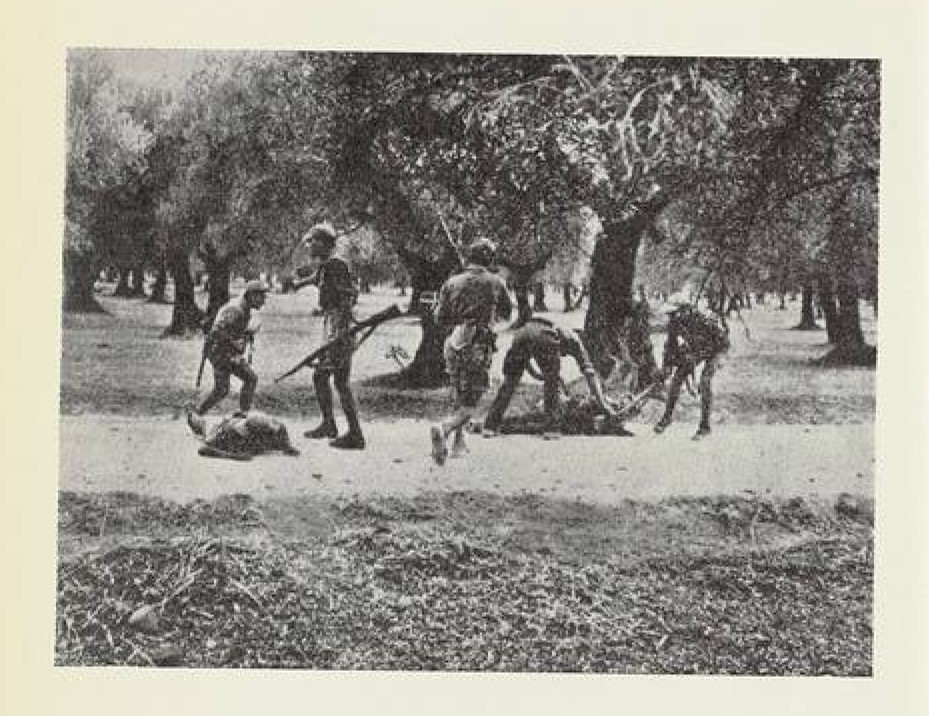
صاخبة ، قنابلُ مدفعية الاسطول البعيدة المدى ،بهدير قاصف ، يكاد ان يدك الجبال والاطواد دكاً ..

كل سلاح مدمر فتّاك ، يمكن ان يخطر على بال بشر .. يدمدم هنا ويهدر .. وينصب مرعداً ، حاملاً الموت والدمار .. والامدادات تتتالى ، والنجدات تسرع ، والجيوش تنتقل بسرعة فائقة .. وعلى فم القواد والضباط الكبار ، تبدو فرحة عظيمة ، تدل عليها هذه الابتسامات العريضة المتعاظمة .. وكيف لا يفرحون هذه الفرحة ، وهم يطوّقون قوة كبيرة ومهمة ، من جيش التحرير الجزائري من سائر الجهات والاطراف ويرمون بثقلهم كله على الجزائريين الشجعان ، وفق خطة مرسومة ودقيقة ، تقضي بدفعهم الى البحر .. حيث الدارعات والمدمرات والسفن البحرية الرابضة ، تنتظرهم لتصليهم ايضاً بنيرانها.. الى البحر .. حيث القضاء التام على هؤلاء البواسل الذين دوّخوا بشجاعتهم وحركاتهم جيوش فرنسا وجنرالاتها وقواتها الهائلة ..

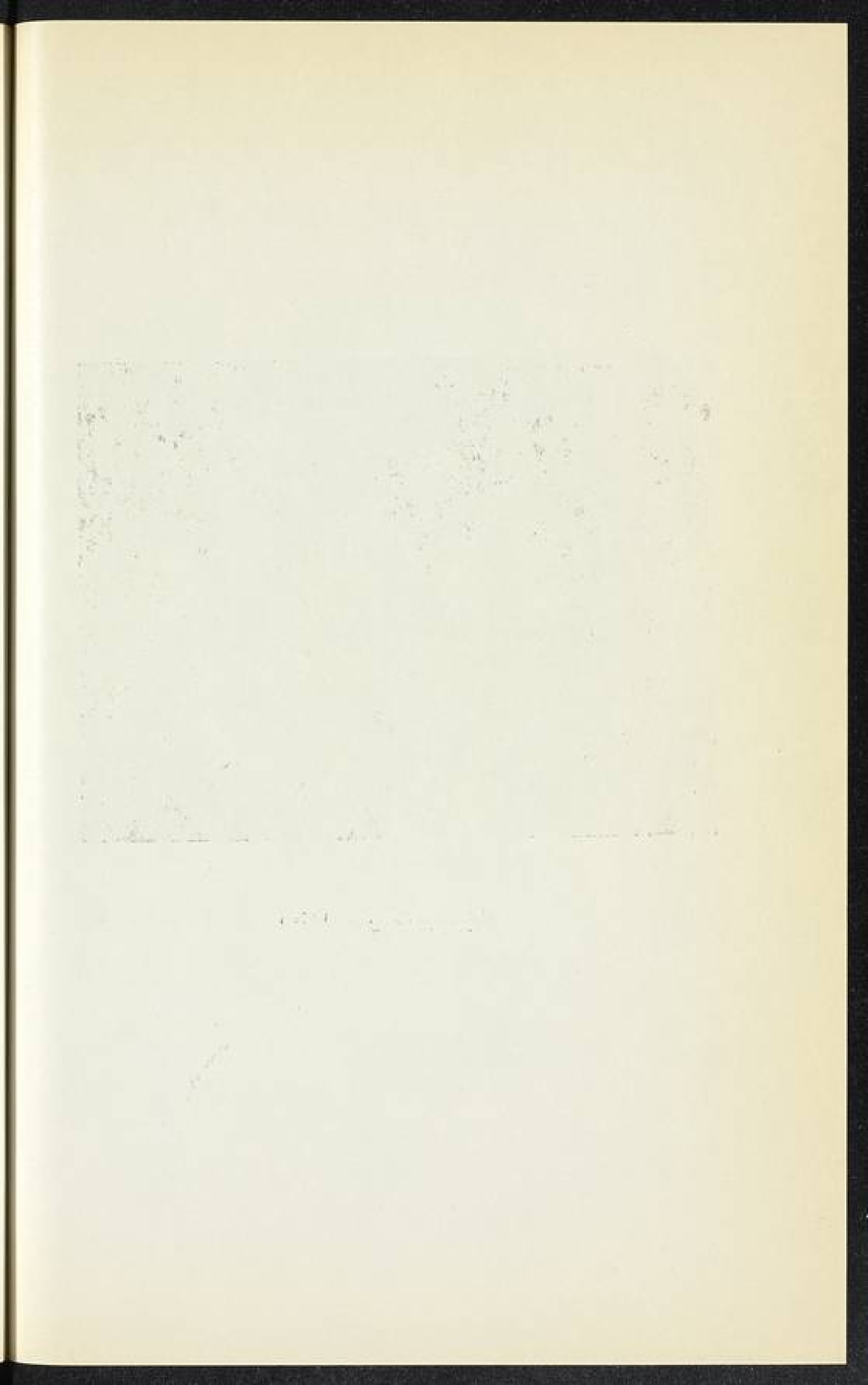
ولكن ما هذا ؟ .. اهذا هو جيش فرنسا العظيم ؟! اهذا هو الجيش الذي تتشدق بقوته وشجاعته ؟ وتفاخر الامم به ؟. وتزعم لنفسها ما يزعم الثعلب [1] العجوز الخرف لنفسه من قدرة وشباب

---

(١) اي بريطانيا .



احتدام معركة وجريحان



وصولة .. وهو يرى هيبته تمرغ في الوحل ؟.

اهذا هو جيش الأطلنطي ؟ احرى بكم يا جماعة الحلف ان ترسلوه في نزهة واستجام، بعيداً عن بطولات الجزائريين .. اذ لا طاقة له على جحيم المعارك هنا في الجزائر .. احرى بكم ان تخفوه عن الانظار، وتقبعوا معه ساكنين في جحوركم .. لقد اصبحتم اضحوكة بين الجيوش ! ..

كان اولى بكم ان تهددوا به، وتلوّحوا بعظمته وقوته ! ما شاء لكم التهديد والتلويح .. كما تحاولون دائماً، في شتّى ظروفكم واعمالكم .. فما الذي اصابكم ؟ او لم تحذقوا اساليب الدعاية والوانها ؟ اما الآن فقد وضح الخفاء .. حيث فارقكم الهدوء والجلد وضبط الاعصاب .. وحيث ظهرتم على حقيقتكم .. وظهرت قوتكم الهائلة التي كنتم تهددون بها وتتوعدون ! . فعضّوا على انامكم من الغيظ .. او من الندم .. اذا شئتم، اومكرهين اذا لم تشاءوا .. فلا خيار لكم في هذا بعد ان تورطتم هذا التورط البعيد ..

اذن هذه هي قوات حلف الأطلنطي، قوات حلف الاعتداء على حرية الشعوب .. وقوات حلف الاستعمار واستعباد الامم الضعيفة .. تبدو على حقيقتها بارزة للعيان ..

لما ذا كلما ذكرت هذا الحلف الكسيح .. وذكرت خروجه عن غاياته واهدافه .. تسارعت الى شفتي ابتسامة تتراقص بحافل من المعاني المتزاحمة الكثيرة .. وأيسرها تلك التي تنطق بالاشفاق ! وبدت امامي صور الاكاذيب والأضاليل .. وراودتني ضحكة من الاعماق؟.

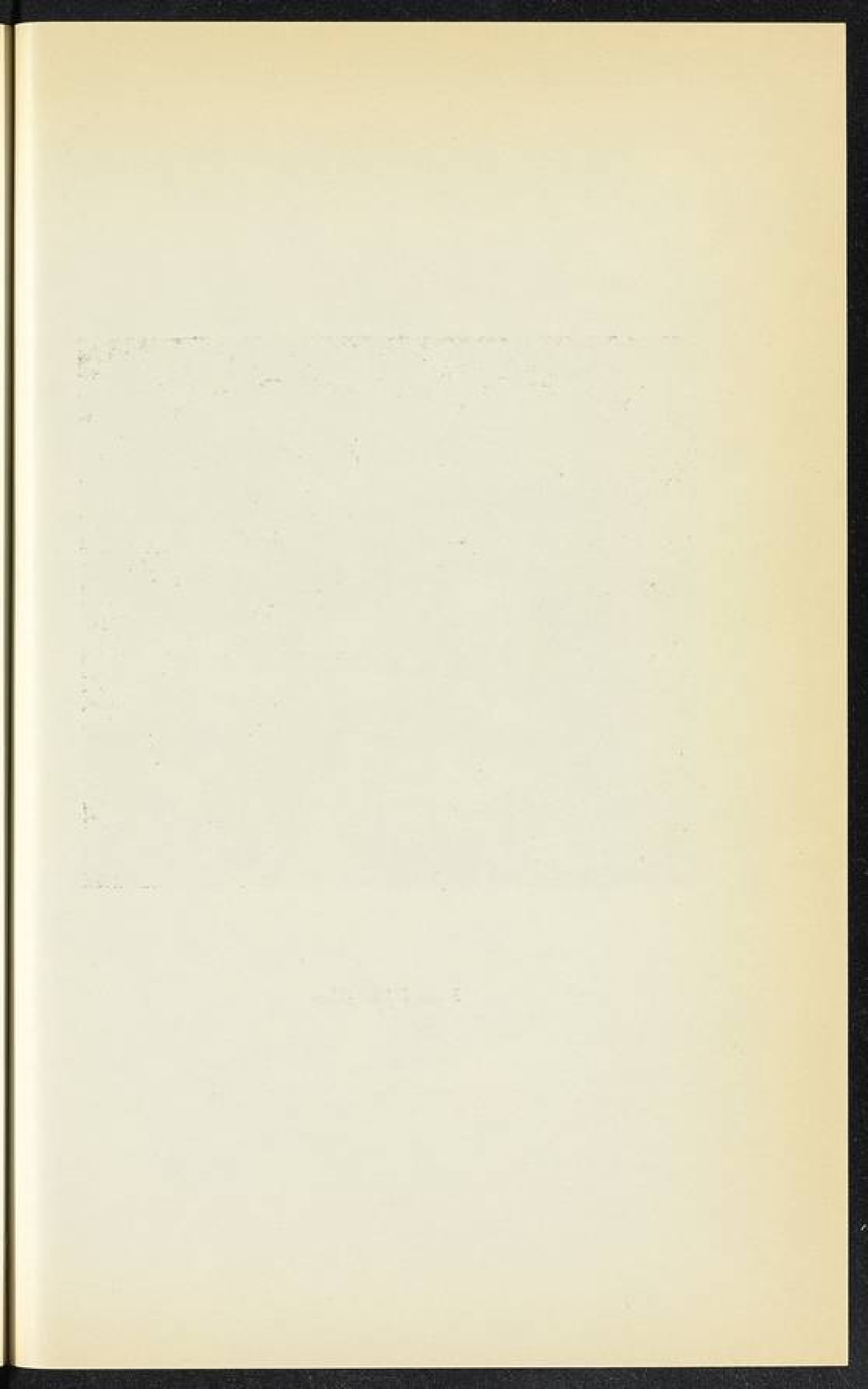
لما ذا كلماذ كرت هذا الحلف المريض.. حلف الاعتداء والغدر، شعرت بالثقة والاطمئنان .. اجل .. الثقة بالنصر .. والاطمئنان الى النتيجة الواضحة وضوح الشمس .. الى الحرية والاستقلال .. وطرد الفرنسيين شر طردة. الى .. الى البحر ..

ولكن مهلا.. ماذا اصابكم؟لمهذا الذعر ؟ لم هذا القرار ويحكم يا جنود الاطلنطي ! ويحكم ايها الجنرالات العظام ! ماذا حل بكم ؟ اين اختفت فرحتكم وابتساماتكم ؟ لم كل هذا الامتقاع والخوف ؟ احرى بكم ان تثبتوا ولو قليلاً .. كي لا تمرغ هيبتكم العسكرية في التراب ! . . فليس هؤلاء المهاجمون سوى قوة صغيرة من قوات الجيش الجزائري .. فلم كل هذا الخوف ؟ أو لم تحكموا الخطة من حولهم غاية الاحكام ؟ وتسدوا عليهم كل سبيل ، وتصدروا عليهم قرار الافناء ؟ ! .

ولكن من يسمع ؟ من يستطيع الرد ؟ من يقوى على الوقوف



حطام طائرة عدوة



والصمود ؟ كل امرئ مشغـول بنفسه عن اخيـه . . ذاهل . . زائغ البصر .. طائر اللب .. يتساءل في لهفة ألا اين سبيل الفرار ؟ ومن اين؟

لا تسرعوا في الهرب هكذا .. ويحكم .. لا تسرعوا وتتركوا هـذا العتاد الضخم من اسلحة حلف الاطلنطي ، يقع غنيمة في ايدي الثوار الجزائريين ..

ومن اين لهم ان يجيبوا .. او ان ينبسوا ببنت شفة .. لقد نزلت بهم نازلة قاصمة بما عملت ايديهم .. لو كانوا يعقلون ..

لقد انقلب انتصارهم الى هزيمة [1] .. اذ ضربت نجدات الثوار، بحركة حربية بارعة ، نطاقاً حول قواتهم التي تطوّق بدورها قـوات

---

(١) قام الفرنسيون بهجومين كبيرين اولهما في « وادي الساحل» والثاني في « جبال زوادة » ولو ان هاتين العمليتين كانتا ضد جيش يحارب وفقاً للتكتيك الحربي المعروف، لكان فيها قضاء على المجاهدين الاحرار ولكن الثوار وقادتهم ذوي الخبرة والمراس بحرب العصابات ردوا هذين الهجومين بفرقها الطائلة من حلف الاطلنطي وارغموهم على التقهقر . . واستطاعوا اخيراً ان يحدقوا بهم من كل جانب حتى اضطر الجيش الفرنسي الى الفرار كالفيران المذعورة ، واستولى الثوار على اراض واسعة وكميات هائلة من الاسلحة والذخيرة والعتاد الحربي والطعام .. وقد تكررت هذه العملية خمس مرات في منطقة اوراس وجبال النمامشة .. »

(العدد ٦٧ : من مجلة الشهاب الدمشقية)

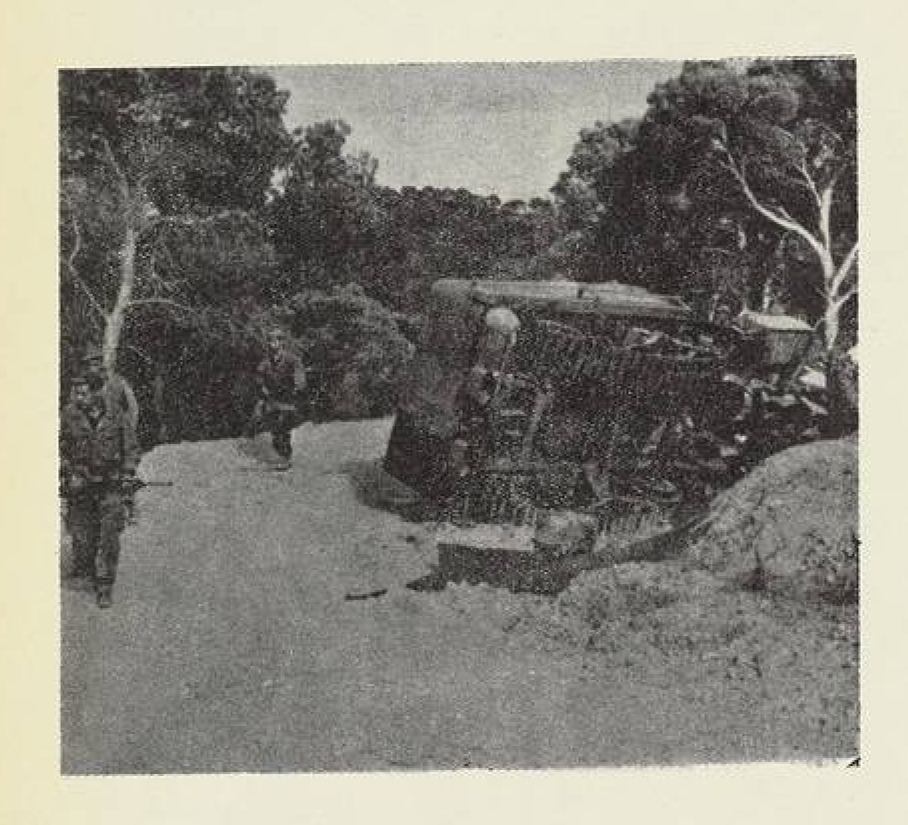
الثوار المحصورة .. فاذا هم بين نارين .. نار من الثوار المطوّقين القادمين.. ونار من الثوار المطوّقين المحصورين ..

وأفضل شيء في مثل هذه الاحوال .. ياجيش فرنسا العظيم!.. وياجيش الاطلنطي ! ياجيش الحرية والخلاص ! . افضل شيء واحسن شيء .. الركون الى الفرار ! ..

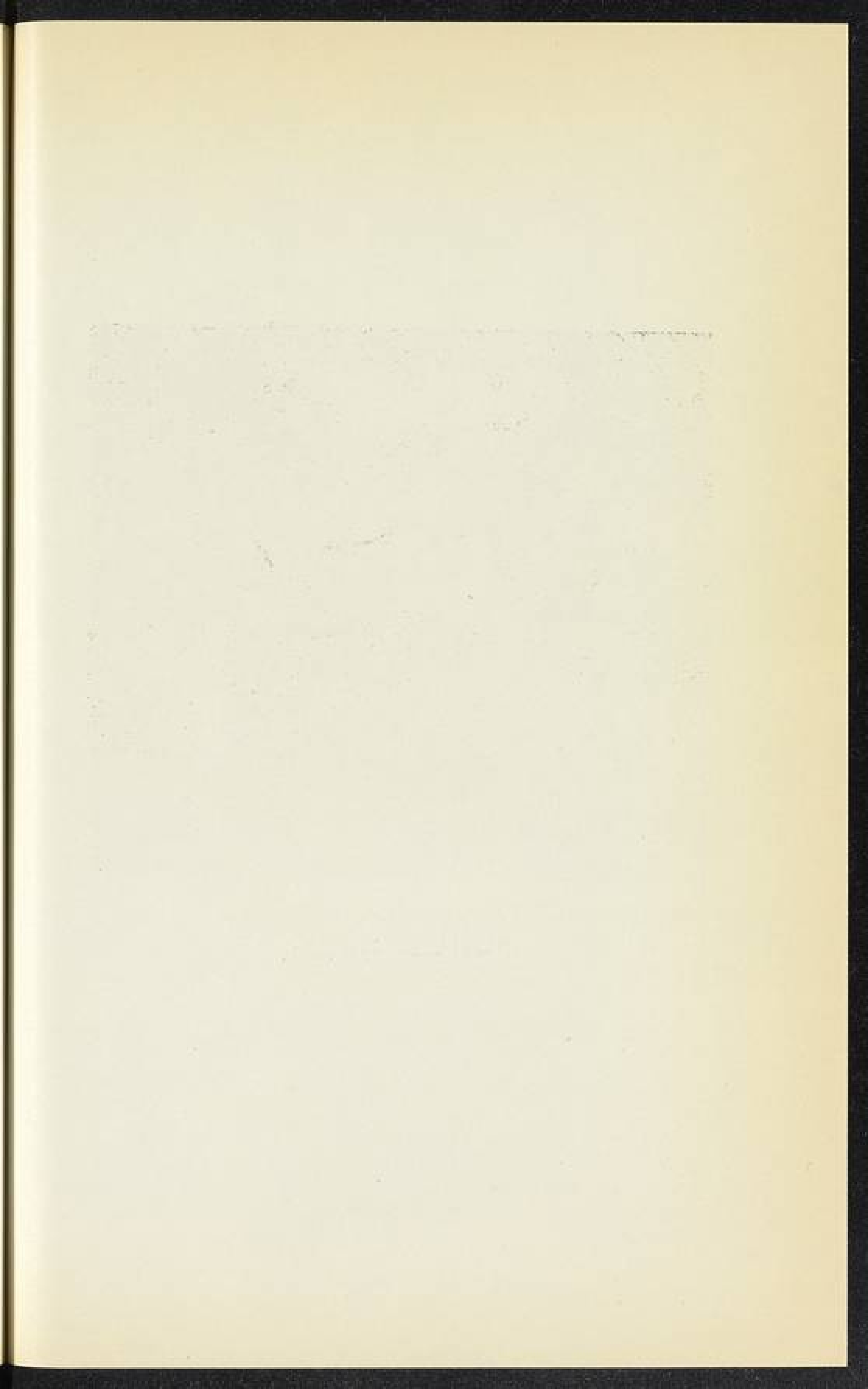
لقد رأتكم ساحة المعركة .. هذه الساحة التي شهدت قبيل المعركة صلفكم وغروركم وتجبركم .. وطالما شهدت ذلك من قبل .. رأتكم الآن أذلة مندحرين .. تجرون اذيال الخيبة وتتجرعون مرارة الهزيمة .. مترا كضين لا تلوون على شيء ..

فابعثي يا فرنسا بجنودك .. وبجنود حلف الاطلنطي وعتاده .. فان هذه الارض الغريقة بدماء ابنائك ، لا تزال عطشى الى المزيد من هذه الدماء ..

اما هذه الساحة التي تشيعكم بالمقت والحقد والكراهية ، فهي الساحة التي ترنو متلهفة الى استقبال ابنائها الابطال . . وهي تمسح بيد الفخر على جباهم المرتفعة الى العلاء .. لتضع فوق هاماتهم الابية ، اكاليل العزة والمجد ..



دبابة عدوة حطمها الابطال



(٢٨)

تحية قادة الثورة وابطالها

وانت يا من بهرتك اضواء البطولات .. واستحوذ على فؤادك جهاد الاحرار .. فصغت من وقد عاطفتك ، وحريق انفاسك .. هذا النشيد .. حيّ وانت فخور ومعتز .. قادة الثورة وابطالها الاحرار ..

حي هذا النفر العامر الصدر بالايمان .. الواهب نفسه وروحه ودمه ، في سبيل تحرير امته ، وتخليصها من براثن الظلم والهمجية والاستعباد ..

حي هذا النفر المشتعل الجوانح بلهيب الكفاح . . المليء الصدر بنشيد الحرية .. المؤمن الفريد المثال بايمانه وعزته ، وبحقه وكرامته ..

حي هذا النفر الذي يقود بقوة مراسه وشدة عزيمته ، وعبقريته الحربية الرائعة .. هؤلاء البواسل ، هؤلاء الذين يقذفون بانفسهم غير هيابين ولا وجلين ، على جحافل فرنسا المثقلة بالحديد ، المحصنة بالنار .. هؤلاء الاشاوس الذين عاهدوا الله على الاستشهاد . . على الموت اعزة

كرماء .. لينتزعوا بالقوة لامتهم المكبلة المضطهدة ، حريتها واستقلالها
من ايدي الغاصبين الطغاة ..

ألا حي يامن ينبض قلبك بحب المشردين والمعذبين .. والشيوخ
والثكالى والاطفال والابرياء من اخوانك الجزائريين .. الا حي هؤلاء
القادة ، وان كنت لا تستطيع ان تمسك نفسك عن ان تغني فرحاً وغبطة ،
ولا تستطيع ان تحجب آمالك عن ان ترقص طرباً وحبوراً ..

ويحك تماسك .. لا تذرف العبرات في حضرة الاجلاء .. تمالك
واضبط عواطفك خشية ان تحرك فيهم كوامن الآلام .. فان لم تستطع
فقل معتذراً : ياويحي ان عيني صبأتا لاول مرة عن امري .. وهما في
فرحتهما هذه ، تغسلان بعض حواشي الالم .. هـذا الالم الدائم مادام
هناك جندي واحد من الاعداء في ارضكم الحبيبة ، وفي اية بقعة وارض
من بقاع امتي العظيمة ..

حي الابطال ، ولو في سيل طام من دمع الفرح والسرور .. فما
دام يتألق على محياك ، وفي عينيك ، هذا الابتسامُ المشرق من الاعماق
بصفاء وصدق ، فانت فائز بتحيتك عند هؤلاء الاماجد الكرام ..

وأنت ايها القلب .. اطرب .. وارقص .. ولعلك لست بحاجة

الى الاذن بذلك .. فها اني اراك قد مضيت في طربك ورقصك وغنائك .. منذ ان بدت لك طلعات الاحبة ، رائعة في قسماتها الساطعة الجلال .. فمن تود ان تحيي من الابطال الماجدين .. وكلهم علم وفرقد منير ؟ .

من ابدأ بالتحية ؛ ومع ذلك فان هذا الذي يبدو ساكناً هادئاً .. هذا الذي وضع الاسس وكون مع رفاقه النواة الاولى لهذه الحركة بسرية تامة .. حتى اذا ما اذن الله لها ان تظهر ، فتفجرت ثورة مباركة عارمة ، هو من ابدأ ..

فاذا ما اتجهت اليك يابن بلا بالتحية الصادقة، والاحترام العميق .. يا ايها الابي العزيز النفس .. يامن يتحرق منك الفؤاد وانت ترى ابناء وطنك يسامون سوء العذاب .. وتضرب عليهم العبودية والذل ، على الرغم مماقدموا لنصرة فرنسافي الحرب العالمية الثانية من شباب ودماء، املاً في ان تحفظ لهم فرنسا هذه اليد ! وتسعى لرد الجميل ! يامن هاج في صدرك سعير الانتقام .. يامن التهبت ضلوعك بالحقد والكراهية .. وثارت في شرايينك الدماء ، وانت ترى فرحة شعبك .. فرحة اهلك واحبائك .. فرحتهم بانتهاء الحرب .. واملهم الباسم بالحرية .. ورجاءهم الذي عاقوه على الوعود والعهود .. وعلى وثيقة الاطلنطي ! وثيقةحرية

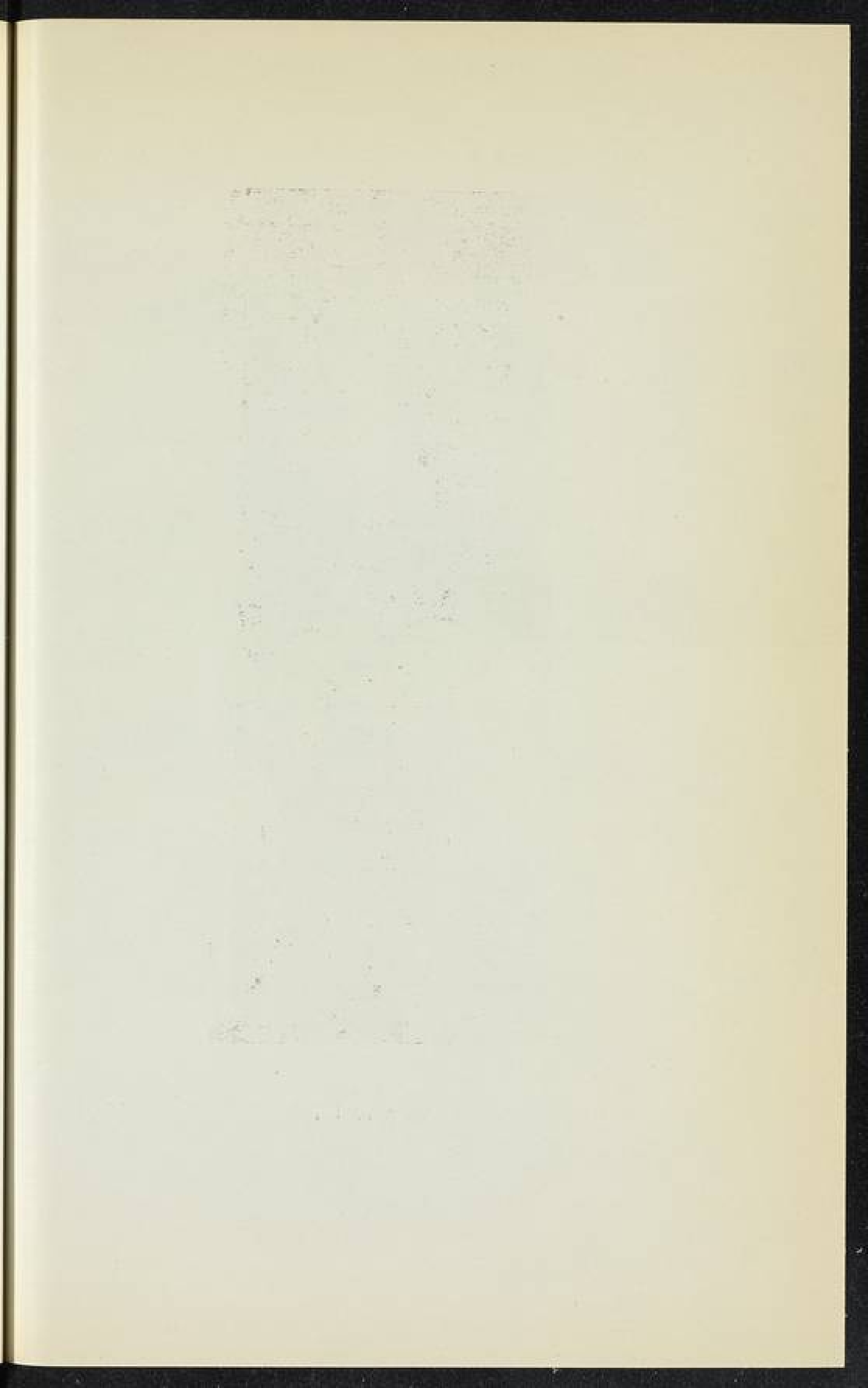
الشعوب ! وثيقة روزفلت ! تلك الوثيقة التي شاءوا لها ان تغرق في المحيط الى الابد .. لتغرق معها الاماني والآمال .. ولكن خاب فألهم لقد سمَّر ذلك في قلوب المغرمين بالحرية ، النار الكامنة والعزيمة المتقدة .. نار الثورة وعزيمة الكفاح ..

نعم لقد رأيت بعينيك تلك الفرحة .. وشاهدت ولمست .. بل كان هذا الشعور الذي يجيش في قلوب الملايين من ابناء وطنك ،يجيش مثله في نفسك ويتقد في عاطفتك ومشاعرك . . اجل لقد رأيت كل هذه الاماني والآمال بقرب الخلاص والاستقلال ، تتحطم مرة واحدة .. عندماقابلها الفرنسيون الذئاب بالمجزرة الرهيبة الهائلة .. مجزرة عام ١٩٤٥ ، تلك التي قضت فيها قواتهم التي خرّت من قبل تحت اقدام هتلر .. ذليلة مهانة ، تعمر رأسها بالرغام ، وتقبع في انكسار واستسلام.. رأيت هؤلاء الاذلة الجبناء . . يتنمرون على الشعب البريء الاعزل ، الذي احسن الظن بهم واحسن الاعتقاد ، فيقضون بوحشية ما بعدها وحشية على خمسة واربعين الفاً من ابنائه الاحرار ، ليسكتوا صوت الحرية المتعالي ..ومادروا ان هذا الصوت نابع من اعماق هذا الشعب.. يتمشى في ضلوعه واحنائه وكيانه ..

يابن بللا .. يامن أشعلتْ النقمةفي نفسك شعلة الكفاح،وألهبتْ



احمد بن بللا



في صدرك نار الثورة ، واسمعك الايمان العميق في نفسك ، اناشيد الجهاد.. فبدأت في تكوين حركة الثورة وتأسيس اللجنة السرية مع اخوانك الاعزة .. بصبر وثبات .. حتى اذن الله لهذه الحركة ان تعلن عن نفسها ، بالقوة والعزم والثبات .. فاذا بها ليست حركة ثورية فقط ، ولكنها جيش لتحرير الوطن .. جيش منظم احسن تنظيم وادقه .. لك يابن بللا ولاخوانك، تحيات الملايين من ابناء امتك في مشارق الارض ومغاربها..

وانت يا « ابو العبد »[1] يامن ألقيت بمباهج الدنيا ولذائذها وجاهها خلف ظهرك .. واقبلت بعد ان سحبت جميع ما تملك من مال - ولم يكن قليلاً ، ولم تكن انت غمراً في الاغنياء ولا في الافاضل والوجهاء - اقبلت بكل ماتملك ، تقدمه هدية في سبيل الله ، كي يعز

---

(١) « .. ابو العبد كان كزميله ورفيقه في الكفاح ابن بللا ضابطاً في الجيش الفرنسي اثناء الحرب العالمية الثانية ، وهو من اغنى ابناء الجزائر . اذ كان يملك شركة اوتوبيسات كبيرة الى جانب محلات تجارية تحتكر السوق في مدينة باتنا .. وفي سنة ٩٥٢ قبل قيام الثورة باع كل املاكه من اجل الثورة . ولما كانت له شهرة مالية واسعة فقد لعب هو وبعض الرأسماليين الذين انضموا الى الثورة لعبة افادت الثورة كثيراً .. سحبوا كل اموالهم من البنوك اليهودية ثم استدانوا مبالغ كبيرة ايضاً واستوردوا كميات ضخمة من السلع والاغذية . كل ذلك على اساس انهم من كبار التجار بالرغم من انهم سحبوا كل اموالهم ثم سلموا كل ذلك للثورة وانقطعوا عن التجارة » .

(الشهاب عدد ٦٧)

الله امتك .. ويكتب النصر لبلدك .. فأعدت بفعلك ما كاد ينساه ابناء الامة التي تنتسب اليها .. لقد ذكرتها بعملك النبيل هذا ، بسيرة الاوائل الكرام .. بسيرة الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين ..

صورة حية للنفس المؤمنة .. هذه النفوس التي تأتي بالاعاجيب .. انها نشأت عالقة الابصار بالسماء .. إنها نشّئت على تربية رفيعة سامية من الايمان العميق ..

وانتم يا « كريم بلقاسم »[1] « وعمران » ويا « مبروك[2] « وبومدين » ياقادة الثورة ويا رجالها الاشداء وكواكبها المضيئة الساطعة .. يا ايها الاحرار .. يا عماد جيش التحرير ، ويا دعائمه القوية .. لكم التحية هاتفة بحياتكم .. سامية سمو نفوسكم واهدافكم .. هازجة شادية .. سعيدة في رحابكم ناعمة هانئة ..

(١) « .. على رأس زعماء الثورة الذين يعتبرون نبض الثورة وقلبها : (احمد بن بللا وابو العبد وكريم بلقاسم وعمران) اصلب رجال عرفتهم الامة العربية في تاريخ نضالها وفي ايام مجدها على السواء . تولى ابو العبد قيادة الجبهة الداخلية حينما خرج ابن بللا من الجزائر عام ٩٥٣ وكان عليه ان يقود منطقة جبال اوراس جنوب شرقي الجزائر اما على عمران وكريم بلقاسم فكان عليهما قيادة القبائل الشمالية » .

(الشهاب عدد رقم ٦٧)

(٢) « .. مبروك المسؤول عن منطقة وهران . و (بومدين) قائد عام الجيش بوهران ».

(عدد المصور ١٦٦٨ عام ١٩٥٦)

ولكن من اين تأتي هذه النسمات الحسان ؟ من اين تأتي هـذه النسمات المحملة بشذى المسك فائحة برائحة الند والعنبر ؟ .

من اين تأتي هذه النسمات التي تخطر في اتئاد وتتنقل في جلال؟ تدفع بين يديها مواكب الامل .. وتحمل في بسماتها الخاطفـة ، صورة يفتن الملايين اشراقها ، ويأسر نبضـات القلوب ، حسنها ورواؤها ؟ . انها صورة .. اروع حلةً وابهى ضياءً من حال الجـلال ومن ضيائه .. واوقع في النفس من صمت الوقار ، وافتن من وشيـه وسنائه .. انها صورة تطأطئ امام عظمتها ، هامات الرجال احتراماً واكباراً وحباً..

افعلمت صورة من هذه ، يا ايها المفتـون بحسنها وجمالها ؟ نعم وكيف لا تعلم ، وانك تحلها من قلبك في ارفع مقام واكرم منزل .. انها صورتك المهيبة العزيزة .. صورتك المشرقة الطلعة ، المشعة بالنور .. انها صورتك يا ايها المجاهد البطل يا ابن الريف الابي العظيم..

الا يا نسائم رفقاً بقلوب طال عليها أمد الانتظار .. واشتد عليها ارتقاب عودة الحبيب . . لا تمضي قبل ان تبّلي لوعـة هذه النفوس ، وتبردي لهيب شوقها العارم ، بما تحملين عنـه من ذكريات البطـولة والجهاد .. واذا ماعدت اليه فاحملي تحيات الابطال المكافحين ..اعيدي

على سمعه قصص البطولة والتضحيات الغريبة كالخيال .. كي يطمئن باله، وتهدأ نفسه .. هنا يقوم ابناؤه المجاهدون بما يسعد قلبه ويثلج فؤاده.. انهم امتشقوا الحسام ولن يعيدوه الى قرابه ، الا بعد ان ينالوا الحرية بالقوة .. وعندها تشرق الدنيا بالفرحة .. ويعم البِشر الكون بالعيد .. عيد الحرية والاستقلال والخلاص .. عيد تحرير الوطن ، وقد طهره ابناء الجزائر الحبيبة ، من القراصنة واللصوص والمجرمين ! ليعود خالصاً نقياً الى اهله .. سالماً عزيزاً ..

ولكن ما للشطآن الممتدة ، شطآنك يابلاد الريف الحبيبة تبدو هاتفة راقصة ، جياشة الصدر تميل على البحر العظيم ، تشكو له ما بها من بث ولوعة .. وتبوح له بسرها وشجوها، فيجيش بصدره الهوى.. ويستعر بضلوعه الحنين .. وهو يسمع حديث الشطآن .. حديثها عنك يا ايها الشيخ الوقور ، ولطالما سمع من قبل ووعى ..

— ألا فلتُسمعكَ الرياح هنا .. نجوى ضلوع الاحبة.. هكذ قال البحر ، وهو يسمع عنك ويلمح سنا نورك الوضاء .. يشعُ بهاءً وجلالاً من وراء الآفاق البعيدة .. يا أيها الأب الحاني الرءوم ..

— ولتؤنسكَ الطيورُ في غنائها العذب ، كلما غرد منها صائح ،

وردد مرجع حنون ، عند اشراق الصباح ، وفي ساعات الاصيل .

وانت ايتها الأنسام اللطاف ، انطلقي اليه فحييه ، لقد عاد حراً .. هكذا قال البحر مخاطباً الانسام .. اذهبي اليه بالله .. فأسمعيه من حديثك ما يذهب عن نفسه الضيق ، أحيطيه بالبهجة .. وصبحيه بالهناء .. واجلسي في حضرته ، وانعمي بقربه .. هناك قلوب الملايين التي تتمنى قربه .. ولفتته الكريمة .. وحديثه المتدفق من ايمانه العميق .. ومن عظيم خشوعه لله ..

هناك شعوب وشعوب .. تتلفت في لهفة اليه ، مكبرة جهاده مشوقة الى طلعته وبهاه .. مأخوذة بقوة شكيمته وعزيمته .. ومعجبة فخورة باستقامته على الحق ، وثباته على المبدأ ، ودفاعه عن حرية بلاده واوطانه ..

---

(٢٩)

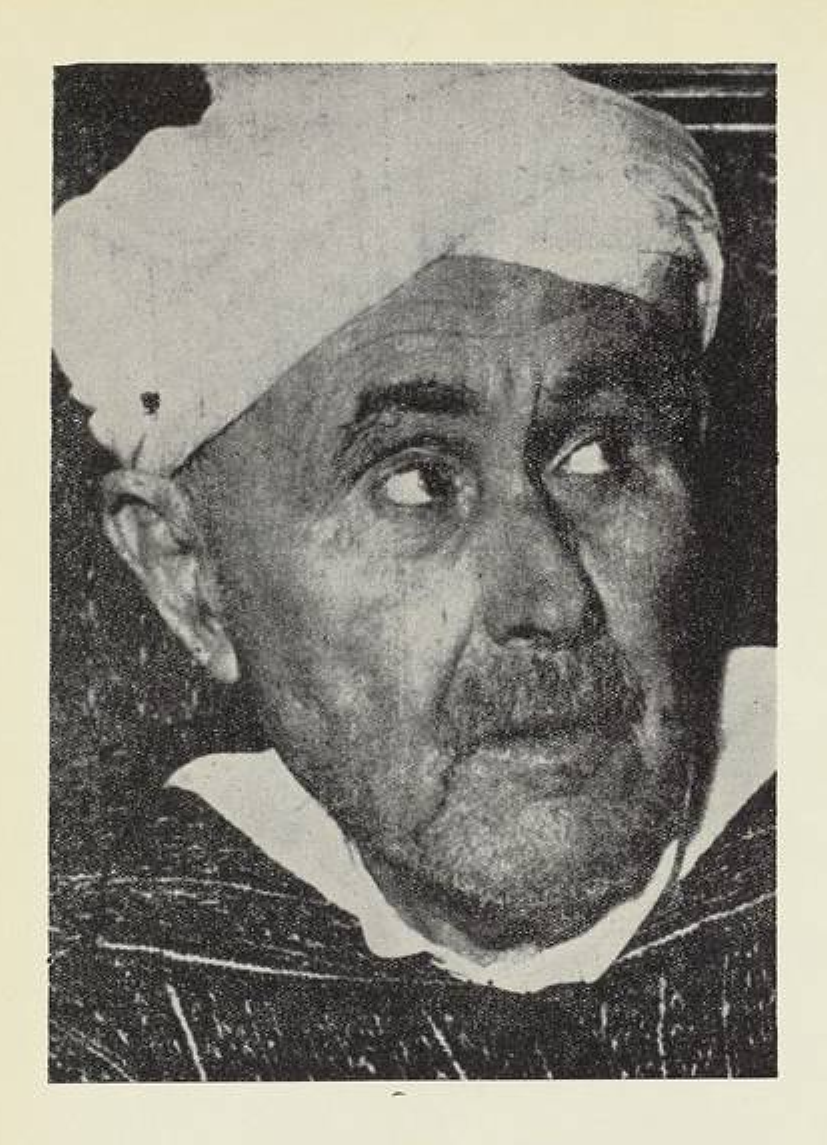
بطل الريف

واما انت .. يامن كنت شغل الدنيا الشاغل لفترة طويـلة من الزمن .. ولا تزال نبراساً يشع بالنور . . يامن يخشاك الاعداء على اختلافهم حتى اليوم.. حتى هذا اليوم الذي تجلس فيه بعيداً عن وطنك، تراقب الامور وترسل النذير ، في كل مناسبة ، وعند كل حادثة ..

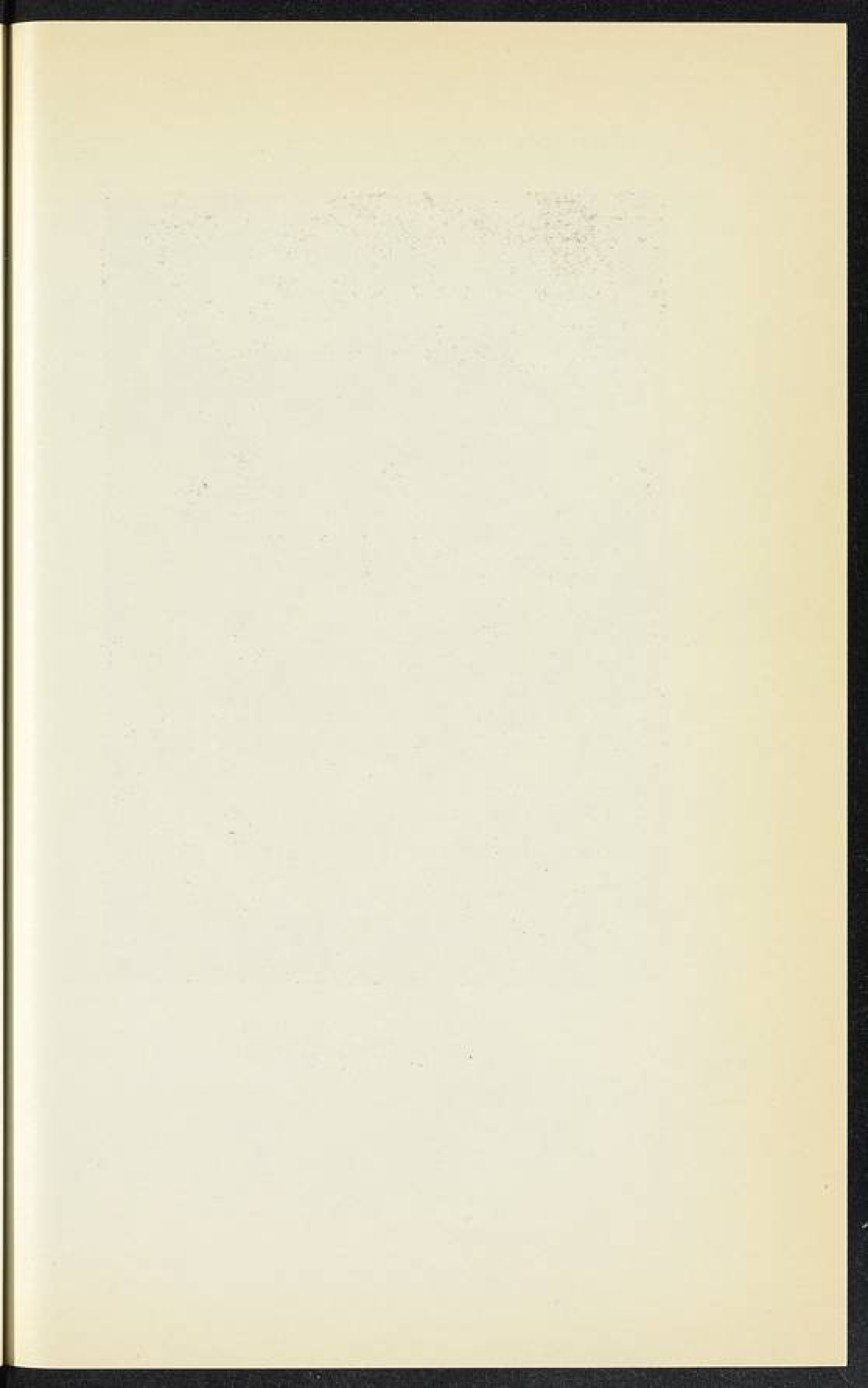
لا يزال اعداؤك ومن يشايعهم يرقبونك .. ويرقبون تحركاتك باهتمام بالغ وحـذر شديد .. مع ماأنت عليه من شيخوخـة مباركة .. ومن علو في السن . . يا بطل الريف . . يا عبد الكريم الخطابي (١) يانشيد الامجاد .. امد الله بعمرك ..ومتّعك بالصحة والقوة والعافية.. وجزاك اعظم الجزاء على ماقدمتَ لأمتك ووطنك من خير..واثابك

---

(١) هو الامير عبد الكريم الخطابي المعروف ، ارجع اليه في كتـاب « بطل الريف » تعريب عمر ابوالنصر على الرغم من ان كاتبه ومؤلفه فرنسي لا يستطيع اخفاء حقده كما ان القارئ يلمس نفسيته الاستعمارية بوضـــوح من خلال تعليقاته المختلفة وتضميناته التي لاتخفى على فطنة العارف المدقق .



الامير عبد الكريم الخطابي



في الدنيا والآخرة على صدق جهادك .. وحسن بلائك في سبيله ، ثواب الصدّيقين الصالحين ..

يا من نشأتَ في حضن التقوى والايمان .. وترعرعت في كنف الصلاح والعلم والاباء .. يا من نهضت بالعبء الثقيل فكنت مثال الناهضين العاملين .. ونهدت بعزيمة تتقاصر دونها العزائم ، الى مقارعة الغاصب المحتل ، تنشد الحياة الحرة الكريمة لشعبك ، وترسي لعزته القواعد والاركان ..

يامن رفعت الصوت قوياً داوياً ، فأرهبت كل سمع ، وارجفت كل فؤاد .. يامن أقمت في الناس حكم الله وسنة نبيه ، فأقمت دولة جديدة للاسلام ، باهرة السنا ، غامرة الضياء ، قائمة على العدل والحق والرشاد .. فاذا دولة الخلفاء الراشدين .. تحيا مرة اخرى ، لا تجافي الطبع ، ولا تقعد بالامل ، ولا تتأخر عن ركب الحياة والحضارة والمدنية .. ذلك لانها فكرة وقوة وعمل .. لانها سلم للحياة الفاضلة ، وباب للحضارة الصحيحة ، واساس صحيح لمدنية صحيحة خيرة ، ولتقدم زاهر بالخير ، عامر بالبركة واليمن والسلام ..

نعم .. اذا دولة الخلفاء الراشدين .. تقوم هنا مرة ثانية .. على ارض الريف العزيز ..

الاعداء الذئاب لم ينسوكَ، ولم يغفلوا عنكَ لحظةً واحدة .. اما نحن فأنت في ضميرنا صلاة دائمة وذكرى .. فهل ينساك في اقطار الارض المختلفة منا احد؟ هل ينساك ابناء الامة التي صنعتَ من أجلها كل هذه الأمجاد؟ يامن دوّختَ بمفردك، وبالبقعة الصغيرة المسماة ببلاد الريف .. ومع ابناء الريف الأشاوس القليلي العدد، الكثيرين بالايمان المشتعل، دولة اسبانيا[1] بجيوشها وأساطيلها وطائراتها وكل عتادها وقوتها .. فكسرتها شر كسرة .. ونازلتها مراراً بحرب شريفة عادلة، فأبتَ بالغنائم والنصر .. وآبت بالهزيمة تلو الهزيمة .. حتى قبعتْ في نقط صغيرة ضعيفة على الساحل .. تلعق جراحها العميقة .. وتمسح تراب الذل الذي مرّغتَ به وجهها وجبينها .. حتى لقد كادت ان تنسحب الى غير رجعة .. لولا نهوض فرنسا آنذاك بجيوشها الى مساعدتها .. ولولا تآزر الدولتين العتيدتين! ولولا مكر بريطانيا العظمى! وغدرها بك! ..

فحياك الله يا ايها البطل الفريد في التاريخ المعاصر .. لقد نازلت دولتين، وقاومت جيشين كبيرين .. وألحقت بهما هزائم وخسائر

---

(١) ارجع الى تفاصيل ذلك في كتاب «بطل الريف» لعمر ابي النصر الآنف الذكر. واسبانيا الوارد ذكرها هنا وفي الفقرات التالية هي اسبانيا الاستعمارية غير اسبانيا اليوم الدولة الصديقة.

لاتزال فخراً لك وللابطال من حولك ..

آه .. لادري لماذا اعيش حياة غير التي احياها بين اهلي وعشيرتي كلما قرأت تاريخ جهادك وكفاحك .. ولماذا اشعر بالعزة تملاء صدري وجوانحي وكأنني اخط بيمني آيات البطولة والفخار ، كلما طالعتني ذكراك .. .. وذكرى بطولاتك ، ياايها المثل العظيم الفذ ، ويا ايتها الحقيقة الناصعة الخالدة القوية ..

ألا بارك الله بك .. وبارك لك همتك العظيمة .. هذه الهمة العالية الرفيعة التي لم تخلد الى دعة او راحة ابداً .. هذه الهمة التي تعمل ليل نهار للمغرب واهله .. تألم للمصاب اذا نزل به .. وتفرح للفرحة اذا هتفت في انحائه .. كما تألم وتفرح لكل ما يؤلم ويفرح ديار العروبة والاسلام ، في شتى بقاع الارض وارجائها ..

ويصول الاسود في الجزائر فتذكي بمواقفك واعمالك في مكتب المغرب العربي .. وبتوجيهاتك السديدة شعلة الحماس في صدورهم ، وتشجعهم على الكفاح وتحثهم على الصمود ، حتى يتحقق النصر ، وتسعد الجزائر الحبيبة بالحرية ..

الجزائر الأبية ماضية فيما عقدتْ عليه العزم ، متحدة الغاية ،

موحدة الهدف .. وسبيلها : جهاد وجهاد وجهاد .. حتى تفوز بالاستقلال وتتبوأ مكانتها من العزة والسيادة ، والحياة الحرة الكريمة ..

(٣٠)

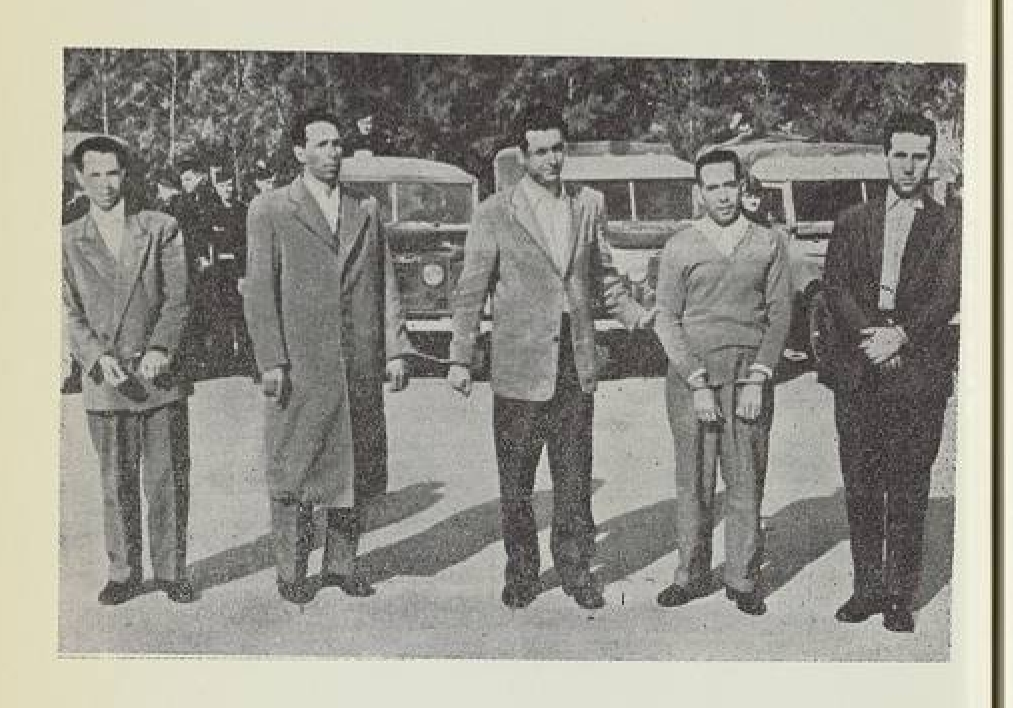
القرصنة المجرمة واختطاف الابطال

ولكن .. يا لله .. ماهذه الانباء التي تواترت الليلة [١] .. واي لصوصية دولية واجرام عريق .. هذه التي حملتها الينا الاذاعات المختلفة ؟.

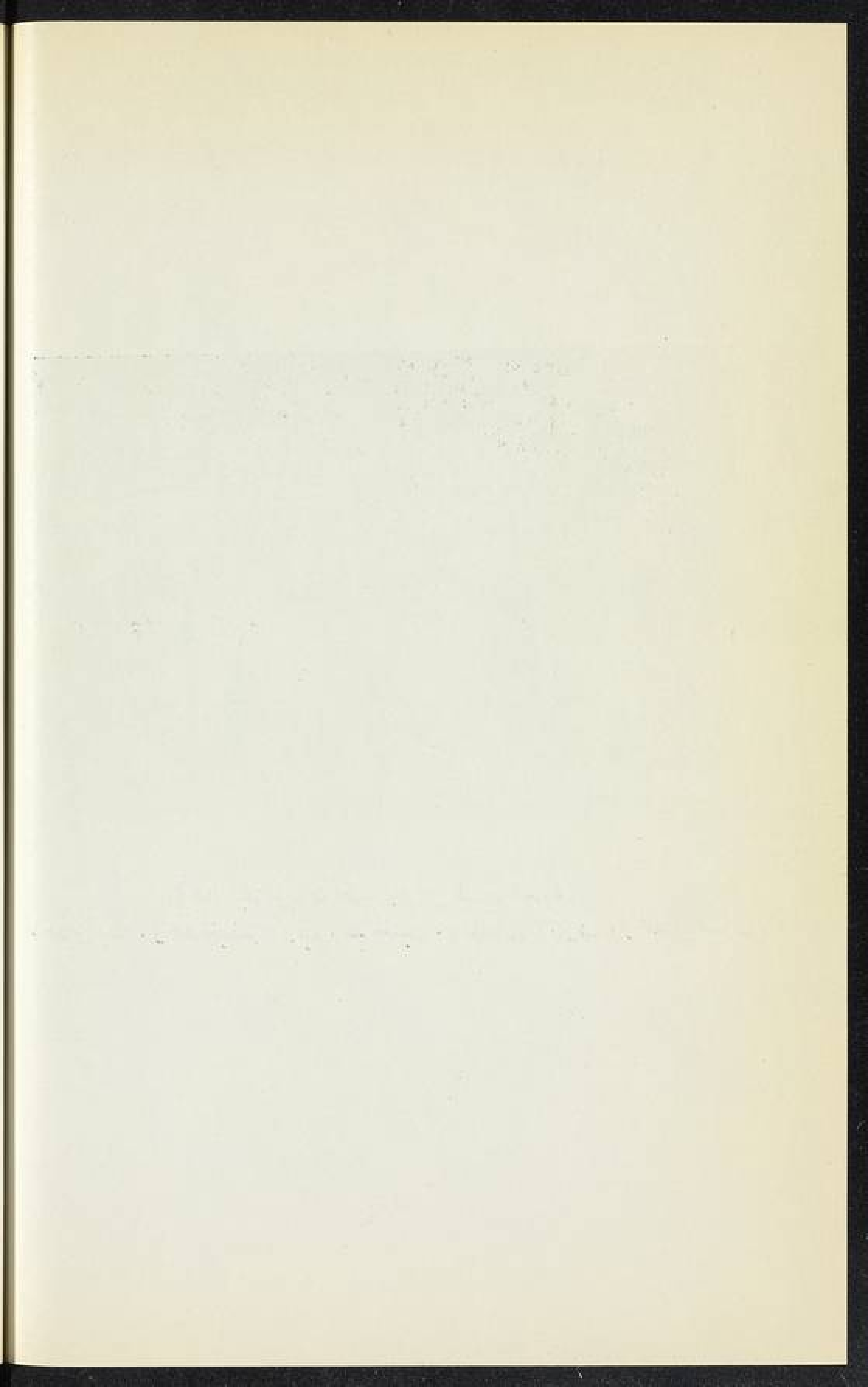
ألى هذا الحد يقود الحمق والطيش يا فرنسا المجرمة ؟ إلى هذه النذالة يمكن ان يتدنى بشر ؟ ياويحك قد خططت بيدك الصفحة

---

(١) ليلة الثلاثاء الواقع في ٢٣ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٥٦ روت انباء الوكالات والاذاعات خبر اعتراض الطائرات النفاثة الفرنسية سبيل الطائرة المدنية التي كانت تقل زعماء حركة التحرير في الجزائر الخمسة وهم السادة : احمد بن بلا ، محمد خيضر ، محمد بوضياف ، الحسين آية احمد ، الدكتور مصطفى الاشرف ؛ في طريقهم الى تونس بناء على دعوة السلطان لحضور المحادثات التي يجريها السلطان سيدي محمد بن يوسف مع الوزارة التونسية ، وارغمتها على الهبوط في مطار حربي في الجزائر واعتقلتهم جميعاً .



الزعماء الجزائريون الخمسة وهم من اليمين السادة :
احمد بن بللا ، ومحمد خيضر ، وآية احمد حسين ، ومصطفى الاشرف ، ومحمد بو ضياف



الاخيرة لعنادك في الجزائر .. بل لبقائك في شمال افريقيا بصورة عامة ..

او لم تطلبي الى السلطـان الشهم ، سلطـان المغرب المعظم . . التدخـل لايجاد حل للمسألة الجزائرية ، وللحرب المستمرة الاوار ؟ فلماذا انقلبتِ هذا الانقلاب ، واحكمتِ خطة الغدر والنذالة هذه ؟

او تظنين ياحكومة القرصان .. ياحكومة اللصوصية والاجرام أن هذا ينفع ؟ أو أنك بذلك قد أخمدت الثورة المشتعلة ، وقضيت على اللهيب المستعر ؟ .

أو تظنين يا حكومة الهمجية ، أن اعمال القرصنة تقربك من النصر ؟ اذن لقد خاب فألك . . إن ما اقدمتِ عليه من عمل طائش أحمق ، قد هدم كل ما بنيت وتبنين من آمال لانهاء الحالة الراهنة في الجزائر . . لانهاء الحرب التي مزقت هيبتـك ! ومرغت شرفـك في الاوحال .. بل ان هذا العمل الذي أقدمت عليه ، قد قطع كل أمل لك في انهاء الحرب كما تشائين . . وكما كنت تأملين . . ولو بالفوز ببعض المطالب والامتيازات . .

انا لا استغرب قرصنتك الشائنة الوضيعة هذه ، ولن يجول لي ذلك بخاطر . . والا كنت جاهلاً بك اشد الجهل . . جاهلاً طباعك

اللئيمة .. ووضاعة نفسك وخستك .. ومن ذا الذي لا يعلم هذا عنك من ابناء امم الارض قاطبة ، على اختلاف بقاعها وامصارها ؟ .

ان هذا العمل الاحمق سيكون ايضاً نعمة وخيراً على قضية الجزائر ان شاء الله .. فعدا انه سيعجّل بالنتيجة، ويلهب نار الكفاح ويزيد المجاهدين اصراراً وعناداً ، فانه سيجمع الأمة المغربية بأثرها على أمل واحد وغاية واحدة ويوحّدها رجلاً واحداً وجسماً واحداً .. ويفتح أعينها على النوايا الاجرامية والغدر المتأصل فيكم يا أيها الفرنسيون اللئام . .

وانتم ايها الزعماء الكرام .. يا نبضة كل قلب ويا هتفة كل لسان .. لكم تحيات الملايين من ابناء امتكم ، يطير بها الشوق ،ويرتفع بها الحنين ، واليكم تُهدى نظرات الاجلال والاكبار تغمرها اللهفة ويلفها الوقار ..

وأنت يابن بللا يا ايها البطل ، من ذا يستطيع ان يقرأ ما قلت او يسمع ماجابهت به البرابرة المتوحشين ، ولا يكبر هذه النفس العظيمة ، ويجلّ هذا الايمان العميق ، ويدهش في اعجاب وفخر وهو يلمح من ثنايا كلماتك القوية ، رفعة نفسك وعظيم إبائك ، وسمو كفاحك وصلابة عودك وقناتك ..

من ذا الذي يسمع كلماتك ، ولا تتراءى له في الحال صورةُ الشعب الأبي ، شعب الجزائر العظيم ..

من ذا الذي يسمع كلماتك [1] .. ولا يملؤه الزهو والفخار ،وهو يرى أمامه مثالاً من أمثلة هذا الشعب المجاهد البطل ؟ ..

لقد ظنوا أنهم اذا ألقوا القبض عليكم يا زعماء الجزائر الامجاد سكنت الثورة ضدهم وخمدت ، ولكن هاهي الثورة تزداد تأججاً ولهيباً ، بعد عمل القرصنة الغادر واللصوصية الدنيئة ، والقاء القبض عليكم وانتم في طريقكم الى تونس من اجل اجراء المشاورات لحل قضية

---

(١) روت الانباء انه كان يركب في الطائرة التي اقلت الزعماء الجزائريين الخمسة في رحلتها من مراكش صحفي اميركي وصحفيتان فرنسيتان وقد روى هذا الصحفي الاميركي لوكالات الانباء قائلاً ، عندما حطت الطائرة في المطار الحربي الجزائري صعد الى الطائرة احد رجال البوليس الفرنسي حاملا بندقية رشاشة فالتفت الزعيم احمد بن بلا وقد عرف الحقيقة الى رفاقه قائلا : هذه هي الثقة بفرنسا وكذلك روى هذا الصحفي انه صباح اليوم التالي عندما احضر بن بلا للتحقيق خاطب الضباط الفرنسيين قائلا قتلوني .. لماذا لاتقتلوني ؟ انا لا اخاف الموت ، ولكن لاتعمدوا الى دناءاتكم واساليبكم .. اقتلوني بشرف ، ثم التفت الى جندي يقف قريباً منه وقال : ولكنني اسف لهذا الجندي الذي امرتموه ان يقضي الليل ساهراً يخبط على باب زنزانتي كي لاانام ، ومن قال لكم اننا سننام ؟ لن ننام .. لن ينام جزائري واحد قط قبل ان يطهر ارض بلاده ، وينال حريته وعزته واستقلاله

الجزائر وانهاء الثورة ، أولم يتوسلوا الى عظمة السلطان سيدي محمد ابن يوسف كي يتدخل بنفوذه لوضع حد للثورة القائمة .. أو لم يسعوا لديه من أجل هذا ؟ ولكن متى كان للذئاب والثعالب عهد ؟ متى أمكن للوضيع السافل أن يصبح شريفاً طاهراً ؟ .

هنا في الجبال .. هنا في السهول . . هنا وراء الصخور . . هنا في الجزائر .. في كل مكان .. بدأ الصدى العظيم . . صدى القرصنة يتماوج هدّاراً مرعباً ..

هنا المجاهدون الشجعان . . هنا الابطال المكافحون . . هنا النفوس الثائرة .. هنا القلوب المشتعلة .. هنا الضلوع الحاقدة الناقمة .. هنا الأنفاس المحرقة ، بركان ثائر مضطرم الأوار ..

وهناك من المغرب الملتهب . . نقمة عامة وغضبة هادرة .. واندفاع حاطم مدمر ..

ومن تونس غليان واضطرام ونار موقدة .. ومن ليبيا الفتية .. اتقاد وعزم وتصميم .. ومن كل مكان من أقطار العروبة والاسلام ..

في سوريا الملتهبة الأحناء بالحماس والغضب . . في مصر العظيمة القوية . . في الاردن الفتي العزيز . . في السعودية المباركة ، مهوى

الأفئـدة ، وملتقى الآمال . . في العراق الأبي وشعبه الانف . . في لبنـان . .

في اندونيسيا الرائعة الفتنة .. الرائعة الطموح.. الرائعة الكفاح.. في باكستان العظيمة .. بلد محمد اقبال . . بـلد محمد جناح . . بلد محمـد القاسم .. بلد الامجاد والعزة والاباء ..

في السودان الحر .. السودان الحبيب ، وما أحلى السودان وما أبهاه وأروعـه . . في اليمن السعيـدة . . اليمن الشديدة المراس . . في الكويت وامارات عدن وحضرموت والبحرين وقطر وعُمان ..

وهناك في كل مـكان . . في كل أرض حرة . . في كل بـلد يكره الاستعمار والطغيان والعبودية ، في كل بلد يعشق الحرية ويبارك كفاح الشعوب المستعبدة في تحررها وانطلاقها ..

---

(٣١)

الاعتداء على مصر

ولكن اي ريح عاتية مشؤومة .. أخذت تعول مجنونة طائشة؟ أي ريح دفع بها الغدر وأحكمت خيوطها النذالة .. هذه الريح النتنة الخبيثة التي اندفعت من اسرائيل ليلة الاثنين في ٢٩ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٥٦ ؟ .

ان هذا الاعتداء المبيت على مصر .. قد ردته مصر رداً لائقاً .. ترك المعتدين يتعثرون حين هروبهم مما حاق بهم من خسائر وضحايا وانكسار ، تعثراً لم يتبينوا معه سبيل النجاة ..

ولكن الغدر يظهر فجأة ، متجلبباً جلباب الخديعة .. إنها دولة الخديعة والغدر .. انها بريطانيا . . ومعها دولة العدوان والطيش والحمق .. فرنسا الذليلة .. لقد اتفق الماكرون مع الذئاب الكاسرة ووجهوا الانذار الغريب ! انذاراً للدولة المعتدى عليها . . انذاراً لمصر بأن توقف القتال مع اسرائيل في خلال اثني عشرة ساعة ..

ولكن يالهول .. ماهذا الأمر المبيت المدبر ؛ ليست القضية

قضية اعتداء فقط .. ليست القضية قضية انذار فقط . . انه العـدوان المدبر بليل . . انه العدوان المبيت .. انه الغدر بأبشع صوره ..

وهاهي القوات الفرنسية واسلحتها وطيرانها .. تشترك جميعاً الى جانب القزم القميء اسرائيل .. وهاهي طائرات بريطانيا الغادرة مـع طائرات فرنسا اللئيمة .. تشترك في أعداد كبيرة متلاحقة في قصف مدن مصر وسكان مصر الآمنين ..

وهاهي اسرائيل الذليلة الدنيئة ، تصبـح بين يوم وليلة حليفـة بريطانيا وفرنسا ..الدولتين العظميتين!. الدولتين الرشيدتين !.الدولتين الراقيتين !. الدولتين الانسانيتين الحرتين !!.

لقدتبين منذ الساعة الأولى، انهاليست قضية مصرواسرائيل.. او اعتداء على مصر من اسرائيل كسابق اعتداءات اسرائيل ..وليس اعتداء على خطوط الهدنة ، ولاهجوماً محلياً على القوات المصرية ، في مراكزها ونقاطها الامامية ..

لا .. انه خطة حربية كاملة . . انه تجاوز عن المراكز والنقاط الدفاعية الامامية .. الى التوغل بعيداً داخل صحراء سيناء ، للتقدم في أراضي مصر ، اكبر مسافة ممكنـة . في صحراء خالية من المقاومـة

والمراكز الدفاعية والجيش .. انها خطة مبيتة في اتجاه القنال .. ليعقبها هذا الانذار المجرم .. انه تواطؤ صريح بين بريطانيا الشهمة ! وفرنسا النبيلة ! وبين هذه الوضيعة اسرائيل ..

انه عدوان سافر على مصر .. عدوان مرسوم بين الدولتين العظيمتين ! وبين حليفتهما الشريفة ! وهل يستغرب تحالف الشرفاء ؟!.

فتمالكي جأشك يا ايتها الامة العظيمة .. يا ايتها الامة الممتدة التخوم من اقصى المغرب الى اقصى المشرق .. من شواطىء الاطلسي الى شواطىء اندونيسيا الشرقية .. تمالكي نفسك وانت تسمعين ابناء اخوتنا في مصر يضربون ..

فاذا لم تستطيعي التمالك .. ولن تستطيعي ، فازأري زئيرك المدوي المخيف .. وازحفي .. فلقد آن لأسطورة التهديد والتدمير والاعتداء ، اسطورة الخسف والعسف والارهاب .. اسطورة التحكم والتملك والابتزاز .. اسطورة الامتصاص والتسلط والاستعمار .. ان تمحى من الوجود .. ولن يمحوها إلا زئيرك واتحادك وإقدامك .. لن يمحوها الا نصرة بعضك بعضاً .. مسيرك شيباً وشباباً وولداناً .. حكومات وشعوباً الى ساحات الشرف جنباً الى جنب ..

ان لم يكن واجباً عليك الجهاد اليوم ، والاعداء قد كشروا عن انياب الشر والعدوان .. فتى يجب ؟ قد اقدموا في تصميم واصرار وخطة مدبرة مبيتة على ابشع صورة من صور الاعتداء والبربرية .. بضرب اخواننا في مصر .. مصر العزيزة الحبيبة .. في القاهرة .. قاهرة المعز .. عاصمة الامجاد والعزة والفخر ، القاهرة التي شهدت اياماً خالدة ، ودهوراً وضاءة فريدة من العز والنصر والزهو .. اياماً كلها اباء ومجد وفخار ..

القاهرة المتماوجة بالاعلام والبنود .. اعلام الجيوش المنتصرة والبنود والرايات الخفاقة المتمايلة خيلاء واعتزازاً .. يسعى بين يدي جيشها الفخر عاقداً على هامات قوادها المظفرين ، اكاليل الغارشيقة زاهية سامية ..

هذه هي القاهرة .. لم تتغير .. انها هي .. لم تزل قاهرة الاعداء واللئام والطغاة .. لم تزل القوية المرهوبة العظيمة .. لم تزل تتفجر قوة وايداً وصولة .. لم تزل عامرة الصدر بالايمان .. الايمان المشتعل .. الايمان المتقد .. الايمان العميق الفريد ..

لقد ضربوك ياقاهرة الاعداء من الجو بالقنابل المدمرة والحارقة ..

ضربوك.. نحن نعرفهم و كل من يتجه اليوم اليك لهفان القلب خافقه، يعرفهم. انهم الانذال عينهم . . انهم اللئام انفسهم . . انهم الاعداء التقليديون لاسوام .. انهم مصاصو الدماء .. القتلة المجرمون .. اولاء الذين تعرفهم جميع الشعوب ، وتنظر اليهم الامم في شتى البقاع باحتقار، وعلى الاخص تلك التي لها معهم ماضٍ مر طويل ، اجل كل عين من العيون ترمقهم بالمقت والكره والنقمة ، .. كل قلب يشتمل حانقاً عاتياً، حين يذكرون .. كل نفس تتميز غيظاً وثورة حين تلمح لهم صورة، او حين يجول ذكرهم بخاطر ..

ماهذه الرجولة يا ايها الاوغاد ؟ ما هذه الرجولة التي تقدم على قصف الآمنين.. وترمي بالقنابل الحارقة ، والقنابل المدمرة والشديدة الانفجار ، على النساء والاطفال والشيوخ ؟ وما هذه الانسانية التي تسوّغ قتل الابرياء وضرب المدن الآمنة .. وتدمير المستشفيات والمعابد والبيوت ..

ولكن ماهي الرجولة ؟ وماذا تفرض ؟ اتعرفون لهذه الكلمة من معنى ؟ هل لها عندكم اي مدلول صحيح ؟. والانسانية ؟ اتعرفون هذا اللفظ ؟ انكم لاشك لاتفقهون مما اقول حديثاً .. عفواً فقد نسيت انكم قوم همج متوحشون ..

ماذا فعلت هذه المدينة الآمنة ؛ الاسكندرية الجميلة الفاتنة ، ومدن القنال ، وغير مدن القنال .. حتى تقصف من الجو هذا القصف المريع ؟.

ألا لتفخر كل مدينة .. ألا ليفخر كل شعب . . ليفخر كل بطل .. لتفخر امم الارض . .وليشمخ برأسه كل أبي . . فهذه مصر وحدها .. مصر المؤمنة بربها الواثقة بنصرها.. مصر المطمئنة الى عدالة قضيتها ، المؤمنة بحقها.. تصمد صموداً عجيباً .. وتكبد المعتدين افدح الخسائر .. وتستبسل وحدها استبسالاً فائقاً امام الدولتين العظيمتين الكبيرتين! بريطانيا العظمى ! وفرنسا الهائلة !ومعهما الحليف الاجرب..

(٣٢)

بور سعيد مع العدو وجهاً لوجه

ولكن سكوتاً ايتها الاصوات..وهدوءاً ايتها النفوس المضطرمة الثائرة .. فهذه بور سعيد يأكلها اللهيب .. هذه بور سعيد يصدمها الباطل فتمحقه . . يقتحمها الشر فتحيط به من كل جانب ، تتعقبه

وتبيده .. هذه بور سعيد بلد الكفاح .. بلد الابطال .. تبدو في سمائها مع الفجر بقع بيضاء ودكناء وسمراء .. بقع كثيرة متماوجة.. فيبقى الفجر ويرتفع .. وتتهاوى البقع ساقطة ساكتة سكوتها الابدي لقد محاها ابناء بور سعيد من سمائهم الصافية الجميلة ..

وتهبط قوى الشر من جديد وباستمرار .. وسواعد الابطال من ابناء بور سعيد الخالدة ، قضاء متربص وقدر مقدور ومحتوم ..

ألا حيي يا ايتها الامجاد .. مدينة الامجاد ..

ألا حي يا ايتها النصر .. مدينة النصر

وانت يا ايتها المعارك ويا ايتها الحروب الطاحنة .. حيي مدينة الكفاح ..

فلتضفر كل يد ماجدة شريفة .. لتضفر كل يد ابية عزيزة ، اكليلاً من الغار .. زاهياً .. فائقاً سامياً .. تتوج به رأسك الشامخ.. وجبينك الوضاء .. مضافاً الى اكليل المجد المشع بالنور الذي يزين هامك المضيء السامي للعلاء يابور سعيد يامدينة البطولات ..

وانت ايتها العيون المتشوقة المستطلعة .. اذا ماطالعتك الازاهير من بور سعيد .. مخضبة يقطر منها الدم القاني . فاذكري انها قد

نبتت في ارض غارقة بالدماء .. ارضٍ سقاها بالعزيز الغالي ، شعب بور سعيد المكافح .. لتبقى اكرم بقعة على كل قلب محب .. وأملأ في العين واجل في النفس ، عند كل غريب هزت جانحتيه ، روعة كفاحك ياشعب بور سعيد وعظمة ابائك ..

فلتنبض القلوب على الدوام شادية بحبك .. ولتصدح حناجر الزمان ، وابواق المجد الساحرة الجرس ، الرائعة النغم ، الفاتنة الرنين ، هاتفة باسمك الفاتن ، ياشعب بور سعيد .. باسمك الذي تتفتح القلوب حين سماعه ، كما تتفتح الزهرة الجميلة لندى الصباح ..

ولترو ظمأها من الرنو اليك يابور سعيد النفوسُ المتدافعة المشرئبة .. النفوس الوالهة الحانية .. من كل ارض ومن كل قطر .. ولتصافح بعضها بعضاً ، عزائم الرجال وهممُ الابطال في مختلف البقاع والامصار ، هؤلاء الذين يضجون من فرح واعجاب .. وقد ملكت نفوسهم ، وسحرت لبهم ، عزمةُ رجالك يابور سعيد وهمة ابطالك ..

فتية امتي العزيزة الابية .. غناؤهم اليوم: جلاد وسلاح و كفاح.. وآمالهم : عز ومجد وعلاء .. وسبيلهم صبر وعزم وتصميم ..

امتي .. عاد يشعل منها الدماء ، حادي الاباء .. عاد لها عنادها في

الحق .. عاد لها حبها للعراك .. عاد يشوقها ويسحر لبها داعي الجهاد ..

فلتبتهج الانسانية المعذبة.. لقد عاد ناصروها من جديد .. عادوا مرة ثانية لينقذوها من وهدة الشقاء ،وجحيم البرابرة الاشرار ..عادوا لينقلوها الى شاطئ الامان والسلام والنعيم .

(٣٣)

الكفاح الخالد

مع خيوط الفجر ..

مع انبثاق الضياء ..

مع اشراق الصباح ..

مع المنى والاحلام والامل الجديد .. أفقت يابورسعيد ..أفقت على خيوط اللهيب ..

افقت على انبثاق الجراح ..

افقت على اكفهرار الصباح ..

الغيوم المنطلقة اليك بالدمار .. الطائرات المنقضة عليك بالهلاك والحريق والنار ..

اطارت من جفنيك المنى الجميلة البيضاء .. وطاردت من سمائك فاتنات الاحلام.. واحلت محلها جميعاً المأوعذاباً ، وجراحاً عميقة دامية..

ونفت من نفسك الامل الباسم الجديد ، الذي نمت على هدهداته وعذب رؤاه .. كما كنت تنامين كل مساء ..

والقصف الشديد المرعب ، لاتنقضي له دمدمات ولارعود..

والقنابل الزاخرة العاتية ، لايتوقف لها انصباب عليك وعلى كل شبر منك يابورسعيد .. يازهرة القنال.. ويا فاتنة البحر وغادة الشاطئ الرغيد ..

وعلى كل بيت قنبلة مدمرة مهلكة ..

وهنا وهناك .. قنابل منهمرة تنصب بلا حساب ، معولة تدك المنازل والبيوت ..

وعلى كل مكان .. قنابل حارقة ، تنفجر فيندلع منها اللهيب .. لهيب يأتي على كل شيء .. ويشوي بلفحه الوجوه .. وجوه واجسام

الصغار الابرياء .. اجسام الاطفال الذين كانوا قبل يوم واحد، يتناغون مناغاة الملائكة الاطهار .. في السرر وفي احضان امهاتهم عند انبلاج نور الصباح ..

يالله ..لقد اتت على اجسادهم الذكية الغضة، النار المضطرمة العاتية..

وكذلك اندفع اللهيب فقضى على الشيوخ والنساء، وعلى المرضى والعجزة واليافعين من الولدان ..

ومن خلال النار واللهيب المتدفق العرم، المشبوب الاوار . لمحتُ ابتسامة العزم والاقدام، ونظرة التحدي والكفاح، مرتسمةً في عينيك اللامعتين، وفي عيون ابنائك الاباة .. يابور سعيد الخالدة ..

من خلال اللهب المشتعل، والاشلاء المتطايرة المتناثرة ..والجو المكفهر، والغبار المعقود .. رأيتُ ساعد اشبالك القوي، الساعد المفتول، يحمل في قوة وعزم، في وجه المعتدين السلاح .

ومن خلال الأنّات الخافتات ،والآهات وآلام الجراح، من خلال الانفجارات الشديدة المتتابعة، والدخان المتصاعد وألسنة اللهيب.؛

لمحتُ فتيانك الصيد يابور سعيد .. لمحت رجالك الشجعان، بل

لمحت ابطالك الميامين ، في اتون الجحيم ، يتدافعون الى الامام ، في انقضاض مرعب كانقضاض القضاء الرهيب .

غايتهم وهدفهم .. اولئك النازلون .. اولئك الاعداء الهابطون

ولم يكد يرتفع النهار.. لم يكد ينتصف.. حتى كان جميع الهابطين في مطار الجميل .. وفي بحيرة المنزلة .. وفي الجبانة اشلاء مبعثرة .. واجساداً ساكنة هامدة ..

- هكذا كان الفتى يتدفق في حديثه الى امه عندما آب اليها في المساء .

- انهم يهبطون ويهبطون ..

ونحن يا اماه ابناء بور سعيد .. فتيانها وشبابها .. رجالها وكهولها .. امواج متدافعة عاتية ..

امواج تطوي في خضمها المتلاطم ، الأشرعة المائلة المنكفئة ..

لم يسلم منها شراع .. ولم ينج من بأسنا الوحوش الهابطون ..

....

- انهم هم الذين حدثتيني عنهم يا اماه ..

انهم هم الذين حدثت كلُّ ام مصرية أبناءها عنهم..

اجل انهم زرق العيون .. كما كنتِ تقصين عليَّ تماماً ..

انهم حمر الوجوه .. كما كنت تصفينهم لي تماماً يا اماه..

انهم هم الذين كنت تقصين عليَّ من امرهم دائماً انه :

سينتاب مصر فزع شديد ..

وسيأتيها ذات صباح آت من البحر والسماء .. فترتج الارض ايما ارتجاج .. وتمر ساعات عصيبة ، يشيب من هولها الوليد ..

ثم يهبط ارض مصر الوحوش .. وحوش لهم عيون زرق .. ووجوه حمر .. يحملون الخراب والدمار ..

إلا أن ابناء مصر البواسل .. ينهضون لهم مشمرين .. قد احمرت منهم الاحداق .. وارتفع صوتهم بالتكبير .. ويأتيهم النصر من السماء .. فيبيدون كل الوحوش ..

فطوبى لمن يردهم ويبيدهم .. وطوبى لمن يسقط شهيداً وهو يدفعهم عن البلاد ..

وقد ابدناهم البارحة يا اماه ابدناهم .

الحرية تضفر اكليل النصر

الآن وبعد ان جلا اللئام عنك يامصر . الآن وبعـد ان خبا امل المستعمرين ، امام شمس مقاومة ابنائك البواسل ..

الآن وبعد ان تحطم رأس اللئام ، الغلاظ القلوب الجفاةالطباع على صخرة شجاعتكِ وقوتك واعتزازك . . وانتشت الحرية فراحت تعقد على جبينكِ الوضاء اكليل النصر ..،

أُحييكِ وأُحيي ابناءك الابطال على ما قدّموا من أضاحٍ ، وما بذلوا من زكيّ الدماء ..

واما [١] انتم يا ابناء الجزائر الأباة .. فهـا إني اعاود في ذراكم النشيد . .

---

(١) كتبت الفصول السابقة جميعها خلال عام **١٩٥٦** و كانت جاهزة للطبع في اول كانون الثاني عام **١٩٥٧** بما في ذلك ابتداء الفصـــل رقم (٣٤) وحتى الاشارة . واعتباراً من هذه الاشارة اي من السطر الذي يبدأ بعبارة : « واما انتم ياابناء الجزائر الخ .. وحتى آخر الكتـاب فقد كتب في الفترة ما بـين ٢٥ /١٢/ ١٩٦١ و٢٠ /١/ ١٩٦٢ . (المؤلف)

فلتُنشدْ معي نشيد المجد والقوة والظفر ، كلُّ نفس ابية حرة الجناح .. حرة الجنان وحرة اللسان .. كلُّ محلقة في السموات العلى .. تنشد السمو .. تنشد العلاء .. تنشد الحرية ..

ان صوتاً طليقاً .. محرراً من كل قيد وغل .. سامياً مترفعاً عن كل دنس .. هاتفاً بالصفاء .. هائماً بالطهر .. ناشداً نبع الفضائل .. شادياً بالاباء .. هازجاًبالحرية ..؛هو صوت علمه الله نبرة العزة ..وقولة الحق .. والثبات على اليقين . . والصبر على مصارعة البغي ومقارعة الطغاة .. هو صوت يرنو له الفخر طروباً .. وتهيم مأخوذة لسماعه أذنُ الحياة .. وتناجيه في لهفةٍ وشوق ، بناتُ المجد وغيده الحسان ..

هنا حيث لاتزال معركةُ الخلاص محتدمة الأوار، على ارضكِ الغضبى يا جزائر الحرة ..

هنا على الرغم من كل ما يحاوله الطغاة الفرنسيون من كذب وتدجيل وادعاء ، ومن تشبث وعناد واصرار . . فانكِ سائرة بعزمٍ وثباتٍ وايمان ، الى غايتكِ السامية وهدفكِ المنشود .. الى الحرية..

فليتملكْهم الغيظُ كل الغيظ . . ولتأكل النيرانُ قلوبهم ، ولتشتعلْ في صدورهم كلَّ الاشتعال ..،

فان نشيد المجد .. وصداح الظفر . . واغنيات الفخار ، ترنّ في مسمع الدنيا قادمة من بعيد .. تحمل النغم العذب يخلب كلّ أُذن ، واللحنَ الرفيع يملك كلّ نفس ..

ذلك هو لحن الحرية الساحر ، يتضح من بعيد . . من وراء اصطخاب المعارك بالهدير . . ومن بين الانفجارات ودويّ القنابل . . من بين الجراحات الداميات، في لهاث الاجواء الشاكيات الغاضبات.. من بين صرخات الهول وصيحات الفزع .. في حشرجات الاطفال والشيوخ .. وصراخ النساء المفزّعات .. وشهقات المثخنات بالجراح وهنّ يجدن بأنفاسهن الأخيرة ..

هنا حيث يقدّم ابناؤك الصيد أروعَ وأخلد البطولات ، على ارضك الزكية الفواحة العبير، ياجزائر الطاهرة الحبيبة ، امتزجَ البعيد بالقريب، وتوحّد ابناء الامة الواحدة ..من مشارق الارض ومغاربها.. تجمعهم رابطة تشدهم اليها أصدق وأمتن الشد ، تلك هي رابطة الدم واللغة والدين . . رابطة الآلام والآمال الواحدة . . رابطة التاريخ المشترك والأمجاد المشتركة .. وماهذان المجاهدان المتطوعان القادمان من سورية .. اللذان رأيناهما في اول حديثنا كظلين مستلقيين على ظهر

الباخرة التي تمخر عباب اليم هائئة سعيدة .. لايحس لهما احد حساً ولا ركزاً ، ماهذان اللذان رأيناهما يتوجهان نحو شاطئ بلديهما بتحية الوداع ، حينما فصلت السفينة عن ساحل وطنهما ، متجهة الى الغرب.. الى الهدف الذي رسماه لنفسيهما ..الى الغاية التي وهباها حياتيهما .. الى الجزائر موطن اخوة لهما اعزة .. وبلدٍ واهل وعشيرةٍ هي جميعاً بلدهما واهلهما وعشيرتهما ؛ نعم فما هذان القادمان إلا مثال من امثلة الروابط التي ذكرنا ..

هذان القادمان اللذان رأيناهما يتوجهان بالتحية الى كل بلد عربي مرّا بساحله ، أو لاحت أرضه لهما من بعيد ، قد شاركا اخوتهما الجزائريين في عمليات كثيرة .. وهما يشاركان الآن في مهام ومعارك.. وما اكثر المهام وما اكثر المعارك .. وانها هنا متتابعة متلاحقة .. نشيطة وسريعة .. لا تفتر ولا تضعف . . وقودها اباء مشتعل .. وجذوتها ايمان لا يداخله شك ، إذ أنه اليقين كله ..

وقد استمعنا الى احد هذين الصديقين القادمين يحدثنا الحديث الماضي كله .. فلنتسمع الآن الى حديث زميله وما يعتمل في نفسه من عوامل .. لنستمع الى بعض شؤونه وما يتناهى الينا من خلجات

نفسه ومكامن سره .. فحديثه لا بد وان يكون شيقاً ممتعاً ..
وكيف لا يكون كذلك وهو حديث عن نفسه، وعن البلاد
التي أحب .. عن الجزائر .. البلاد التي منحها ووهبها من نفسه
وروحه كل لفتة وحنين .. وخصها من فكره وعمله .. بكل
خطرة وشوق وحركة ..

---

(٣٥)

حديث النفس

الآن استطيع ان أئنّ من الحنين، وأن أتاوّه في صمت .. لاتسمع زفراتي اللاهبات، أنفاسُ السفوح العليلة ..

الآن استطيع ان أُغرق عينيّ في سيل طامٍ من عبراتي السجام لا تراني غير النسمة الباكية الحزينة .. وشعاع الشمس الارجواني الكليم الفؤاد ..

هكذا كان الصديق المضطجع في قنة من قنن جبال اوراس الشماء يحدث نفسه هائماً هامساً .. وهو مسند ظهره الى صخرة من صخورها الصلدة، محدق في الشمس وهي ترسل تحيتها الاخيرة عند المغيب ..

الآن وانا استشرف من مجلسي هنا .. من مكاني هذا الراقي ذرا الجبال الشم، المناظرَ الفائقة الروعة، استطيع ان ألمح في سنا الافق البعيد .. الوديانَ السحيقة البعيدة الغور .. والمنحدرات الشديدة الخطر .. والسهول التي تبدو من بعد كأنها بساط مفروش .. مطرز زاهي الالوان .. منقوش بأبهى التصاوير وأروع الرسوم ..

اجل استطيع ان ألمح في سنا الافق البعيد .. صوراً من بلادي.. تومض سريعاً هناك وتختفي .. لتضيء صور اخرى من جديد .. صور اشد سطوعاً .. وادق وضوحاً .. وابهى سناء ..

بهذا كان يحاور نفسه ونظره حالم وسابح ، غارق في بحر من التأملات يطير محلقاً بأجنحة الفكر والخيال ..

ولكن هل يعلم احد من رفاقه المجاهدين الأشاوس ، الامر الذي يعضّه ، والشيء الذي يقلقه ويشغل فكره ؟ .

كلا .. عهدهم به أنه شجاع مقدام ، لايترك موقعةً ولا يتخلف عن مهمة ولا ينكص في معركة .. وعهدهم به كذلك أنه وديع ساكن منطو على نفسه .. لا يخرجه عن صمته إلا صديقه الذي لا يقل عنه في كثير من الاحيان صمتاً وانطواءً .. وان كان في أحيان كثيرة اخرى منطلقاً ، يغدو ويروح مازحاً مرحاً ، متفلسفاً سعيداً هانىء البال ..

اذن لا يعلم احد سرّه إلا صديقه .. وإلا الشمس عند الغروب وعند الشروق .. عندما يحمّلها تحياته وقبلاته الى من يحب .. وعندما يستقبلها في الصباح يسائلها عن مالكة لبه .. كيف خلّفتها . . وهل هي مقيمة على الود .. باقية على العهد .. وماذا تصنع ؟ هل يشتد بها

الحنين وتستبد بها الاشجان ، كما تشتد به وتستبد بفؤاده ؟ .

آه .. هل كل الذي تقوله في اجوبتها اليَّ صحيح ؟ . ـ هكذا كان يحدث نفسه ـ . وكيف لايكون صحيحاً ؟ او يمكن ان يكون غير ذلك ؟ قطعاً لا .. لأنها لاتعرف الرياء ولا الخداع .. لا تعرف التلون ولا الغدر ..

نعم نعم .. انها امينة باقية على العهد .. وستبقى امينة وفية ..

آه ايتها الشمس .. ياساحرة الطبيعة ويا صانعة الحياة وباعثة الجمال ..

هل رأيت زنبقةً بيضاء بهيجة بمثل طهرها ونقائها ؟ او وردة متفتحةً نضِرةً بمثل فتنتها وروائها ؟ .

وانت ايها القمر . . يانداء المحبين ويا ملهم المغرمين ونجوى العاشقين المتيمين ..

هل طالعتك المفاتن والقدود والعيون .. بمثل مفاتنها وتثني قدّها وتكسّر لحاظها ؟ .

آه .. بقدر ماتثير ني النذالة والخصومة فأضحي كاللهب المشتعل مع الاعداء والانذال واللئام ... بقدر ماتملكني وتأسرني همسة ناعمة

وعينان فاتنتان نجلاوان .. وطرف فاتر ساحر .. بقدر ما يتيمني الهوى ويسحرني الغرام .. فأسلُس راضياً ناعم البال، لمحبٍ مخلصٍ، صادق الحب صادق الوداد ..

ـ هكذا كان يخاطب نفسه ووميض عينيه يأتلق مفصحاً عما يضطرم به فؤاده ـ

وكان شعاع الشمس الغاربة يتبدى في وهج مشتعل، كما يتوهج الشوق في قلبي المعذب الولهان ..

وغابت الشمس وراء التخوم البعيدة .. واخذ الظلام يهبط رويداً رويداً على القمم والسفوح .. فيلفها بردائه الفاحم الفضفاض ..

غابت الشمس .. وأحس كل طائر كأن احلامه تغيب وراءها وشعر بالوحشة تعتصر فؤاده .. وهو بعد يطير وحيداً باحثاً عن عشه وأليفه .. وكذلك شعرت كل روح يستعر في ضلوعها الوله والحنين..

وقمت من مجلسي وانا غارق في بحر من التأمل .. ادفع عني سأماً يغالبني .. وضيقاً نازلاً يمسك بي ساعة ويطلقني ..

ودخلت المخدع بل المهجع بتعبير أصح .. اذ انه كان يتسع

لأكثر من خمسين شخصاً .. وكان اكثر افراد زمرتنا يتسامرون ويتضاحكون ، فتتجاوب ارجاء المهجع برنين ضحكاتهم ونكاتهم .. وكان البعض عكفاً على قصص يقرأونها وصحف يطالعونها ..

ودلفت من الباب فسلمت، فاشرأبوا نحوي وهموا بأن يدعوني الى مشاركتهم او كادوا غير أني حييتهم بابتسامة شاكرة سمحة ، وقصدت ركناً قصياً من المكان ..

وتواردت عليَّ خواطر شتى ، وتزاحمت في نفسي الاسئلة .. ولكنني سرعان ماغرقت في بحران من النشوة ، عندما نشرتُ بين يدي رسالة الحبيب ، البعيد القريب ، الغائب الحاضر .. ورحت اتلوها .. وكانت الروح والنفس والمشاعر ، وكلُّ خلجة حلوة ، تقرأها معي.. ولم اشعر إلا وانا مستغرق في الكتابة اسطر للحبيب الرسالة التالية أقول فيها :

تلوت رسالتك الحبيبة وتلوتها مرات .. ومرات .. ثم عدت فكررت تلاوتها من جديد .. كانت في كل مرة تتبدى لي وكأنها رسالة جديدة .. كانت في كل مرة تطالعني بأنغام وألحان وغناء .. بألوان وفتون وسناء .. وتسمعني همسات الشوق وحنينه .. وآهات

الهوى وانينه .. فأذكر ساعات اللقاء وأذكر مواعيد كانت مهما تطل بنا ، لحظات ..

هل تذكرين ليلة كنا نتناجى والقمر البهي يقبّل نوره الوسنان ناظريكِ الحالمين ومحياكِ الجميل ، ونحن في نجوةٍ عن أعين العزّال ؟. كان ذلك رابع لقاء بيننا .. هل تذكرين حديثنا تلك الليلة ؟ . لقد اندفعتُ ليلتئذٍ ورحت أبثكِ الحديث في نجوى هامسة قلت فيها .

انا احببتكِ لا ادري لماذا ، كل ما فيك سحر وجمال ، . كل ما فيك هناء وحب .. انا احببتكِ لا اريد ان اعرف لماذا .. يكفيني ان اراكِ لأخشع لسلطان هواكِ .. وأُذهل عن نفسي كلما خاطبتني عيناكِ ، وطوقني سحركِ وبهاكِ .. هذا السحر الذي لم ادرك له المعنى الذي ادركه ، ولا التأثير الذي احسه واعيشه الآن ، وانا معلق الانظار بك .. هائم الجوانح بحبك . . خافق القلب .. موّله مولع الفؤاد .. لهفان مسلم قيادي اليكِ منجذب احلى انجذاب .. آه للضلوع اليكِ لهفة ، وللأنفاس هفيف متقطع كأنما يعروه رعش واحتباس.. انني اشعر وكأنني أحس لمس هذا السحر .. وهمسه وابتسامه . . السحر المالك الأخاذ .. السحر الجاذب الآسر.. السحر الهاتف الناعم..

لا يهمني من انتِ ولا من تكونين .. ألستِ اغرودة حياتي وانشودة احلامي ؟. يامن فتّح ازهار قلبي بمسّ نداه ، وأسكن فؤادي حبه وهواه ..

الدنيا سعيدة طروبة من حولي .. اراها في عينيكِ راقصة ناعمة ، واسمعها في حديثك صافيةً هانئة .. طلقة ضاحكة الأسارير ..

فتجيبين في دلٍّ وانعطاف يعلمان السحر والجمال ، معاني السحر ومفاتن الجمال :

ـ وانتَ .. مالذي يشغل بالك ؟ انطلق معي وافرح واطرب .. هذه الدنيا لنا .. فلنتملّ من حسنها وجمالها .. طالما ان قلبينا يشدوان ويرقصان فما لنا وللعذّال والرقباء .. فلنفرح ولنطرب .. ولنعب من اكؤس الهوى ، سلافة الروح ورحيق الوجد والهيام ..

وأجيبكِ في بث الواله النشوان :

ـ انا ان غنيتكِ لحن الهوى ، اسمعته الناس اجمعين .. انا ان عكفت على خميلتك اعانق الدلال والجمال .. واهصر عود الصبا الريان .. واهمس في اذنيك يا ساحرتي ، اشواقي وحبي .. تنهدتْ في روضها

كلُّ خميلة ، وتشهت ألحانَ القبل كلُّ وردةٍ ترعرت في حضن الغرام ..

آه ما احلى النظر اليكِ وما ابهاه ، وانتِ تبسمين لي في خجل حيناً وفي خفرٍ واستحياء حيناً آخر .. بل وفي اغراء ودلالٍ اكثر الاحيان .. آه ما احلى واعذب التقاء عيوننا في نظر متواصل هيمان .. آه ما احلى الأويقات التي تجمعنا وانت نشيطة ضاحكة لعوب .. تتثنين فاذا الدنيا فتنة ودلال .. تغنين فاذا الفؤاد متيم واله مسحور .. تتلفتين فاذا القلب مسامع ونواظر وافتتان ..

الورقاء الحزينة

خفقت بجناحيها اللطيفين الملائكيين خفقةً او خفقتين .. ثم حطتْ على نشزٍ مرتفع ، ورنت بناظر والهٍ هيمان ، تتطلع الى هنا وهناك ، باحثة عن أليفها الضائع وحبيبها المنشود ..

تناغي النسيم وتسأل الاشجار وتستنطق الصخور المطلة في صمت ، والمرتفعات المشرئبة في ضيق ، ولكن أنّى للنسيم الزافر بالممض من الحديث ؛ أنّى للأشجار الوالهات المطرقات ، ان ترد عليها الجواب .. هي لو تستطيع تأوّهت .. هي لو تستطيع شكت ولفارقها جلد واصطبار ..

وتلفت ـ في وحشة واستطلاع ـ ورقاؤنا الحلوةُ البهيةُ بهاءَ الفجر ، القادمةُ من مملكة الشمس تتوشح وشاحاً أبيض من جبين الصباح .. تلفت في أمل وبسمة واشراق ، لحظةً او لحظات .. ترقب صوتاً .. تنشد خبراً .. ترجو خيالاً ..

تمدّ بعنقها الجميل .. وتنصت بأذنها الدقيقة اللطيفة .. علّ

صوتاً يهمس .. أو خبراً يشع ويقدم . . أو خيالاً يظهر ويلوح .. ولكنها لا تلبث حتى تستفيق من بحرانها على السكون المطبق والوجوم الشامل ..

فما السر في هذا الصمت المخيم ، والضيق الشائع والزفرات والوحشة والوجوم ؟ ..

ما السر في هذه التأوه المكتوم، والزفرات الحبيسة والشكوي المخنوقة ؟ تسمعها دنيا النبات والجماد . . وتتناقلها وتبثها .. ويشعر ويحس بها كلُ ذي نفسٍ يتردد وأطراف تتحرك .. كلُ ذي عاطفة وعقل ولسان ناطق .. كلُ حسبما هيءَ له من تفاعل وفهم وادراك..

كلهم يحس ويشعر وينفعل . . كلهم يتساءل ويعجب ويألم . . ولكنهم لا يعلمون سبب هذا الشعور ومبعث هذا الألم .. لأنهم لا يعلمون ما وقع هنا في هذه البقعة من مناطق الجزائر الشرقية قبل أيام ، عندما أطبقت قوة كبيرة من جيش فرنسا بوحشيتها وهمجيتها المعهودتين ، على قرية جزائرية صغيرة ، وأعملتْ في أهلها قتلاً وفتكاً وتذبيحاً.. وخلفتها قاعاً صفصفاً مهدّمةً مندكةً على رؤوس اصحابها.. ينعق في ارجائها البوم والغراب ..

وقد شاع الخبر وانتقل .. فحمله النسيم أسوان النفس كليم الفؤاد، واستقبلته السفوح والاشجار والصخور .. فشاع في جوها هذا الألم والانقباض .. وراحت تمضغ الحسرة، وتنام وتصحو على مرارة الخطب .. تتطلع في نزق، وتململ في غضب وثورة ..

كل هذا وورقاؤنا الضجرة البرمة الفؤاد .. قابعة في مكانها .. سادرة ساهمة .. غارقة في بحر تأملاتها وافكارها .. ولكنها لاتلبث حتى تلفت من جديد في سأم وتبرم .. ثم تتأوه وتشدو بهديلها الساحر الحزين فتتأوه معها كل نسمة هائمة .. كل ريح تائهة .. كل طائر واله يبحث عن حبيبه وأليفه .. وتخفق ورقاؤنا بجناحيها اللطيفين خفقةً تتبعها خفقات ثم تمضي باحثة لهيفة الفؤاد ..

وتخفق من بعيد ألوية لثلاث نجدات من قوات جيش التحرير الجزائري قادمةً تتجه بحزم وعزمٍ واقدام .. قاصدة المنطقة التي كانت قبل يومين مسرحاً لفظائع جيش فرنسا العظيم ! ..

وهبط الظلام فألقى بردائه الفاحم العريض على الآفاق البعيدة .. وجثم بصدره الثقيل على المرتفعات والسفوح فلا يتحول أو يريم .. وأعولت الريحُ وأنّت، وصفعت السفوحَ ببردها القارس، فأقعت

ترتجف وتتلوى تحت وطأتها وزمهريرها .. وتساقط الثلج بكثرة وقوة ، وتقدم الليل .. وتشاءب الظلام .. وغلا عواء الذئاب .. وكان كلما ازدادت وحشة الليل وازداد تساقط الثلج ، ازدادت الريح أنيناً وعويلاً ..

وغفت القمم والمرتفعات والسفوح تحت دثارٍ ناصع سميك ، يقيها لسعة البرد ولفحة الريح .. ولكن لم تغفُ في هذه الليلة الليلاء من شهر كانون الاول (ديسمبر) عام ١٩٦١ ، ولم تتوقف عن مسيرها وتقدمها في هذه العاصفة الثلجية القاسية النجداتُ الثلاث القادمة .. ومن بينها الزمرة التي تضم صاحبنا المتيم العاشق ..

---

(٣٧)

وردة جريحة

كان صاحبنا المتيم العاشق يتقدم في خفةٍ ونشاط .. على رأس افراد الزمرة .. ووراءه وعلى قيد خطوات قليلة منه صديقه الحاني ورفيقه المخلص الرءوم .. وأفراد الزمرة يتتابعون .. يتحركون في صمت ويتقدمون في سكون .. العزم يسير في خطوهم .. والاقدام يضيء مواقع أقدامهم .. والصبر كان قبل العزم والاقدام ساكناً في أعماق نفوسهم ..

وتبلغ الزمرة المكان الذي كانت الورقاء هبطت فيه والبقعة التي طافت بها .. ويتوقف صاحبنا المغرم في نفس المكان ، ويتلفت في ضيق وحنين .. ثم لا يلبث أن يصرف عن نفسه هذا الشعور ويعاود المسير ، نشيطاً يكاد يطير خفةً وطرباً كلما ذكر العدو ولاح له قرب لقائه ..

ويشتد غضبه وتزداد نقمته على فرنسا فيلوّح بقبضته في الهواء آنا .. وآنا يرفع بندقيته في تحد ودعوة للنزال .. كان وهو يسير ، تنثال

عليه الخواطر والأسئلة .. فما الذي ارتكبـه اهل هذه القرية الجبليـة الصغيرة الآمنة حتى يقتلوا شر قتلة .. ويفظّع بهم أشنع تفظيع وأمرّه.. ألأنهم آووا جماعة من جيش التحرير الجزائري قبل اسبوع ولاقوهم بالترحاب واللهفة ؟

لماذا تقتلونهم أيها الذئاب ؟. ألم تعرفوا بعد أن هذا هو شعور كل اهل الجزائر نحو اخوانهم الأبطـال ؟ ألم تعلموا أنكم أنتم وأنتم فقط مثار نقمتهم ومحطّ سخطهم ونفورهم ؟. ألم تعلموا بعد انكم العدو البغيض اليهم ؟ العدو الذي يكرهونه أشد الكره وأمرّه ؟.

ان كانوا قد قبلوا منكم المفاوضـة[1] .. فقـد أوضحوا مئات المرات أنها لن تكون على حساب حريتهم واستقلالهم .. بل انهم قبلوا

---

(١) جرت مفاوضات بين ممثلين عن حكومة الثورة الجزائرية وممثلين عن حكومة فرنسا في ايفيان فلم تثمر بالنظر للعقليـــة المتحجرة التي لا يزال المفاوضون الفرنسيون يتمسكون بها . والآن تستأنف المفاوضات من جـديد . ونرجو ان يحالفها التوفيق والنجـاح فينعم القطر الجزائري بعد طول كفـاح وتضحيات بحريته التامة واستقلاله الـكامل .

وتبدأ المفاوضات أيضاً بين تونس وفرنسا بشأن قاعدة بنزرت . فحيا الله شعب تونس . لقد لمناه أشد اللوم في فصول متقدمة . وهاهو ذا اليوم يصر على جلاء الفرنسيين واسترداد بنزرت وفقه الله ..

بالمفاوضات على أساس من الاعتراف بحرية الجزائر واستقلالها .. وقد مضوا معكم في كل باب طرقتموه ، وذهبوا معكم كل مذهب .. أملاً في أن تقنعوا انفسكم بعقم المحاولات التي تبغون من ورائها كسب الوقت والخداع . فأفهموكم ان لاوقف لاطلاق النار قبل الاعتراف بحرية واستقلال الجزائر .. باستقلالها كلاً .. لاتجزئة ولا مساومات.. فكلها ارض جزائرية من ساحل وجبال وصحراء .. ولكنكم تحاولون المستحيل وتخادعون ، وما تخدعون الا أنفسكم وما تشعرون ..

لم يدر صاحبنا كم أمضى من الوقت في سيره الشاق المضني الطويل .. ولم يعرف أ كان مستغرقاً في حلم ام كان في غيبوبة طويلة عندما شعر بيد صديقه وهي تلمس كتفه .. فيتوقف ويجتمع رفاقه أفراد الزمرة .. ويتقدم آمر زمرتهم فيتوسطهم ويلقي عليهم تعليماته الأخيرة متمنياً لهم التوفيق . ويتفرقون .. وتتجه كل جماعة الوجهة التي رسمت لها ..

....

تمطّى الليل وراح يرقب الأفق المطل من الشرق ولم يبق على

طلوع النهار الا ساعة وبضع ساعة .. والعدو يقبع هناك وراء المرتفع التالي .. اما النجدتان الاخريان فلا شك انهما في طريقهما نحو العـدو حسب الخطة المرسومة ..

وسرى في الزمرة نشاط عجيب ، وحركة غامرة وهم يرقـون السفح المطل على المكان الذي يعسكر فيـه جيش العدو .. وراحـوا يتسللون الى مواقعهم في حذر وصمت ، كما كان يتسلل الثلج آنئذ هابطاً في صمت وسكـون ، لم ينقطع ولم يكفّ عن تساقطه لحظـة واحدة ..

وبدأت المعركة .. ضارية هادرةً عاتية .. وأُخذ الاعداء على حين غرة .. وبدأ اطلاق النار قوياً رهيباً في سكون الليل وفي وحشته ، واشتد وطيس المعركة أيما اشتداد .. ولم تمض فترة وجيزة حتى كانت النجدتان الاخريان قد وصلتا وبدأتا الالتحام مع العدو في معركة رهيبة ..

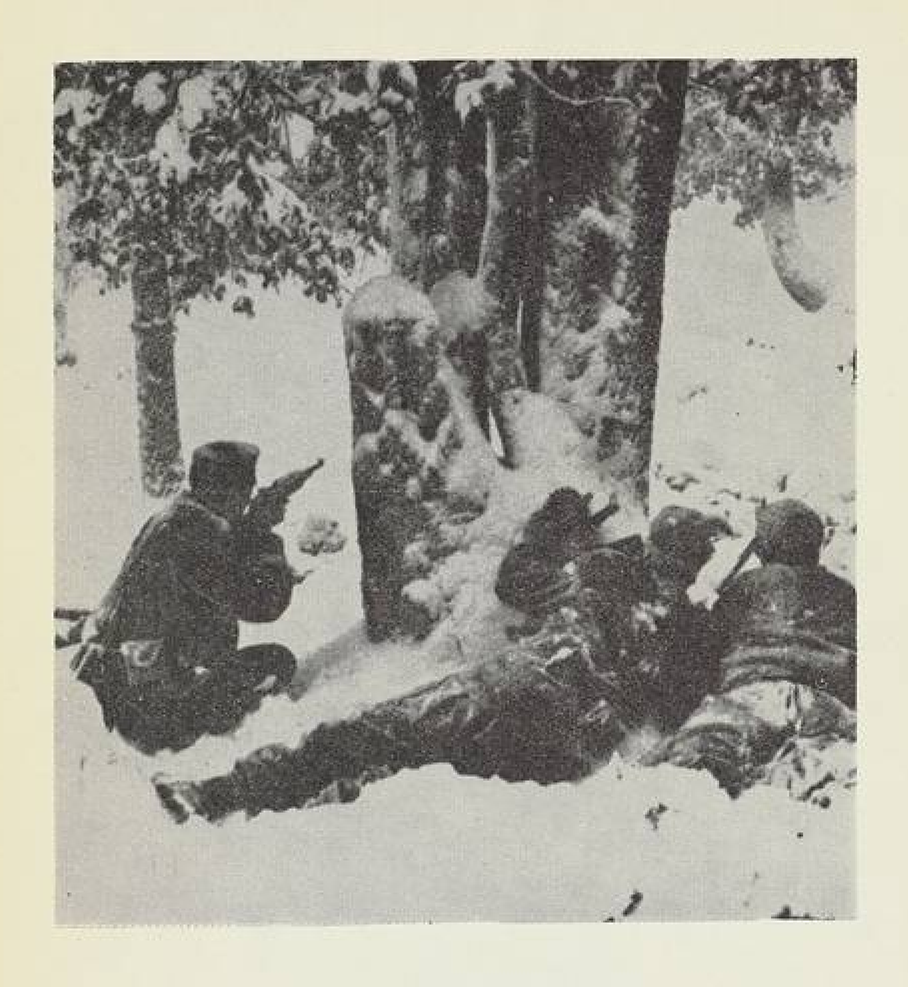
وما هي الا ساعة او بضع ساعـة حتى بدأ الفرنسيون بالتقهقر والانسحاب لائذين بأذيال الفرار .. تاركين كميات كبيرة من المعدات والاسلحة والذخائر الحربية .. مخلفين وراءهم قتلى وجرحى كثيرين .. ولم يتوقف اطلاق النار الا عند انبلاج نور الصباح ، بانتصار جيش

التحرير الجزائري انتصاراً رائعاً حاسماً ..

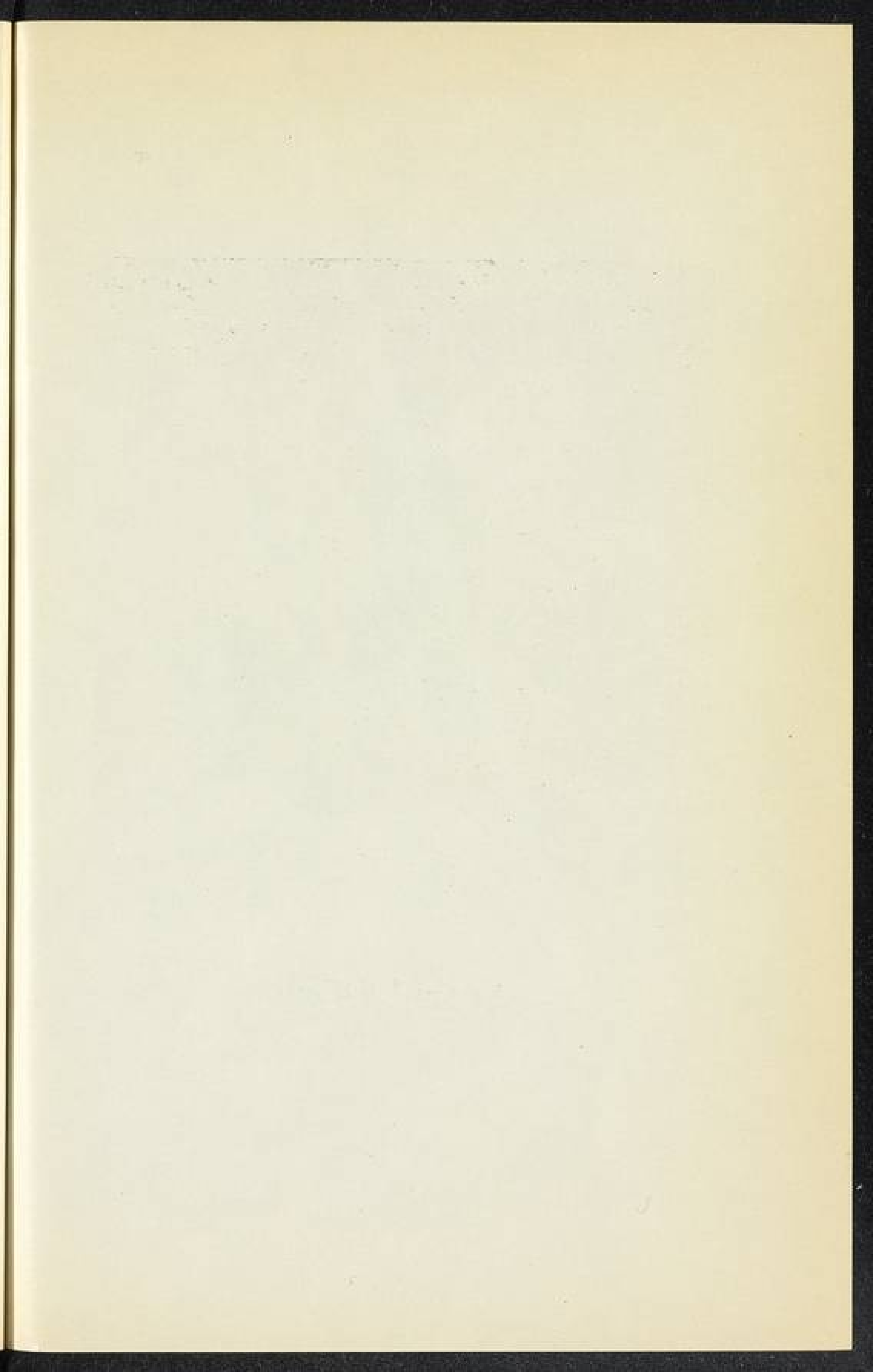
ولكن اي نبأ مفزع مريع . اي خبر قاتم اللون مكفهر الأسارير .. ذلك النبأ الذي سرى وذاع ؟الارويدك ايها القلب لاتحزن ولا تنفطر هلعاً وألماً .. الم يكن اول المهاجمين من افراد زمرته ؟ الم يبل اعظم البلاء ؟ وهل خر مضرجاً بدمه الا بعد ان اخرس مدفعين رشاشين ؟ الم يتقدم وهو يردد قائلاً : روحي لك الفداء يا جزائر الحبيبة .. اذهبوا ايها الفرنسيون المستعمرون .. اذهبوا ايها الأوغاد فالجزائر حرة مستقلة ..

ويرتفع ضوء الصباح وينتشر .. ويتقدم الاخوة المجاهدون يتفقدون اخوانهم .. ويميل صديقه عليه .. ولكن ما هذا ؟ ما هذا الذي يراه ؟ .. من اين هذه الحمامة الورقاء المضرجة بالدماء الراقدة الى جانب صديقه البطل، الذي يغمر وجهه وجانباً كبيراً من كتفه الأيسر وصدره ، دم غزير يصبغ الثلج الناصع البياض من حوله وتحته ، بلونه الأرجواني الزاهي الاحمرار ..

ذاك هو صاحبنا المتيم العاشق .. طريحاً غريقاً في دمائه .. ساكناً كالطفل في مهده .. هامد الأنفاس كماء الغدير .. صبوح



معركة على الثلوج ضارية



الوجه مشرق المحيا كملاك ممدد في فراشه الحالم .. تحيط برأسه الفاتن الجميل هالة من نور .. تزفه مواكب الحسن .. وتشدو له عذب الغناء في ولع وشوق، بلابلُ الدوح وكناريّ الرياض .. ترنو اليه مفاتن الجمال بطرف فاترٍ واله .. وتتلفت نحوه ناحلاتُ القدود ، تتهادى بتيهٍ ودلال .. تنثني له ، تتلوّى امامه ..

أين تلك الجذوة المتقدة من النشاط والعزم والاقدام ، همد منها السعير واختفى الأُوار ؟ أين تلك الحياة النابضة والحيوية المتدفقة ، جفّ معينها وتوقف سيلها الأتيّ ؟ . أين ذاك الوقد المشتعل في اللفتات والقسمات ، حلّ مكانه سكون شامل ؟ . أين ذياك الشباب الغض ، منذ كم ذبل وذوى وفارقه الرُواء ؟ . كيف حدث كل هذا في غمضة عين ؟. أواه .. أواه .. يا حبيب القلب ويا شقيق النفس والروح .. يا رفيق الصبا والشباب .. يا أخا الأحلام البهيجة ، والأماسيْ الوضيئة الحلوة والأيام العابثة الجميلة .. أواه هل سكت اللحن وتوقف النشيد ؟. أواه هل تقطعت اوصال الشدو وجمدت بعد دفئها الحالم همساتُ الغناء ؟ .

لم تبهج الأيامُ قلبك .. ولم تُسعد الأقدارُ شبابك .. وحينَ نشرتَ على مركب الآمال شراعك .. وهمتَ تزجي نحو شط الحبيب رياحك . دهمتكَ بالخطب وروّعتْ امانيك بفقدك .. وخلفتْ مَنْ

وراءك في حزن مقيم .. فصبراً أيتها النفس المتساقطة هلعاً وحزناً .. صبراً .. صبراً جميلاً والله المستعان ..

ألا ليعلم الأعداء أننا لن نضعف ولن نتخاذل .. لن نلين ولن نستكين .. لقد قدم شعب الجزائر الأبي وروداً ناضرات من شبابه الصيد ومن رجاله الشجعان .. ولسوف تزيده كل معركة عناداً ،سوف يزيده كل التحام مع العدو صلابة ، أجل لن يزيده هذا الا امعاناً واصراراً على مواصلة الكفاح .. ولسوف يظل يجمع ويقدم طاقات الورود .. ولسوف يظل يجود بالنفس والروح ؟ . الى ان يكتب له النصر .. فان فجر الحرية يتنفس مع الصباح القادم .. غامراً بسناه كل فج وصقع ، كل قمة وسفح وواد .. راقصاً بالبشر .. هاتفاً بالأماني.. شادياً بأجمل لحن وأطرب نغم .. لحن الحرية ونغمها الساحر الفريد ، فتنطلق الدنيا مزغردة طروبة ، تتدفق بالتهاني وهي تغنيك يا جزائر الحرة من رائع الشدو وساحر النشيد ، أغنيات المجد وأناشيد الفخار ..

الخطأ والصواب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣	١٢	الضيئل	الضئيل
١٠	٣	مموة	مموهة
١٠	٩	تطلق	تنطلق
١٠	١٥	تلفت	تلفتّ
١٠	١٥	بق	يبق
١١	٣	طويل	–
١١	٩	مع غيرها	عن غيرها
١٢	٤	عما	مما
١٣	١	هذه	هذه
١٣	١٣	والربي	والربى
١٦	٤	مدينيتهم	مدينتهم
١٦	٧	ويقتنع	ويقنع
٣٥	٥	فقد	فلقد
٤٠	٨	جشم	جثم
٤٢	٢	كفكتها	كفكفتها
٤٢	٦	المتغرطس	المتغطرس
٤٣	٩	ويفتن	ويفتنّ
٤٥	١٤	العرب	الغرب
٤٧	٨	موبؤة	موبوءة
٥٧	٣	ولعلمة	ولطمة
٥٨	٤	وجنبن	وجبين
٥٨	٧	والساحق	الساحق
٥٩	١٦	لقاء	إلقاء
٦٥	٢	الطرتق	الطريق
٦٧	١٦	لم تكن	لم تكد
٦٨	٨	ماهذا ؟هذا	ماهذا ؟ ماهذا
٦٨	١١	الخلجل	الجلجل
٧٠	١	أنسي	إنسي
٧١	١٥	ي	اي
٧٣	١٤	رغم ما	على الرغم مما
٧٨	١	كالأنون	كالأتون
٨١	٦	فليروا	فليرو
٨٦	٢	الاظفار	الاظافر
٨٦	٣	والنعومة؟.	والنعومة !.
٨٧	١٠	سمع	اسمع
٩٢	١٣	افواهم	افواههم
٩٤	٩	تتالى	تتتالى
١٠١	١٤	والهمجبة	والهمجية
١٠٣	٥	احدى عشر	احد عشر
١٠٥	٨	ولغة عربية	ولغة غريبة
١٠٩	١٢	المرتفعه	المرتفعة
١١٥	١٣	١٨٦٠ م	١٨٣٠ م
١١٦	٣	الحرة	الحرية
١١٨	٧	الزأس	الرأس
١١٨	٨	فما تلبث	فما تكاد
١١٨	٨	ان تصحو	تصحو
١١٨	٩	وثبات	وسبات
١٢٥	٣	ويخرس فيها	ويخرس من فيها
١٢٥	٧	القلب	القلب بأبناء
١٢٥	٨	بابنائها	ابنائها
١٢٧	٤	جحم	جحيم
١٢٨	٩	القرار	الفرار

تابع الخطأ والصواب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٢٨	١٢	ثبتوا	تثبتوا
١٣٨	١٣	هكذ	هكذا
١٤٣	٤	بيمني	بيميني
١٤٨	٧	هدّرا	هدّاراً
١٥٥	٦	بنصرها	بنصره
١٦٢	١	حدثيني	حدثني
١٦٥	١٦	كفطلن	كفطلين
١٦٩	٤	وسابح	سابح
١٧٣	٤	في نخوة	في نجوة
١٧٧	٦	في هذه	في هذا
١٧٧	٩	كلُ	كلُّ
١٧٨	١٥	المرتقات	المرتفعات
١٨٤	٤	ولا تنفطر	ولا تتفطر
٤٩	٢	الرقّات	× نغّام

انتهى طبع هذا الكتاب على مطبعة
وجيـــه السيد بحلب
في كانون الثاني ١٩٦٢

الغلاف وجميع صور الكتاب طبعت
على مطبعة الاصيـــل بحلب

ثمن النسخة

٣ ثلاث ليرات سورية

